يوسف السباعي

أيام عبد الناصر



خواطر
ومشاعر

مكتبة الخانجي

يوسف السباعي

أيام عبد الناصر

مكتبة الخانجي

الطبعة الأولى ١٩٧١

الاهداء

إلى الزعيم الخالد
جمال عبد الناصر

أهدي بعض الخواطر والمشاعر التي أثارها في نفسي طوال أيام من النضال المرير يشق به طريقنا من أجل مستقبل أفضل . وكفاح أفنى فيه عمره لكي يحقق لنا الحرية والرخاء والسلام .

يوسف السباعي







مقدمة

أخي جمال

مرت الأيام بعد رحيلك .

ورغم كل ما يصدم الاذن من صفـات تسبق اسمك لتؤكد انك رحلت ـ وانك بت الراحل .. والخالد .. والمغفور له ..

تأبى النفس أن تسلم برحيلك ..

ويأبى الذهن الا ان يجعل منك حقيقة قائمـة بيننا ... راسخة في أعماقنا .. غير قابلة للغياب أو الزوال .. لا تستغرب العين ان ترى عربتك تمرق في الطريق .. تعلو البسمة شفتيك وتلوح بيـدك بالتحية .. ولا تدهش الأذن .. من ان تسمع صوتك .. يلقانا .. « أيها الاخوة المواطنون » أو يودعنا .. « وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله .. »

ولقد يحلو للذهن أن يسترجع ذكرياته معك

ورغم ضخامة ما فعلت .. رغم ما بنيت وحققت .. رغم وجـه المجتمع الذي غـيرت معالمـه .. ورأس الانسان الذي رفعته .. والسد الذي شيدته .. فان الذهن يأبى الا يسترجع .. معك الانسان .. فلقد كنت انســانا .. تعرف قيمة الانســان .. ومعزة الانسان .. ولعل هذا .. رغم ما فيك من صفـــات الزعيم .. هو على بساطته سر قدرك بين الناس .. وسر ايمانهم بك .. وحبهم لك .

أذكر بعد زيارة الى الصين الشعبية في العيد العاشر للثورة الصينية أن سألني عما رأيت هناك .

وقلت له في شيء من الاعجاب :

ـ انهم غيروا وجه المجتمع هناك بطريقـــة حاسمة . وقضوا نهائيا على سيئات ، نتمنى نحن لو استطعنا القضاء عليها .. وحققوا أشياء في مدة قصيرة ما زلنا نحن نحـــلم التحقيق .. لقد حققوا النظام والنظافة . وقضوا على الفوضى والتكاسل والاهمال والذباب .. وبات كل انسان يعمل ما يجب أن يعمله ..

وسألني :

ـ وكيف يبدو المجتمع ؟

واستعدت في ذهني صـورة المجتمع الصيني وقلت له :

ـ يبدو جميع الناس بثيابهم الموحدة وحركتهم السريعة ووجوههم الصـارمة .. كأنهم معسـكر مستجدين للجيش .. كل يؤدي الواجب المطلوب منه في غير تلـكؤ في الخطى بغير لحظـة يضيعها في غير العمل ..

وشرد ببصره قليلا ثم هز رأسه قليلا :

ـ الحياة شيء أكبر من هذا .. والانسان في نظري أقيم من هذا ..

وصمت برهة ثم أردف وهو ينظر الى بعيد :

ـ عندما أذكر عامل البناء وهو يضع القصعة على كتفه ويصعد السـقالة .. وينشد اغنيتـه في مرح .. أحس أن لا شيء يستحق أن يسكت أغنيته .. أو يضيع بسمته .. لست من انصار .. تضحية جيل من أجل جيل .. يجب أن يأخذ كل جيل حقه في الحياة .. ونحن شعب .. نضحك ونعمل .. ونغني ونعمل .. ولا أتصور شيئا هناك يمكن أن يحرم الانسان .. من أغنيته .. وضحكته .

لقد كان جمال انسانا .. يحس بالانسان .. ويحب الانسان ..

ورغم مثاليته في حياته .. فما حـــاول قط أن يؤاخذ الانسان .. بهذه المثالية .. أو يحاسبه على أساسها ..

كان يعرف ان الانسان انسان .. بكل حسناته وسيئاته .. بكل قدراته .. ونزواته .. ولم يحاول أن يحجر على حرية الانسان كانسان .. كان يعرف علام يحاسبه .. وعلام يترك لله أن يحاسبه ..

ومن أجل هذا .. لم يحرم الناس ضحكتهم .. ولا أغنيتهم .. فانطلق الناس .. يعملون .. ويغنون .. ويضحكون ..

ولاجل هذا أحبه الناس ..

لم يحاول قط أن يجعل من الفن وهو زاد الناس الروحي في الحياة .. أداة في يد الحكم .. بل كان يقاوم هذا بكل ما يملك من سلطان ..

منح الفنانين الاصــــلاء .. التقدير المطلق .. لانهم فنانون أصلاء .. فلم يشعر احد منهم .. انه يحتاج لكي يحصل على التقدير والتكريم .. الا أن يكون فنانا أصيلا .. وأن يحبه الناس ..

وأكثر من هذا .. لم يمنح التقدير لشيء وضع عن عمد لمجرد المديح او النفاق .. حتى لا يجعله بابا للتسابق .. أو أسلوبا لنيل التقدير .

وكان يعرف ان أقيم ما يمكن ان يمنحه للفنان هو حريته ..

أذكر في أول مؤتمر للادبـــاء العرب عقد في القاهرة في ١٩٥٨ ان ذهب اليه الادباء في قصر القبة ليستقبلهم بعد نهـــاية المؤتمر .. ووقفت معه في حجرة مكتبه قبل ان يدخل الادباء وسألني :

ــ العقاد موجود ؟

وقلت له :

ــ أجل ..

وابتسم قائلا :

ــ أول مرة أراه فيها ..

ثم استطرد يقول :

ــ كنت دائما معجبا بالعقـــاد .. ولاسيما في الفترة التي خرج فيها على الوفد . وكان يكتب في روز اليوسف اليومية ..

وصمت برهة .. ثم قال ضاحكا :

ـ خلال الحرب كان يكتب مؤيدا للحـــلفاء .. واتهمه البعض انه عميل لهم .. ولكني لا أعتقد ان العقاد يمكن ان يكون عميلا لأحد .. أنا لا أكره أن يكتب الكاتب في أي اتجاه .. بشرط أن يكون معبرا عن رأيه .. وليس عميلا لاحد ..

وجمال الانســان .. كان يحـــرص على رزق الانسان .. وعلى الا يظلم الانسان .

كان أحد الوزراء قد طلب احالة أحد وكـــلاء وزارته على المعاش بمجرد ان تولى الوزارة .

وقال الزعيم الانسان وهو يروي الحادث :

ـ قلت له لا جدال في أن لك حـــرية اختيار معاونيك .. ولكن أليس من الافضل الا تصدر عليه حكما مسبقا .. وان تترك له فرصة العمل معك حتى تثبت عدم صلاحيتـــه ثم تستغني عنه . وعرض الوزير استقالته .

وأصر جمال على أن يبقى الوكيل قائلا :

أنا لم ألق هذا الوكيل ولا أعرفه .. ولكنـــي أقول لنفسي اذا كنت مسئولا عن الفرد العادي في هذه الأمة .. مسؤول عن أن أوفر له الرزق .. وأرفع

عنه الظلم .. أفلا أوفر لهذا الوكيل ما أوفره للفرد العادي ..

وبقي الوكيل .. ولم يستقل الوزير ..

وتتوارد الذكريات على الذهن .. لتذكر جمال الأخ الانسان ..

ذكريات كثيرة .. كثيرة ..

تجعل منك يا جمال .. انسانا كبيرا .. يحبك الناس .. ويؤمن بك الناس ..

ويجعل منك حقيقة قائمة بيننا راسخة في أعماقنا .. لا تستغرب العين ان ترى وجهك يمر بها تعلو البسمة شفتيك .. وتلوح بيدك بالتحية .. ويهتف صوتك مودعا ..

« وفقكم الله .. والسلام عليكم ورحمة الله ».

أكره أن أقول عنك ما يقوله الناس عن الراحلين .

ولا أملك الا أن أودعك بمثل ما تعودت أن تودعنا به : « عليكم السلام ورحمة الله » ..

يوسف السباعي

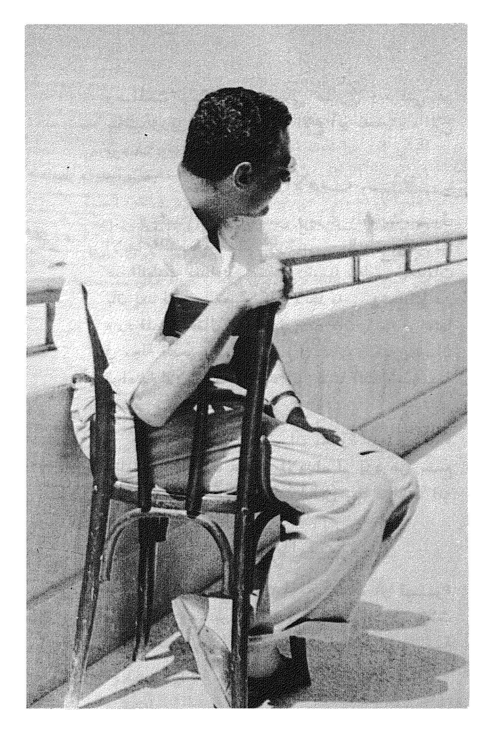
الرجل الذي .. لم يطفئ شموعاً في حياته ..!

ترددت كثيرا قبل أن أقدم على كتابة هذه الكلمة .. لاني خشيت أن يكون مجرد كتابتها افسادا لذلك التواضع الجميل الذي قصدت أن أوضحه بها ..

لقاء ...

كانت الساعة التاسعة مساء وكنت في طريقي الى البيت . وعندما بلغت بيت الرئيس جمال عبد الناصر الذي يقع على مسيرة خطوات من بيتي تبينت انه موجود في الداخل فارسلت بطاقتي أطلب لقائه لادعوه لمشاهدة « اني راحلة » ولاتحدث اليه في بعض شؤون نادي القصة .

ودخلت لالقاه في احدى حجرات البيت المنخفض المتواضع الخشن الذي كان يقطنه من قبل ناظر المدرسة الثانوية العسكرية . وأقبل علي بقامته الطويلة وقد ارتدى صديري من الصوف فوق القميص والبنطلون وشد علي بيديه باسما مرحبا



وصافحت جمال سالم وعلي صبري وعرفني هو بنائب وزير التجارة قائلا « الاخ أبو نصير » « الاخ يوسف » ..

حَديثٌ عَن الأدبِ ..

وجلسنا نحن الخمس وجرى الحديث حـول الادب والقصة وانبأني الرئيس جمال انه طلب من عبداللطيف بغدادي بصفته رئيسا لمجلس الخدمات بأن يعد لنادي القصة مكانا لائقا به .. وتحدثنا عن « رد قلبي » فقال لي الرئيس انه كان يؤجل قراءتها في مجلة التحرير حتى تجمع في كتاب ولكنه يجد ان قراءتها الآن في كتاب بعد ان بلغت ألف صفحـــة أضحى مشكلة عسيرة ..

وقال لي جمال سالم ان محمود تيمور أهداه كتابه « الثائرون » وان الاهداء لم يزد عن بضع كلمات وجمل بسيطة ولكنه أحس بعد قراءتها انه يود ان يلقي الرجل ..

مَظاهِرُ الكَرَم

وسألني مضيفنا ان أشرب شايا أو قهـــوة فاعتذرت وبعد برهة وجدت الخـادم يدخل بثلاث صحـــاف بأحدها بتـــي فـور والاخرى بضعـة

ساندوتشات والثالثة تورته صغيرة بيضاء ..

وتناولت احد الساندوتشات وبضعة قطع من البتي فور وأخذت أرقب التورتة الصغيرة وبنفسي شيء من الدهشة حاولت جهدي ان أخفيها وأخذت اسائل نفسي عن سر البتي فور والتورتة والساندوتشات هل هي احدى المظاهر المحتومة لكرم رؤساء الوزارات ؟ ولكني تذكرت اني زرت جمال من قبل فلم يقدم لي سوى فنجان قهوة كأي مضيف عادي ..

حكاية التورته ...

واستأذن جمال سالم وخرج .. وبعد برهة خرجت أنا .. وعند الباب الخارجي التقيت بعلي صبري مدير مكتب الرئيس فصافحته متسائلا في دهشة :

ــ ايه حكاية التورته دي ؟ ..

وضحك وأجاب :

ــ عشان عيد ميلاد الرئيس .

وكرهت غباوتي ، ولكن التورته كانت صغيرة جدا .. أصغر من التي أحتفل بها في عيد ميلاد اسماعيل ابني . والبتي فور .. والساندوتش (مع

عدم المؤاخذه) كان قليلا .. والمدعوون كانوا أربعة لم تجمعهم سوى المصادفة ..

حـــافْ !!

ووجدت ان التورته قد غررت بي .. وأحسست أني مقصر في تهنئة الرئيس وان ما تناولتـــه من الساندوتش والبتي فور كان يوجب علي أن أقول له ولو « كل سنة وأنت طيب » حاف ..

وقلت لعلي صبري مؤنبا :

ــ طيب يا أخي مش كنت تنبهني عشان أقول للراجل كل سنة وانت طيب ..

وعدت ادراجي مرة أخـــرى وطرقت الباب الزجاجي المطل على الشرفة ونهض الرئيس ففتح لي فمددت اليه يدي مصافحا وأنا اتمتم ضاحكا في شيء من الخجل :

ــ لا مؤاخذة يا جمال .. أنا ماكنتش أعرف .. كل سنة وانت طيب ..

لأولـــ مرّة

وضحك جمال قائلا :

ــ أنا كمان ماكنتش عارف ... الجيار هو اللي

عملها في .. ولما الولاد جم يندهولي عشان اطفي الشمع قلت لهم أنا عمري ما طفيت شمع في حياتي.

وصمت برهة ثم أردف وعلى شفتيه إبتسامة عريضة :

ـ أنا النهارده كمان جبت ولد .. سميته عبد الحكيم .. على اسم عبد الحكيم عامر ..

ـ حقيقى ؟! مبروك .. عقبال ما يبقى قائد عام زي عبد الحكيم .

وغادرت بيت الرئيس والافـــكار تتواتر في رأسي وتملؤني باحساس عجيب بالراحة والغبطة .

أرض النفـــاق

لقد أحسست أن هذا الحادث البسيط في مظهره يحمل بوادر تغير عميق في حياتنا وخلقنا .

انه انتـــزاع لعبادتنـــا للفرد وتقديسنـــا للاشخاص ..

انه محو لآيات العبودية ومظاهر النفاق في مثل هذه المناسبات كانت مصر كلها تسخر للاحتفـال بعيد ميـلاد فرد .. كانت الصحف تمـــلأ بصوره والمقالات تدبج في مديحه والقصائد تنظم في تمجيده

وتأليهه .. كانت الانوار تضاء والمواكب تسير ..

كنا نقول انه نور شع يوم مولده .. وان القلوب غنت .. والافئدة رقصت .. وكنا نتسابق في مواكب النفاق ..

مصر قد تبدّلت

اذا ما قارنا ما كان يحدث فيما مضى .. بالتورته الصغيرة والشموع التي لا يعرف صاحبها كيف يطفئها ..

عرفنا ان تحولا عميقا قد حدث في نفوسنا وان مصر قد تبدلت ..

واذا كان جمال لا يعرف كيف يطفىء الشموع فلا شك انه يعرف كيف يوقدها ..

لقد كتبت هذا وأنا أخشى أن أفسد به التواضع الجميل الذي قصدت ان اوضحه ..

ولكني كرهت أن أخفي شيئا جميلا اطلعتني عليه مجرد صدفة ..

وأحببت ان يشاركني القراء في تهنئة الرجل المتواضع في قلوبهم وان يقولوا ببساطة كما قلت له « كل سنة وأنت طيب » يقولونها له .. رغم انه أنكرها عليهم .. هذا ما أرجوه من القراء ..

رُدَّتِ الرُّوحُ !

١ / ١١ / ١٩٥٤

كانت الساعة حوالي العاشرة مساء .. ودق جرس التليفون .. وسمعت صوت زوجة أخي متهدجا باكيا .. تنبئني في ارتياع ولهفة ، ان جمال عبد الناصر ضربوه بالرصاص .. وانه يذيع الان في الراديو وهو مضروب !!

وتملكني الذهول .. ووضعت السماعة دون أن أستفسر عن التفاصيل .. وقفزت الى الراديو وأدرته .. ومضت برهة قبل أن أسمع صوت جمال يزأر في عنف .. وحرارة :

« ليقتلوني .. فقد أودعت فيكم العزة ..

ليقتلوني .. فقد أثبت في هذا الوطن الحرية والكرامة ..

ليقتلوني من أجل مصر .. من أجلكم .. من أجل أبنائكم وأحفادكم ..

يا أبناء مصر .. احملوا الرسالة ..

يا أبناء مصر .. كافحوا واحملوا الرسالة والامانة ..

يا أبناء مصر .. لقد ثرت من أجلكم وسأموت في سبيلكم ..! »

وكنت خالي الذهن عن كل ما حدث .. لم أكن أعرف الا أن جمال .. ضربوه بالرصاص !! .. ولم أكن أسمع ولا أعي الا صوته المتهدج .. المليء بالحرارة .. والاخلاص .. وهو يقول : « سأموت في سبيلكم » !!

وكان كل من في البيت .. قد وقفوا مشدوهين ، مرتاعين .. يحملقون في جهاز الاذاعة .. وينصتون الى الصوت الهادر الزائر .. وكان الجهاز قد انقلب الى شيء حي نابض .. تركز فيه كل رجاءنا وآمالنا ..

وطلبوا مني أن اسأل في جريدة « الجمهورية » عما حدث .. ولكني لم أترك مكاني .. كنت مشدودا الى الصوت بقوة خفية قاهرة .. وكنت أحاول أن أستبين من كلماته .. مدى ما أصاب جمال .. !!

وانطلق الصوت يهدر :

أيها المواطنون ..

اذا مات جمال عبد الناصر .. فانه يموت مطمئنا .. لانكم كلكم جمال عبد الناصر .. !

لا تخافوا الموت .. فالدنيا فانية .. !

أيها المصريون ..

لن تكون حياة مصر معلقة بحياة جمال عبد الناصر .. بل هي معلقة بكفاحكم .. !

أيها المواطنون ..

سيروا الى الامام .. فمصر اليوم قد حصلت على عزتها .. وكرامتها .. وحريتها ...

سيروا على بركة الله .. نحو المجد .. والعزة .. والحرية .. !

ولم يكن في الكلمات ما يطمئن .. وأحسست من قول جمال : « اذا مات جمال عبد الناصر فانه يموت مطمئنا » .. كان يدا قوية تكاد تخنقني .. !

لقد خيل الي أن جمال قد قضي عليه .. وانه ينطق اخر الفاظه .. وأحسست بحب جارف لجمال .. وتمنيت وأنا أسمع صوته يخفت وأصوات

الجماهير تدوى كالرعد .. لو استطعت أن أمد يدي لاستبقيه وأضمد جراحه ..

ومرة أخرى عاد صوته يزأر .. !

« ان دمي من دمكم .. وروحي من روحكم .. وقلبي من قلبكم .. ومشاعري هي مشاعركم ..

أيها المواطنون ..

اذا قتلوا جمال .. واذا قضوا على حياة جمال .. فلن يقضوا على نفوسكم أو ضمائركم الطاهرة.

أيها الرجال ..

لقد استشهد الخلفاء الراشدون جميعا في سبيل الله .. واني لمستعد أن أستشهد ألف مرة في سبيل الله .. وفي سبيل مصر . »

وصمت الصوت مرة أخرى .. وانطلق الدوي من أفواه الجماهير .. تهتف لصاحبه .. !

ولم يكن ما حدث لجمال قد وضح لي حتى هذه اللحظة .. كنت أعتقد انه لا بد قد أصيب .. ولكني كنت أطمئن نفسي بأنه لا يمكن أن يتركوه يرهق نفسه بمثل هذا الهدير .. اذا كان قد أصيب !! ثم يعود « الوسواس » يهتف لي أن جمال يصر على أن

يلقي للشعب بآخر كلماته ، حتى يثبت فيه الروح التي أعادها اليه .

وأخيرا .. وبعد أن تحطمت أعصابنا وانهارت قوانا .. تحدث المذيع .. بما فهمت منه أن جمال قد نجا من الرصاصات الطائشة .. !

وتنفست الصعداء .. وأحسست كأن روحي قد ردت .. ونظرت الى ابنتي .. وكانت قد نهضت من النوم فزعة .. وقبعت بجواري تنصت الى صوت جمال وهي مأخوذة .. !

ووجدت في عينها دموعا تترقرق .. ووجدت نفسي أجاهد لاحبس دموعي .. ورسمت على شفتي ابتسامة عريضة .. وقلت لها :

ــ قومي الى فراشك .. ان جمال قد نجا .. !!

وأنا أكره الحكام .. وأكره الهتاف لهم .. والسير في مواكبهم .. وكان جمال زميلي في الكلية .. طالبا .. ومدرسا .. ولم أحاول أن أكتب عنه كلمة ــ وقد صار رجل مصر الاول ــ خشية الاحساس بأني أسير في مواكب المنافقين .. !

ولكني اليوم .. وبعد أن عرفت مشاعري ..

عندما كدت أفتقده .. لا أجد حرجا في أن أهتف له من أعماق قلبي .. « ليحيا جمال » .. !

وأعتقد أن كـــل الشعب قد أحس له بمـــا أحسست .. وأنه يردد الهتاف بكل ما فيه من نفس يتردد .

أحلامنا التي تحققت

٩ أبريل سنة ١٩٥٦

دق في هـذا الشهر ، آخر مسمـار في نعش الاستعمار ..

والمسامير التي دقت في هذا النعش ، كثيرة لا يحصرها عد ..

وبداية الدق ترجع الى عهد قديم ، يكاد يبدأ مع رقاد الميت ، أو على الاصح .. تربعـه .. في النعش ! ..

ولم يكن النعش نعشا للميت ، بقدر ما كـان نعشا لاهل البيت .. وكان الميت ــ لا رحمة الله ولا رضوانه عليه ــ عنيدا ، مماطلا ... ومسيئات الميت ــ غير العزيز ــ كثيرة .. وأضراره التي أوقعها بأهل البيت ، عديدة .. ولكن أسوأ ما فيها ، هـو أنـه شغلهم بنعشه ، عن أنفسهم وبموته ، عن حياتهم .. فأضاعوا السنين الطوال .. وهم مجدون في دق

المسامير !. والنعش طويل لا ينتهي .. والميت متربع لا يرقد .. كلما دقوا مسمارا ، نزع مسمار ..حتى أشاع بينهم الفرقة ، والوقيعة ، حول مسامير النعش !. أيهم الذي دق .. وأيهم الذي نزع .. وأيهم الذي جاهد في الدق .. وأيهم الخائن الذي لا يدق ! .

وهكذا بات دق المسامير في النعش ، هو شغل أهل الدار الشاغل .. وأضحى التشاغل بدق المسامير في نعش الميت ، هو هدفهم الاول في الحياة واستطاع الميت بذلك أن يلهيهم عن دنياهم ، وعن أنفسهم ، وعن أرزاقهم ، وعن كل شئون حياتهم ! ..

واليوم .. وقد دق « جمال » المسمار الاخير فقد أغلق النعش على الميت .. وأراحنا الى الابد من استبداده بنا وتشاغلنا به .

سنكف منذ اليوم عن الدق .. وسيكف المرتزقة منا عن الاتجار به والتعيش منه !

يمكننا الآن أن نبدأ الحياة ، وأن نوجه قوانا الضائعة إلى الخلق لا الى الدق ، والى العيش لا الى الموت

ليذهب الميت مع .. ألف لعنة .. أو تكفي لعنة واحدة .. حتى لا نضيع وقتنا في لعنه .. أو يصبح لعنه حرفة أخرى ..

ليذهب الميت ..

ولتحيا مصر ..

المشوار الأخير !

١٩٥٤/٨/١

أحسست في هذا الاسبوع أن حلما قد تحقق، وملأتني من تحققه غبطة وساورتني رهبة .

أتدري شعورك عندما تحلم بمليون جنيه .. وتعد من حولك بأنك ستفعل لهم كذا وكذا .. وتشرح مشروعاتك الضخمة في حرارة وحماس ؟. وفجأة تجد المال قد هبط بين يديك !!! والاعين ترقبك في تحفز لترى ماذا أنت فاعل بحلمك .. ووعدك .. وقد أضحى بين يديك حقيقة واقعة .

ستفرح بالمليون جنيه أولا .. ثم تضرب لخمة ثانيا ..

ان الامر لم يعد مجرد عين تغض وذهن يحلم .. وآمال ترسم في الهواء .. بل أصبح عليك ان تفتح عينيك وتوقظ ذهنك .. وتمسك بالمليون جنيه .. لتحول بها آمالك الهوائية .. الى حقائق ملموسة

كائنة يلمسها من حولك .. ويفيدون منها .

بدأ الحلم منذ سنتين .. عقب خطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم توقيع اتفاقية الجلاء ، الذي قال فيه :

« ان مرحلة من كفاحنا قد انتهت ، ومرحلة جديدة على وشك أن تبدأ . هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا ، وتعالوا نبني وطننا من جديد ، بالحب والتسامح والفهم المتبادل » .

لقد استوقفتني هذه الفقرة من خطاب الرئيس وأحسست منها بغبطة فاقت ما بعثته الاتفاقية نفسها .

كان لها وقع جميل في نفسي ، فقد عبرت ببساطة عن أجمل نتائج الجلاء .. التعاون والبناء والحب والتسامح والفهم المتبادل .

لقد مد الرئيس يده .. وطلب منا أن نمد أيدينا لنتكاتف جميعا لبناء وطننا من جديد بوسائل جديدة .. هي الحب والتسامح والفهم المتبادل .

ولم أجد الامر يسيرا .. فقد أحسست أن وسائلنا في الحياة وفي التعامل .. لم تعرف قط معنى

الحب أو التسامح أو الفهم المتبادل . وان هـــذه الاشياء تعتبر في حياتنا نوعا من الشذوذ الدال على حسن النية أو البله .

وكتبت وقتذاك في الرسالة أقول :

« ان مد الأيادي سهل .. والبناء في حـد ذاته ليس أمرا شاقا ، ولكن خلق الاسس والوسائـل والخامات التي سيشيد بها البناء الجديد .. هـو الامر العسير جدا . ان خلق الحب والتسامح والفهم المتبادل يحتاج الى جهد شاق وخطط موضوعـــة . ومشروعات مدروسة . فليس يكفي لخلق تلـــك المشاعر فيمن تعود البغض والكراهية والتشكك ان ندعو الى ذلك بالخطب من فوق المنابر . أو نبين له أن الدين يدعوه الى ذلك . وتهدده بعذاب الآخرة ، فهو يعرف ان حسابه في الآخرة مع الله .. وان الله غفور رحيم .. ومن غير المعقول أيضا ان يحدث هذا التغيير في الخلق بين يوم وليلة ، فهو يحتاج الى وقت طويل . ولكننا سنصل في النهاية الى النتيجة المرجوة سننزيل البغضاء والتشكك ونضع مكانهما الحـب والثقة . وسيأتي اليوم الذي نجد فيه كل فرد من أفراد الشعب . يضع قرش التـــرام في صندوق بمجرد الركوب بدل أن يطارده الكمساري، ويشتري

الصحيفة فيضع القرش مكان الصحيفة ، بدلا من أن يأخذ بقية الصحف ويهرب بها .

أجل .. نستطيع أن نرى الشعب يفعل هـذه الاشياء التي نرويها عن الشعوب الاخرى على سبيل التندر والعجب ، والتي تبدو على بساطتها أبلــغ مظاهر الحب والثقة والتسامح والفهم المتبادل .

وكان علي أن أفكر ، بعد كل ما قلت .. كيف نصل الى هذه النتيجة . كيــف نستبدل بالبغضاء والضغينة والتشكك التي تملأ نفوسنا الحـــب والتسامح والفهم المتبادل الـــذي أضحى ضرورة لازمة لبناء وطننا من جديد .

وأحسست أنه يلزم لذلـــك اعداد مـــادي ونفسي ، أما الاعداد المادي فخلاصته ان تستقــر حياة الشعب على أسس من العدالة وكفاية العيش والامن والاستقرار ، فأساس البغضاء والضغينة والتشكك ، هو الاحساس بالحاجة والظلم والشعور بالخوف والقلق .

أما الاعداد النفسي فيتلخص في تطور كل سبل الثقافة والفنون تطورا حاسما مدروسا .. يستمد من الاصل الطيب المغروس في أعماقنا ، النابت من

عراقتنا .. بحيث تتضح لنا شخصيتنا الطيبة الاصيلة المستقلة .. وبحيث نجعل من فنوننا وسيلة لتطور تفكيرنا وتهذيب أخلاقنا .. وبحيث تصبح وسائلها من كتب وسينما ومسرح واذاعة قادرة على ان تغرس فينا على مدى السنين أشياء جديدة ، تكشف لنا عن الخير في نفوسنا والجمال في دنيانا .. وتجعلنا جميعا أقدر على الاستمتاع بحياة أفضل .

* * *

وبدأ الحلم .. وجلست بصحبة توفيق الحكيم واحسان عبد القدوس في نادي القصة نهيم في أحلامنا .. ونرسم في الهواء خطوط مشروعاتنا .. القائمة على الآمال والتمنيات .

وتساءلنا كيف يمكن لمصر بعد تنفيذ مشروعات الانتاج والخدمات ، وقد أضحت بلدا صناعيا ناهضا كأية دولة كبرى وما زال الأدب فيها يقبع في دائرته المحدودة ، ونطاقه الضيق وما زالت الموسيقى تحبو في فرديتها ، والرقص لا يزيد على هزات لا تعبر عن شيء ولا تعني شيئا ، والسينما في وضعها الهزيل والمسرح في كبوته .. والاذاعة صدى لكل هذا الهزال في الفنون والآداب .

ونقلت أمانينا على صفحات الرسالة بدعوة الى الرئيس جمال . ختمت بها مقالي : « كل ما أرجو من الرئيس جمال وهو يمد يده أن يضع فيها مليونا من الجنيهات ومرسوما بانشاء مجلس الفنون والآداب أو مجلس للانتاج الذهني على نمط مجلس الانتاج المادي . يمكن له أن يهيىء لوطننا نهضة ثقافية فكرية روحية ، تساير نهضتنا الاجتماعية والاقتصادية وتجعل في نفوسنا أملا يخلق الحب والتسامح والفهم المتبادل اللازم لبناء هذا الوطن .. ونحن ــ أعني كل من له علاقة بأحد هذه الفنون ــ نمد يدنا وملؤها جهودنا وتفكيرنا ..

وكان الرئيس جمال أفهم للدعوة .. وأسبق منا الى التفكير فيها وكانت المرحلة التالية للثورة في تقديره وفلسفته .. هي الثورة الثقافية .. بل هو يعتبر ان الثورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. ليست الا خطوات تمهيدية للجزء الاصيل من الثورة .. وهي الثورة الفكرية .. وانه لا قيمة لكل مراحل الثورة .. وهي ان لم تنته الى نهضة فكرية .. وانه اذا كانت هذه الثورات قد مهدت لها فستكون هي بعد ذلك الدافع الى كل نهضة ..

وتحقق الحلم .. وصدر المرسوم بانشاءمجلس للفنون والآداب ..

وانتابتني فرحة .. لم تلبث أن أعقبتها رهبة ولخمة .. والعيون ترقب في تحفز ، وتتساءل في استفسار .. ماذا ينوي أن يفعل المجلس ؟ وما فائدته ؟ وما قدرته ؟

وأحسست بالحيرة برهة .. حيرة من أمسك فجأة بمليون جنيه .. طالما حلم بها .. وأصبح عليه أن يحقق بها كل ما تراءى له من الاحلام .

وكان أول من أزال حيرتي .. هو كمال الدين حسين .. رئيس المجلس .. لقد وجدته أكثر ايمانا به مني .. وأكثر تحديدا لغرضه .. واصرارا على توضيح هذا الغرض .. والاتفاق عليه بتأكيد ووضوح مع بقية أعضاء المجلس .

لقد عقد المجلس جلسته الاولى يوم الاربعاء الماضي في مجلس الثورة ، وأحسست فيه بقوة مستمدة من قوة المجموعة التي تكونه .. وأمل .. مستمد من ايمانها بالرسالة التي اجتمعت لتأديتها .. ولرغبتها في تحقيقها .

وبدأ الرئيس كلمته بأن اسعاد الشعب .. هو

الهدف الذي يجب أن تنتهي اليه كل جهود تبذل في كل ناحية ..

وأحببت منه أن يلخص أهدافنا جميعـا في هذا الهدف .. لاني أعتقد أن كل جهد لا ينتهي بنـا الى هذا .. يصبح انحرافا بنا عن الهدف الحقيقي الذي نعمل من أجله .. ويضيع جهودنا عبثا .. مهما قيل في نتائجها .. ومهما خلع عليها من صفات براقة ..

ثم قال : اننا يجب في نهضتنا بالفنون والآداب الا نغفل الهدف الاصلي ، وهو اسعاد الناس وتنقيـة نفوسهم من هموم المادة ، وان نجلو بها عن أرواحهم صدا الكدر والغم .. وان نحافظ في نهضتنـا على طابعنا الاصيل بحيث تبرز شخصيتنا المصريـة واضحة . فان أصلنا الطيب أحق بأن يجعل أساسا لنهضتنا ، وأن نبني على أسسه ونبرز طيب عنصره ونرفع عنه الشوائب والاكدار .

وأيده الدكتور طه حسين وأكد له العقاد أن شخصيتنا المصرية من أثبت الشخصيات على التاريخ .. وأقدرها على الاحتفاظ بطابعها واستقلالها .

وأمن الجميع على هذا الهدف الذي يحدد سير المجلس ويوضح اتجاهه .

بقيت كلمة أخيرة أحب أن أوضح بها طريقة عمله المستمد من السلطات التي منحها له القانون ، وهي تجيب على السؤال المشترك الذي يتساءل به معظم الناس . ومن بينهم أعضاء المجلس .

ان عمل المجلس يتلخص في أربع مراحل .. الاولى مرحلة البحث والدراسة لما هو كائن .. الثانية مرحلة التخطيط ووضع السياسة لما يجب أن يكون .. الثالثة تطبيق هذه السياسة والخطط بواسطة تقديم التشريعات وطلب الاعتمادات المالية اللازمة لتنفيذها الى مجلس الوزراء لبحثها واقرارها واحالتها على مرافق الدولة المختلفة المسئولة عن تنفيذها .. والمرحلة الرابعة مراقبة تنفيذ هذه السياسة بواسطة المصالح المنفذة ، والتأكد من تنفيذها كما وضعها المجلس . والتقدم بالتشريعات والتوصيات التي تجعل الجهات المنفذة لها أقدر على تنفيذها . اذا تعذر عليها التنفيذ .

ذلك هو التخطيط العام للطريقة التي يمكن أن يعمل بها المجلس في حدود القانون الذي صدر بانشائه .. والذي على أمامه ميزود المجلس بجهاز فني واداري يمكن أن يمنحه القدرة على مباشرة مهمته .

وبعد ، ذلك هو الحلم الذي حققـــه الله لي والذي أصابني تحقيقه .. بفرحة ورهبة .. ولخمة.

أدعو الله أن يزيل الرهبة .. ويرفع اللخمة .. ويمنحنا من لدنه .. قوة .. وهداية .. تهيىء لنا .. أن نحقق .. أمانينا البراقة التي طالما .. طافـــت برؤوسنا يوم أن كان المجلس مجرد حلم .. من أحلام الدجى .. وأحلام اليقظة.

ليتهم يفهمونها !

٢٥ يونيو سنة ١٩٥٦

قرأت هذا الاسبوع مقالا في « نيوزويك » عن سياسة عبد الناصر ، ولست أدري الى أي مدى يعبر هذا المقال عن وجهة النظر الرسمية الامريكية .. التي يعالج بها المسؤولون الامريكان مشاكلهم الخارجية .. ولكن اذا كان هذا المقال حقا يعبر عن طريقة فهم الامريكان للسياسة المصرية وأغراضها والعوامل المحركة لها ، فاني أؤكد لهم ان نظرتهم للامور في مصر قد اختلطت وتعقدت . الى الحد الذي أفقدهم القدرة على تبين الخطوط الواضحة الصريحة التي كان يمكن أن تجعلهم أكثر تقديرا لمطالب السياسة المصرية وفهما لاغراضها .

ومقال النيوزويك يلخص سياسة عبدالناصر، في انها اندفاع متورط مع الشرق ، ويدعي أن الاندفاع بدأ في أول الامر بغرض الحصول على مزيد من جمائل الغرب كما فعل تيتو ونهرو .. ولكنميله

الى موسكو قد جاوز الحد الذي يستطيع معه المحافظة على توازنه .

ولست أدري أحقيقة يفهم صاحب المقـال .. أسباب اندفاع عبد الناصر كما يقول الى موسكو .. أم هو يتجاهلها .. وعلى أية حال اذا كان لم يستطع مع طول خبرته في السياسة .. أن يفهمها .. أو اذا كان من فرط خبرته بالسياسة قد اختلطت عليه .. فأنا أستطيع أن أوضحها له بخطوط بدائية .. قد يكون هو والساسة المسؤولون أقدر على فهمها ..

١ ــ مصر بلد خضع فتـــرة طويلة لنـــير الاستبداد والاستعمار .

٢ ــ حدثت في مصر ثورة أطاحت بالاستبداد والاستعمار .

٣ ــ تتجه مصر بعد الثورة الى بناء نهضـــة تحقق لشعبها الحرية والرخاء .

٤ ــ ترابط على حدود مصر دولة معاديـــة طردت شعبا مجاورا من أراضيه بطريقة لا تقبلها الانسانية .

٥ ــ تزود هذه الدولة المعادية بالسلاح مختلف الدول ، وترفض الخضوع لحكم هذه الدول باعادة المطرودين الى أراضيهم

وتقف على حدود مصر لتهدد أمنها .

هل يمكن أن يجادل أحد في هذه النقط الخمس الواضحة ؟ هل يمكن أن ينكر أحد على مصر محاولة تحقيق الرخاء والامن لشعبها ومحاولة اعادة جـــار مطرود اتفقت الدول جميعها على اعادته الى أراضيه؟

كيف اذن يمكن أن يحقق هذا ؟

الرخاء .. بالتصنيع .. وزيادة الرقعة المزروعة

والامن .. بالتسليح الذي يقــاوم .. تسليح الدول المهددة لامننا ..

ذلكما هما المحركـــان الرئيسيان للسياســة المصرية : مشروعات الرخاء .. وسلاح الامن .

وبسطت السياسة المصرية لكم يدهـــا .. لا بمطامع ، بل لطلب معونتكم في رد الشعب المشرد الى أرضه .

والسلاح الذي يؤمن سلامتها ، والمساعدة في اقامة مشروع جاد تقام عليه أسس أعمدة الرخاء .

كان عليكم أن تفهموا هذا .. وان تمدوا يدكم بالمعونة وأن توقنوا أن السياسة المصرية جـــادة مخلصة تريد الحرية والامن والرخاء .. لنفسهـا

ولمن حولها ، وانها تستطيع أن تقف ككتلة حـــرة معتمدة على نفسها في المحافظة على أمن المنطقة كلها، بلا حاجة الى تدخل أو سيطرة .

ولكنكم لم تفهموا هـــذا .. رغم بساطتــــه ووضوحه .

وبدأتم عملية مماطلة .. تربتون على ظهورنا بيد وتلوحون بالاخرى مهددين أمننا .

كانت سياستنا جادة .. وسياستكم عابثة .. كانت المسألة بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت ... وكانت بالنسبة لكم مجرد صياح يمكن تهدئته ..

وعندما مد الشرق يده لنا بالسلاح .. لم يمل اليه عبد الناصر .. لانه كان يسعى الى المزيـد من جمائل الغرب ..

أنتم أغبياء اذا ظننتم ذلك . لقد مال اليه عبد الناصر .. لانه أحس ان روحه فيه .. لقـد مال الى القطرات التي شده اليها الظمأ .. لقد مال اليه لانه منحه أمنه .. في وقت أضعتم أنتم فيه أمنه ..

لهذا مال جمال الى الشرق.. لا لمزيد من جمائلكم .. لانه لم ير منكم جمائل قط .. بل للمحافظة على

كياننا الذي هدده العدو الرابض على حدودنـــا بالسلاح الذي منحتموه اياه .. وبخلتم علينا به .

هل عرفتم لماذا مال جمال الى الشرق ؟

ومع ذلك لم يفقد توازنه كما ظننتم .. بل مد اليكم يده علكم تعقلون وتمنحوننا الجزء الاخـر من حياتنـا .. تمنحوننا محقـق الرخـــاء بعد أن سلبتمونا أسباب الامن ..

ولكنكم استمررتم على ميوعتكم السياسية أو سياستكم المائعة .

واليوم تضجون بالصخب لان شبيلوف حضر الى مصر وتزعمون انه خرق القواعد والاصول لانه دعي كرئيس تحرير البرافدا ، وكان يجب عليه أن يعتذر بعد أن عين وزيرا للخارجية لان الدعـــوة حددت الا تزيد درجة المدعو عن سفير .. ولكنه لم يرد أن يضيع الفرصة ليطير الى جمال ، ويجر رجله في تعاون أوثق .. وانه قد حمل في حقيبته تجديدا للعرض السوفياتي في تمويل السد العالي وانه قد يعرض أيضا معونة الاتحاد السوفياتي في تأييـــد قرار تقسيـــم فلسطين ، ونـــزع الاراضي التي استولت عليها اسرائيل والتي تبلغ ثلث الـ ٨٠،٠٤٨

ميل مربع التي تحتلها اسرائيل .

أهذا هو الذي تخشون أن يجر رجل عبد الناصر فيه ؟

أحقا هذا هو ما تخشون منه على جمال عبد الناصر ؟

اما انكم تمزحون .. أو انكم مهابيل ؟

نحن من أول الامر لا نريد أكثر من السلاح الذي يؤمن سلامنا .

واعادة حقوق الشعب المشرد اليه ، ورده الى أوطانه .

وتحقيق المشروع الذي يمنحنا الرخاء .

ولقد حصلنا على السلاح .. وبقي علينا أن نعيد الشعب المشرد الى أرضه .. وأن ننفذ المشروع الذي يحقق لنا الرخاء الشامل .

أتظنون ان من يقدم الينا هذا .. يجر رجلنا الى تعاون أوثق ؟

لماذا لا تفعلون هذا أنتم ؟

هل تقدمتم به الينا ورفضناه ؟. اذا كنا نرفض تمويل السد العالي .. ولا نقبل تأييد قرار الامم

المتحدة .. ماذا تريدون منا أن نقبل ؟.

ماذا تستطيعون أنتم أن تمنحونا .. اذا كنا لا نميل الى الشرق .. وهو يعرض علينا هذا ؟.

فأي شيء يجعلنا نميل اليكم ؟ سواد عيون دالاس ؟.. أم تثني مارلين مونرو ؟

ان المسألة .. مسألة مصالح .. أولا .. ومصالحنا واضحة محددة .. ليس فيها غموض .. ولا التواء .

لقد اختتم كاتب المقال مقاله بان اعتلاء جمال القمة لن يطول باعتماده على معاداة الغرب وسياسة التكتل العربي بقدر ما يعتمد على نجاحه في رفع مستوى المعيشة المنخفض بين المصريين . وان هذا سيحتاج الى النقود التي لن تتوافر لمصر باستمرار لمحافظتها على جيش مسلح عماده ٨٠ر٠٠٠ جندي .

ونسي كاتب المقال انه اعترف بمشروعات عبد الناصر للتصنيع (الصلب والصناعات الكيمائية والكاوتش والسماد) ونسي أن المشروع الذي يخشى أن يجر رجله فيه سيزيد المساحة المزروعة الى الثلث .

ونسي أيضا أنه لا رخاء بلا أمن ولا أمن بلا سلاح .

هذه هي سياسة عبد الناصر البسيطة الواضحة .. ليتهم يفهمونها ؟

يا جمال .. ظهرك مسنود جداً

٣٠ يوليـــو سَنة ١٩٥٦

سمعتك هذا الاسبوع تؤمم القنال وقلــت في خطبتك انك لم تفعل ما فعلت الا وأنت تحس أن ظهرك مسنود بشعب بأكمله .

ولا أظنك في حاجة الى من يؤكد لك ـــ بعــد خطوتك الاخيرة ـــ شدة القوة الخارقة لهذا السند الذي يسند ظهرك .

لقد أبصرت بعينيك وسمعت بأذنيك الشعور المتفجر والاحساس الجارف بتأييدك .

وما لم تبصره كان أجل وأعنف وأقوى ، لـــم تبصر الشباب الذي لم يستطع الحضور لسماعك وهو يضم أجهزة الاذاعة وكأنه يحتضنك ، ولـــم تبصر الفتيات الصغيرات وهن يؤكدن استعدادهن للتضحيـــة بكل ترف وراحـــة يوفرون لـــك كل قرش لتبني به السد .

لم تبصر معارضيك الـذين أوغرت صدورهم بسبب اضرار شخصية ألحقتها بهم بعض اجراءات الثورة وهم يهتفون لك بعنف وحرارة ، لانك بعد أن صرت رئيسا للجمهورية واستتب لك الامر لم تهدأ وتسترح وتسد الباب الذي يأتي لك منه الريح ، وتستمتع بجاهك وسلطانك بل اندفعت كأي ثائر شريد ليس لديه ما يخشى فقـده .. لكـي تكسب لامتك أقصى ما تستطيع .

لم تبصر أنت .. ما أبصرت أنا .. ولم أبصر أنا ما أبصره غـيري وغـيرك .. مما لو جمعتـه .. لضاعف احساسك .. بالقوة العظمى لهذا السند الذي تستند اليه .. والذي ملأك احساسا بالقوة والجرأة .

* * *

ان هذا السند وراءك الى ما لا نهايـة .. وهو على استعداد لان يفعل ما تطلب .. على استعداد لان يحتمل الجوع .. ويلبس الخيش ..

هذا السند على استعداد ببساطـة أن يكسر الطوب والزلط الذي قلت انه يزيد دخلنا الخمسة الملايين التي يريدون أمرنا بها .

واحتمال الجوع .. ولبس الخيش هـو أكـرم الطرق .. لكي نبني سدنا العالي ٠. ونحقق الرخاء لانفسنا ولاجيالنا القادمة ..

ان هـذا السند الـذي وراءك من أصحـاب السوابق .. في البناء .

أيستعصي عـلى بنـاة الأهـرام .. بعرقهـم وسواعدهم .. قبل الميلاد .. أن يبنوا السد العالي في القـرن العشرين ، بنفس العـرق .. ونفس السواعد ..

يا جمال .. خذ لامتـك حقوقهـا .. بنفس الشجاعة .٠ ونفس الجرأة .

وثق ان ظهرك الان ليس مسنودا فقط بـل مسنودا جدا جدا ..

ما يعجبنا .. وما لا يعجبهم

١٨ أغسطس سنة ١٩٥٦

جمال عبد الناصر لا يعجب الحكومة البريطانية صرح بهـذا مستر ايـدن رئيس وزرائهم في خطبة طويلة عنيفة ..

وصرح بهذا سلوين لويد وزير خارجيتهم في خطبة أكثر طولا وأشد عنفا .

ولم يأت كلاهما بجديد . فالمفروض في جمال .. ألا يعجبها .. لانه اما أن يعجبنا .. أو يعجبهم .

وجمال يعجبنا .. لنفس الاسباب التي فقد من أجلها اعجابهم .

يعجبنا .. لانه طردهم من أرضنا .. ويعجبنـا لانه سلب منهم القنال التي ورثوها عن أجدادهم . والتي زعم وزير الخارجيـة ان الاشراف الدولـي عليها لا يمكن أن ينتقص من سيادة مصر عليهـا ، لمجرد أن القناة تمر بأرض مصرية .. كأن مرورها

بمصر جاء عفــوا .. أو كأنما كــان مفروضــا أن يسيروها في تركيا أو امرائيل ولكنها ضلت وخرمت الى مصر .. فهي معبر خاص لهم .. مبهاهم وزاغ الى الاراضي المصرية .. فحقنا فيه لا يزيد عن حـــق صاحب البيت في الكتكوت الــذي قفز اليه من بيت جاره .. لا حق لنا فيه ولا سيادة عليه .

جمال يعجبنا اذن .. لانه قد فعل ما لا يعجبهم .. واعجابنا به قد زاد عندما أكدوا لنا بسذاجة في خطبهم عدم اعجابهم به .. ولست أدري كيف ضاع عن بالهم ان اعجابنا بزعمائنا ــ كان على مر التاريخ ــ يتناسب تناسبا عكسيا مع اعجابهم .. وانه لم يضع الزعماء في مصر .. قـــدر رضاهم عنهـــم واعجابهم بهم ..

وبعد ان أعلن حكام بريطانيا عن عدم اعجابهم بجمـــال ... وهو شــيء متوقــع ومفــروض .. كان عليهم .. أن ينتزعوا اعجابنا بهم .. بطريقــة ساذجة .. بدائية .. وهي طريقة التوقيع .

ولم يكن يخطر ببالي قط .. أن يشتغل رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيتها موقعاتية .. حتى قرأت حديثهما ..

قال السادة الموقعاتية .. انهـــم يحبوننا ..

وانهم يفعلون الكثير لخلق الشعور بالقومية العربية وتدعيمه ، وإنه ليس بيننا وبينهم أية خصومة .. كل الخصومة .. بينهم وبين جمال عبد الناصر ..

ولكي نصدق هـذا .. يجب ان نقتنع بأحـد أمـــرين ، امـا أن يكون بين جمـــال وبينهـــم « تار بايت » كأن يكون قد قتل أبا ايدن .. أو أن يكون بينه وبين سلوين لويد نزاع على ميراث .. أو أن تكون مصر .. والقنال ملكا لشخص جمال .. وان طردهم من مصر واسترجاعه للقنال .. لم يكونا الا لانه معذور في عشرة ملايين جنيه .. يفك بهـــم ضيقه .

هذان هما الامران اللذان يمكن أن يقنعانا بأن المسألة محض خصومة شخصية بين جمال وبينهم.. واننا لا ناقة لنا في المسألة ولا جمل ..

واذا كان السادة الموقعاتية يمكن أن يقنعانـا بأحد هذين الامرين .. فلا أظن أحدا غيرهما يمكن أن يقتنع بهما الا اذا فقد عقله ..

والسادة الموقعاتية .. احباؤنا .. المخلصون .. ويؤكدون لنا أن عدونا .. جمال .. يريد استغلال القومية العربية ــ التي فعلوا هم الكثير لخـــلق الشعور بها ودعمه ــ في سبيل تحقيق مطامعه ..

ومطامع جمال .. كما اكتشفوها هي :
أولا ـ السيطرة على الدول العربية والبترول.
ثانيا السيطرة على القارة الافريقية بأكملها .

ولست أدري ماذا يمكن أن يزعجنا نحن في أن تكون هذه مطامع جمال التي يريد استغلال القومية العربية في تحقيقها .

أنا أفهم ان المسألة تزعجهم هم .. لانها ستفقدهم السيطرة التي تهيء لهم استغلال الدول العربية والقارة الافريقية واستغلال أهلها وسلبهم أرزاقهم .. ونحن نرحب بفقدهم لهذه السيطرة .. فهي ضمان .. لحصولنا على أموالنا المسلوبة وأرزاقنا الضائعة وحرياتنا المهددة .. لان جمال بسيطرتهم .. لا يمكن ان يستولي لنفسه على ما كنتم تستولون عليه لشعوبكم بسيطرتكم .

نحن لا ننزعج أبدا .. من أن يحقق جمال مطامعه .. نقد حقق الجزء الأول منها فعلا .. فاستطاع أن يحرك العرب من الاطلنطي الى الخليج الفارسي .. ليقفوا وقفة رجل واحد .. تعبيرا عن شعورهم واعلانا لسخطهم .. وهو يستطيع أن يحركهم لاكثر من هذا .. لانهم يثقون به ويعرفون الى أين يسير بهم ..

وأؤكد لكم اننا نتوق الى اليوم الذي يحقق فيه الجزء الثاني من مطامعه ... وان اليوم الذي يسيطر فيه على القارة الافريقيـــة .. ويفقدكم السيطرة عليها ... ويحرر شعوبها من استعبادكم .. وبالطبع سيزداد عدم اعجابكم به .. سيكون اعجابنا به قد بلغ أشده ..

انكم تتهمونه بأنه ديكتاتور عسكري ..

فليكن كذلك .. لن ننفي عنه أية تهمة .. ليكن عدوا لنا .. وليكن ديكتاتورا عسكريا .. وليكن شيطانا رجيما .. ولكن ما دام قد حرر أرضنا منكم، وسلب لنا القناة التي تمـــــر بأرضنا .. وما دام سيحرر العرب من البترول .. وسيحرر افريقيا .. فليساعده الله .. وليمد لنـــا في عمره حتى يحقق مطامعه .

ان عمر جمال ٣٧ عاما .. **وأقصى ما يمكن أن يعيشه بيننا خمسون عاما أخرى** .. ونؤكد لكم اننا نستطيع احتماله هذه الخمسين عاما .. اذا استطاع أن يحقق مطامعه .. التـــي ستضمن بها الحريـــة والرفاهية .. لانفسنا وللاجيال القادمة .. لمئات بل لآلاف السنين .

الوضوح .. والايمان .. والشجاعة

٤ سبتمبر سنة ١٩٥٦

من أين يستمد جمال عبد الناصر قوته ؟
ما هي عناصر هذه القوة الخارقة .. التي تمنحه هذا الثبات والاصرار .. والاعصاب الحديدية ؟

ان مركبات هذه القوة .. من أبسط العناصر

.. وان كانت في جملتها تكون هذا المظهر المعجـــز الخارق .

أول هذه المركبات هو الوضوح .. انه يعرف ما يريد بلا لف ولا دوران ولا تعقيد ..

ثاني هذه العناصر هو الايمان .. انه يؤمـــن ايمانا عميقا مطلقا بما يسعى اليه .. مؤمن بأنه واجب عليه وحق له لا بد ان يأخذه

والعنصر الثالث هو الشجـــاعة المستمدة من الاستهانة بذاته فهو في قرارة نفســـه يؤمن بأن الاهداف التي يهدف الى الحصول عليها أثمن آلاف

المرات من شخصه فهو موقن بأن خسارته في شخصه لا يمكن ان تقاس الى ربح بلاده منه .

انه لا يعرف المناورات السياسية لانه يعتقد ان السياسة كالحرب لا تحتاج الا لان تؤمن بما تحارب من أجله أولا .. وان تعــــرف الهدف الذي يتحتم عليك الوصول اليه ثانيا .. ثم تنسى نفسك وتخرج شخصك من حساب الارباح والخسائر ولا تضع لذاتك قيمة في ميزان المعركة بل تتقدم في ثقة وقد خلا ذهنك الا من هدفك .. ولم تعد حياتك بكل ما يتعلق بها يشغل منه قيد أنملة .. وباتت اصابتك أو مصرعك لا يعني في نفسك شيئا ، وانما هدفك هو كل شيء فان بلغته فالنصر لوطنك وان سقطت دونه فقد مهدت الطريق لمن يتبعك .. ودفعت في قلوبهم من الشجاعة ما لا بد أن يوصلهم الى ما فقدت من أجله نفسك .. وضحيت ذاتك ..

وكل ما استطاع جمال عبد الناصر أن يبلغه لم يبلغه الا بقوته المستمدة من هذه العناصر الثلاثة : الوضوح والايمان والشجاعة .

وفي كل خطواته حققت له هذه المركبات نجاحا كاملا ..

الثورة ذاتها كانت نموذجا لطريقته في العمل وقدرته المستمدة من الوضوح والايمان والشجاعة.

عندما قام بالثورة كان يعرف ما يريد ويؤمن به وعندما بدأ تحقيقه كانت نفسه ونفس زملائه آخر ما أدخلوه في حسابهم عند بدء المعركة .

وعندما قام بصفقة الاسلحـــة كان يعرف أن وطنه مهدد ويؤمن تماما ان الطريق لتأمينه هي عقد الصفقة فعقدها .. وكان مصيره آخر شيء أدخله في اعتباره .

وعندما أمم القناة أممها بنفس الطريقة .. كان يعرف ان استقلال مصر لا يتم وفي الدولة دولة اخــــرى .. ويؤمن بأن الطريقة لتحقيـــق الاستقلال هي استيلاء الدولة الكبرى على الدولة الصغرى .. فقام بعملية الاستيلاء .. وعندمــــا تحقق هدفه كانت ذاته آخر ما في حسبانه .. لقد أممها بنفسية المقاتل الذي يسعى الى حقه المغتصب وليس بنفسية السياسي المناور الذي يلف ويدور .. وعندما يقــف جمال ليدافع عن الحـــق الذي استرده انما يدافع بنفس الطريقة .. الوضوح .. والايمان .. والشجاعة .

انه يعرف ان القناة جـزء من ارض مصـر .. حفرت بسواعد ابنائها .. وانها ملك لمصر بلا شريك ولا منازع .. ويؤمن بقدرة مصر على ضمان حرية الملاحة في قناتها .. وعلى تحمل مسؤولياتها كاملة أمام العالم ، ولديه الشجاعة الكامنة .. لمواجهـة كل الاحتمالات .. في سبيل المحافظة على حق مصر ..

وهو في دفاعه .. لا يقف وحـده .. فالشعب كله يدرك المعركة التي يخوضها .. الشعب كله يعرف بوضوح ان القناة ملكه .. وانه مسؤول مع جمال عبد الناصر على المحافظة عليها .. وانه مستعد لمواجهة جميع الاحتمالات أيا كان نوعها .. ويعرف ان مصيره معلق بشجاعته ..

وجمال .. عندما دخل معركة القناة .. لم يضع شخصه في حساب الارباح والخسائر .. ولـكن الشعب .. وضع نفسه .. فقد [illegible] معركته هو .

ان جمال عندما يتحدث .. او يتصرف .. انما يعبر في حديثه أو أفعاله عن الملايين .. الواضحـة المؤمنة .. الشجاعة .. التي عزمت على أن تأخـذ حقها كاملا .



الانخادع والاضلل

٢٩ يولـيو سنة ١٩٥٧

عاودتني ذكرى أزمة مارس الشهيرة عام ١٩٥٤ .. ان الشيء الوحيد الذي رسب منها في أعماقي .. هو قول « جمال عبد الناصر » والازمة في أشدها « أنا لم أخادع .. ولم أضلل » .

وقد ذكرت جملته تلك وأنا أسمع قاعة مجلس الامة تضج بالحماس عندما وصل في خطبته الى فقرة الاعتراف بالخسائر .. والاقرار بأنه كانت هناك أخطاء .

وذكرت حينذاك .. قوله في أزمة مارس .. « أنا لم أخادع .. ولم أضلل »

و « جمال عبد الناصر » .. به مزايا جمة .. ولكني لست أدري لماذا أحس في قرارة نفسي .. أن السر الحقيقي لنجاحه ، هو أنه لا يخادع ولا يضلل .

لقد نجح في سياسته الخارجية .. لانه كان

صريحا واضحا .. لم يحاول أن يستعمل في وسائله .. أحابيل السياسة وأباطيلها .. لم يحاول أن يساوم .. ولا أن يطلب شيئا ثم يقبل بعضه ..كان يعرف ماذا يريد .. ويعرف أنه حق .. وكان يطلبه صراحة .. وبلا لف ولا دوران .

ولقد تعود ساسة العالم . اللف والدوران . وتعودوا المساومة .. واذا « بجمال » يريد حقا ما يطالب به ، ويعني حقا ما يقول ، واذا به لم يخادع ولم يضلل .

في الداخل .. لم يكن له وجه آخر يقابل به الشعب .. غير الوجه الذي قابل به ساسة العالم .

لم يكن لديه قط في وقت من الاوقات ما يخفيه عن الشعب .

كان يستطيع في كل وقت أن يقف أمام الشعب .. وبمنتهى البساطة .. يقول له كل شيء .. وهو الواثق الآمن المطمئن .

لاول مرة في تاريخ مصر .. لم تكن هناك وثائق سياسية .. ومفاوضات سرية .. ولا كانت هناك تصريحات غامضة .. أو أحاديث مبهمة أو خطب ملتوية مهدئة .

ولاول مرة .. في تاريخ مصر .. وجد الشعب نفسه أول المطلعين على خبايا السياسة وأسرارها .

ولاول مرة .. أحس الشعب .. بالثقة التامة .. في فرد يتحدث باسمه .. ويعمل له .

ولاول مرة .. وجد الشعب نفسه .. أمام سياسي .. غير محترف .. سياسي فدائي .. لا يخادع .. ولا يضلل .

خمس سنوات .. مضت .. و « جمال » .. يقف في كل أزمة .. ليواجه الشعب بالحق .. ويقول له : فعلت كذا . وقلت كذا .

وفي نهاية الخمس السنوات عندما وقف أمام ممثلي الشعب .. وأعلن كشف الارباح .. لم يجد غضاضة أبدا .. في أن يعلن كشف الخسائر .

والعجيب أن ممثلي الامة.. كانوا أشد حماسة .. وهتافا .. أمام الاعتراف بكشف الخسائر لانهم أدركوا أنهم أمام .. انسان يصيب ويخطيء .. شجاع لانه يعترف بأنه أخطأ .. ملأتهم به الثقة .. لانهم أدركوا أنه من نوع لا يخادع .. ولا يضلل .

قصة حديث أو ذكرى فشل

٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٧

أحتفل اليوم بذكرى أحد أيام فشلي .

يوم فشلت في أخطر حديث صحفي حصلت عليه في حياتي الصحفية .

كان ذلك منذ عامين يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٥ بعد أن أعلن الرئيس « جمال عبد الناصر » للشعب صفقة الاسلحة في خطبته في معرض القوات المسلحة وقد ذهبت لزيارته . زيارة لم أقصد بها قط أن أحصل على معلومات سياسية أو أن أحرز بها نصرا صحفيا . وخرجت من عنده وقد حصلت على أخطر حديث كان يمكن أن يحصل عليه انسان يومذاك .

وجلست أسطر الحديث في سرعة وحماسة .

ونجحت في كتابة الحديث ، ولكني فشلت في الحصول على اذن بنشره .

ومر عام وحل يوم الاحتفال بجلاء المستعمر في ١٨ يونية سنة ١٩٥٦ وبدت لي الفرصة سانحة من جديد لنشره ، ولم أشك في أن بالحديث ، رغم مرور عام عليه ، شيء يستحق أن ينشر على الناس

وأرسلت الحديث من جديد لكي أحصل على اذن بالنشر ومعه المقدمة التالية بعنوان :

« من التاريخ القريب »

منذ تسعة أشهر خلت ، وبالتحديد في يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٥ ، زرت الرئيس « جمال عبد الناصر » في منزله ، عقب تصريحه الذي أعلن فيه صفقة الاسلحة التاريخية .

وجلست أنصت اليه وهو يتحدث .. حديثا هادئا ملؤه الثقة والايمان .. قائلا لي : « ان السياسة كالحرب .. تحتاج قبل كل شيء الى شجاعة » ، وعدت الى منزلي ، ووجدتني أجلس لاسجل ما سمعت ، وعندما أتممت كتابته طلبت الرئيس في التليفون قائلا :

ــ لقد كتبت ما قلت لي .. هل أستطيع نشره ؟

وبدا لي أن الرئيس لم يكن يتوقع أن أكتب ما

قال .. ووصل الي صوته بعد لحظة صمت يقول :

ـ اقرأه لي •

وأخذت في قراءة الحديث ، وعندما انتهيت من قراءته ، سادت لحظة صمت ثـم سمعت الرئيس يقول :

ـ لا داعي لنشره لاني أشعر أنهم قد بـدءوا يتراجعون ، لقد عرفت الآن أن المندوب الامريكي حائر ، لانه يعرف أنه لو جاء ليبلغني التهديـــد الامريكي .. فسأطرده . وأنه اذا سافر دون أن يبلغـــه لي فسيطردونه هـــم .. اني واثق أنهـم سيسحبون تهديدهم .. فلا داعي لاستفزازهم .

وصمت أنا .. وبدا لي أن الرئيس قد أحس بخيبة أملي لانه أردف يقول على سبيل العزاء :

ـ احفظه للتاريخ .

ووضعت الحديث في ظرف ووضعت الظرف في الحقيبة وانتظرت حتى يأذن التاريخ .

وفي هذا الاسبوع فتحت الحقيبة فوقعت عيني على الظرف وقد كتبت عليـــه : « حديث الرئيس جمال » ..

وأعدت قراءته .. وبدا لي من فرط ما مر بنا من أحداث ، أن الحديث قد طال عليه الزمن ، وأننا في هذه الفترة الحاسمة التي تقف فيها مصر على حافة حياة جديدة أشرقت في آفاقها أضواء الحرية قد بات كل ما وراءنا وكأنه تاريخ .

واستأذنت التاريـــخ في نشر الحديث فأذن ، انصافا لصاحبه بقي أن أستأذن صاحبه .. لعلـه يأذن انصافا للتاريخ .

والى هنا تنتهي المقدمة التي كتبتها للحديث .

ومرة أخرى لم يأذن صاحب الحديث بنشره .. علمت ذلك عندما أسر الي باسما يوم الاحتفال بيوم الجلاء بنادي الضباط: « ما فيش داعي لنشره، خليهم يمشوا من سكات » .

وعدت أطوي الحديث في الظرف ، وأطـــوي الظرف في الحقيبة ، وبنفسي نوع من الحسرة .. على نصري الصحفي .. الذي لم أستطع أن أريـه ضوء النشر .

ولم يمض شهر .. حتى أذيع الحديث ، لم أذعه أنا بالطبع ، وانما أذاعه صاحبه .. بلسانه ..ضمن حديثه الذي رج به العالم رجا ، والذي أمم به القناة

في أروع خطبه يوم ٢٦ يولية سنة ١٩٥٦ .

وجلست أستمع الى خطبتــه ضمن ملايــين الناس في أنحاء العالم ، واستطعت أن أميز فيفقرات من الخطبة .. أهم معالم الحديث الذي أفضى بــه الي ، والذي كنت لم أزل آمل أن أكون أول مــن ينشره على الناس .

ووسط فرحتي الطاغية بالتأميم لم أستطع أن أمنع احساس الأسف على ضياع السبق الصحفي من يدي ، بعد عام من الانتظار ، وان كان عزائي في ضياعه ، أنه لم يسبقني به سوى صاحب الحديث وصانعه .

واليوم وبعد مرور عامين ، أقلب في الحقيبــة وأفتح الظرف ، وألمح على الورق تاريخ ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٥ ، وأحس برغبة جارفة في نشره ، على سبيل الذكرى ، ذكرى فشلي الصحفي الذريع .

ولا أظنني في حاجة هذه المرة ، الى الحصول على الاذن بنشره ، بعد أن أذاعه الرئيس في خطبــة التأميم على أوسع نطاق .

٣٠ سبتمبر ١٩٥٥ « جمال عبد النــاصر » يقول :

« لو كان حقا لنفسي لتنازلت عنه .

ولكن حق بلدي لا أملك التنازل عنه .

أنا لست من محترفي السياسة .

ليس لدي ما أخشى عليه » .

لست أدري بم أسميه ، هذا الشيء الـــذي سمعته من الرئيس « جمال عبد الناصر » لم يكن قطعا حديثا صحفيا ، لاني لم أزره وفي رأسي سؤال محدد .

بل لست أدري ماذا دفعني الى زيارته ، اذ لم يكن في نفسي غرض معين ، اللهم الا احساس خفي بأن الرجل يخوض معركة ، وأني أود أن أشد على يده .

سمعت خطبته في معرض القوات المسلحـة ، ورأيته يصعد فوق المنصة ويقف أمام الميكروفون ، لا وقفة الخطيب بل وقفة المصارع ، وقد بدت في وقفته وضخامة جسده وعرض منكبيه قوة عجيبة .

وبدأ حديثه أول الامر في هدوء ... بضـــع كلمات تحية وشكر ، ثم ما لبث أن اندفع يهدر .

وقد خرج حديثه من صدره في حرارة عجيبــة

كأنه نفثة مصدور ، وتدفقت الكلمات من فمه واضحة محددة لتجزم بأنه لم يعد لاحد سلطان علينا سوى مصلحتنا ، وأن سلامتنا ، وحريتنا قبل كل شيء .

وسمعت بعدها صراخ الغرب وضجيجه وأبصرت النذر تلوح في صيحاته .

وذهبت اليه .. دون أن أعرف بالضبط لماذا أنا ذاهب ودون أن أحدد في ذهني ما أنوي قوله .. ودخلت عليه في داره ، فوجدته يقف وحيدا في حجرة مكتبه بالقميص والبنطلون ، ومددت يدي فشد عليها باسما .

وتساءلت وأنا أحقق في قسمات وجهه التي تملؤها الطمأنينة والهدوء :

ـ ازاي الحال ؟

وأجاب ضاحكا :

ـ كويس .. زي مانت شايف .

ولم أكن أرى هدوءا الا في قسمات وجهه .. كان الجو كله ينذر بالضجيج .

واتخذنا مجلسنا على مقعدين متقابلين ، واتكأ

بظهره على مسند المقعد ، ومد ساقيه الطويلتين ، وأخذ يحرك ركبتيه في حركة منتظمة قد تكون هي المظهر الوحيد ، لاثر الاحداث الضخام على أعصابه.

ولم أكن ــ كما قلت ــ أعرف ماذا أنوي قوله ولا ما أريد منه أن يقول ، ولم يكن في نيتي حديث صحفي ، ولو حاولت لما استطعت ، لاني صحفي فاشل لا أعرف كيف أستدرج جليسي الى الحديث .

كل ما كنت أرغب فيه .. هو أن أشد على يده .. وقد فعلتها ، واطمأننت عليه ، وقلت له في سؤال بسيط :

ــ الجماعة عاملين ايه ؟

وكنت أقصد بالجماعة « الامريكان » طبعا ، وضحك الرئيس جمال وامترسل في الحديث :

ــ ان دلاس يكاد يجن فهو يعتبرها .. مسألة مستقبله ، وقد أرسل تهديدات شديدة .

وسألته :

ــ غير التهديدات التي نشرتها الصحف .. بخصوص المعونة الاقتصادية ؟

ــ أجل ، وأنا لم أعرفها بعد بالضبط ، ولكني

مسئلت ألا أتخذ لها اجراءات ايجابية .. بل أتركها تمر .. وقد أنبأتهم أنـي سأرفض كـل ما يمس سيادتنا كأمة مستقلة .. وأني سأرد كل ما أنذر به ردا ايجابيا .. وأنـه لو أنذرت بقطع المعونـة الاقتصادية فسأقطعها في الحال وأعلن هذا . وأني لو أنذرت بقطع المعونة الفنية فسأقطعها في الحـال وأعلن هذا •. وأني لو هددت بقطع العلاقـات فسأقطعها في الحال وأرفض لقاء مبعوثهم وآمـره بمغادرة البلاد فورا . اني أعرف أن كل عمل يقدمون عليه سيصيبهم ضرره قبل أن يصيبني ، ولقد قلت لهم : اني لست من محترفي السياسة ، وليس لدي ما أخشى عليه ، واذا كان الأمر يتعلـق بشخصي لاستطعت التنازل بسهولة .. أما حق بلدي .. فلن أتنازل عن شعرة منه .

وتساءلت :

ــ ولكن هل تظنهم سيقفون مكتوفي الايدي ؟

ــ ماذا يستطيعون فعله ؟

ــ هل تستعصي عليهم الألاعيب الداخلية .. كما حدث في ايران ؟

ــ لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئا .. اننا نعرف

جيدا كل العناصر التي يمكنهم الاعتماد عليهـــا ، ونعرف كيف نضعها في جحورها ، وهي قلة ضئيلة ، أمام شعور الشعب الجارف المؤيد .

وقلت أتساءل في دهشة :

ــ عجيبون هؤلاء الامريكان .. لقد كنت أتخيل أنهم يجب أن يؤيدوك الى أقصى حد ، ويجـب أن يكتسبوك في جانبهم ، اذا كانوا حقا يحاربـــون الشيوعية .

ــ أنت حسن النية .. لقد كنت أحسن الظـن بهم مثلك في بادىء الأمر .. وأؤكد لك أني لم أكن أطول صبرا في حياتي كما كنت معهم . وعندما قلت في خطبتي : اني أرقت ماء وجهي في سبيل السلاح لم أكن مبالغـــا ، لقد قلت الخطبـة من قلبــي .. لقد أمضيت طوال الثلاثة الاعوام وأنا أحـاول أن أنتزع منهم قطعة سلاح ، ولكنهم كانوا قد قـرروا سياسة ثابتة تقضي بألا يمكنونا من التسلـــح ، ووضع التهديد بالغاء صفقات السلاح ، سيـف مسلط على أعناقنا يهددوننا بـه ، كانوا يريدون ربطنا بمشروع الامن المتبادل ، ومشروع حلـــف بغداد . وبعد ذلك كله كانوا يريدون تقطير السلاح لنا . انهم يعرفون جيدا أننا نقاوم الشيوعية ولكنهم

يعرفون أننا نحـــارب الاستعمـــار ونؤيد كفــاح الشعوب من أجل حريتها . وقد أصبحت كلها تتجه الى مصر وتنظر الى مصر كقبلة حريتها . ونحن لن نتنازل عن موقفنا أبدا .. وهم يعرفون تماما أننا لن نلقي بأنفسنا في أحضان أحد ، ولكن ما يزعجهم هو تقلص نفوذهم وزواله زوالا لا رجعة فيه .. وقد أيدتنا كل بلاد العرب ، وأجمعت صحفهم الموالية وغير الموالية ، على ضرورة اتخاذ كل البلاد العربية الموقف الذي اتخذناه وهذا هو ما أفقدهم وعيهم .

اني لم أفعل أكثر من أني طلبت السلاح لامتي السلاح الــذي يجعلهــا قادرة على الدفاع عن نفسها وطمأنينتها وسلامتها ضد أي اعتداء . لقد مرت بي أوقات عصيبة عندما هدد اليهــود حدودنا في غزة والصابحة .. لم أذق خلالها النوم .. والآن أحس بالطمأنينة لاننا نملك السلاح وأشعر أني أستطيع أن أنام ملء جفوني .. لاننا لم نعد عزلا .

وابتسم الرئيس جمال ابتسامته الهادئة ومد ساقيه وأراح ظهره .

وأحسست من حديثه ثقة وطمأنينة ، وبدت لي لاول مرة شخصيتنا المستقلة حقيقة واضحة لا وهم ولا خيال ، وأحسست أن شجاعة فـــرد قد استطاعت أن تحدد شخصية أمة .

رحمه الله .. لم يكن شيوعياً

١٤ أبريل سنة ١٩٥٨

قرأت حديث الرئيس « جمال عبد الناصر » الذي يرد فيه على ٢٢ سؤالا وجهها اليه « فرانك كيرنز » مندوب شركة كولومبيا للاذاعة .

واستوقفني في الحديث المنطق العجيب للاسئلة .. وصراحة الرئيس في الرد عليها .

لقد سأله المندوب بقوله : ان سياستكم هي الحياد . ومع ذلك فأنتم تهاجمون الاستعمار الغربي، ولا تهاجمون الكتلة الشيوعية .. فكيف تفسرون ذلك ؟

وأجاب الرئيس : بأن الغرب هو الذي شن علينا حرب الدعاية والحرب السياسية والحرب الاقتصادية . فقد جمدت أموالنا في بريطانيا والولايات المتحدة ، وتركنا من غير نقد أجنبي نواجه ضغط الدول الغربية الكبرى علينا .

وفرض علينا الغرب حصارا اقتصاديا منعنا من بيع القطن وهـــو محصولنا الرئيسي وكانت سياسته هي تجويعنا بعد فشل العدوان المسلـح علينا ، فامتنعت أمريكا عن بيع القمح لنا بينما كان الفائض لديها كثيرا لا تعرف كيف تتخلص منه ، وكنا في أشد الحاجة إليه بعد أن نفد مخزوننا منه بعد ظروف العدوان .. كما امتنعت عن بيع الادوية رغم حاجتنا الحيوية اليها .

وفي نفس الوقت عرضت علينـــا روسيا أن تشتري قطننا منا . كما عرضت أن تبيعنا ما نحتاج اليه من القمح .

فهل كان يتعين علينا أن نرفض بيع قطننا ، ونرفض شراء القمح ، ونستسلم للجوع ؟

وأنا أستطيع أن أتصور من رد الرئيس .. كيف كان يمكن أن نتصرف ازاء أمريكا .. بعد أن فعلت بنا ما فعلت حتى تقر بنا عينا .. وتنعم بنا بـــالا .

كان علينا بمجرد أن تجمد أرصدتنا .. أن نرفع أكفنا الى السماء شاكرين حامدين صائحين :
ــ الحمد لله .. لقد أراحتنا أمريكا من دوشة

الارصدة ، وتعب التعامل والتجارة ، ومشكلات الاستيراد .. أراحك الله يا أمريكا .. وسدد خطاك .. وزادك من قدرة على حجز أموالنا .. وخنق اقتصادنا .

فاذا ما رفضت شراء القطن زدنا تهليلا وتكبيرا واندفعنا في مظاهرات راقصة ، صاخبة هاتفة :

ــ برافو أمريكا .. لقد وفرت علينا بيع قطننا .. اننا في غير حاجة الى ثمنه أبدا ، وخصوصا بعد أن جمدت أرصدتنا .. لقد بتنا نكره النقد ، والتعامل .. اننا سعداء بتخزين قطننا .. فرحون بالتجسس على بالاته . من قال اننا نريد أن نبيع القطن ؟! من قال اننا نريد ثمنه ؟! أبدا أبدا .. اننا لا نريد غير راحة بال أمريكا .. ورضائها .

فاذا ما رفضت أمريكا أن تبيعنا القمح .. فاضت بنا السعادة ، وأغرقتنا الفرحة .. واندفعنا الى بيوت الله نقدم صلوات الشكر والحمد راكعين ساجدين .. مبتهلين الى الله أن يحفظ أمريكا .. هاتفين به :

ــ اللهم احفظ أمريكا .. اللهم أدم عزها وسلطانها .. لقد منعت عنا القمح .. حتى تريح

بطوننا .. وتعلمنا الزهد والتقشف .. لقد منعت عنا القمح .. حتى تخلصنا من مشكلات الدنيـــا ومتاعبها .. وتمنحنا الحياة الاخرى .. وهي أدوم وأبقى .

فاذا ما أتت الينا روسيا .. لتعرض علينا شراء القطن كان علينا أن ننظر اليها في شك وارتياب ، ونقول لها حانقين :

ـ ليس عندنا قطن نبيعه .. ابتعدي عنا .. نحن لا نريد نقودك .. حتى لا تظن بنا أمريكا الطاهرة الظنون .. ابتعدي عنـــا حتى لا تتهمنا أمريكـــا بالشيوعية .. فتحرمنا نعماءها .. وبركاتها .

فاذا تقدمت الينا .. بأكداس القمـح الـذي نحتاج اليه أعرضنا عنها وأنحنا بوجوهنا وهتفنا في دهشة واشمئزاز :

ـ قمح ؟! قمح روسي .. يحمر بطوننـــا ، ويصيب أمعاءنا بالشيوعيـة .. ماذا تظنيننـا ؟.. رمراميين .. مفجوعين .. اننا قوم نكره الطعـام ، ونحب الجوع .. ابعدي عنا بقمحك الاحمر .. ان رضاء أمريكا عنا .. هو كل ما نبغي من دنيانـا ،

وخير لنا أن نهلك برضائها .. من أن نعيش بقمحك الروسي الأحمر .

فاذا لم تصدق أمعاؤنا هذا الكلام .. وأصرت على أن رضاء أمريكا عنها .. لا يطعمها من جوع ، وانه لا بد من شيء يملؤها .. انطلقنا على قطننـا المخزون .. فملأنا به بطوننا وأمسكتنا أمعاءنا .

فاذا ما متنا هتفنا هتاف الشهداء : « نموت ، وتحيا أمريكا » .

وبهذه الطريقة الحكيمة .. العاقلة .

كنا نستطيع أن نرضي المنطـق الامريـكي .. ونحوز على رضاء أمريكا وعطفها .

وكنا لا شك سننعم في الآخرة بشآبيب رحمتها عندما ترفع أكفها داعية للسماء :

« رحم الله الشعب المصري .. لم يكـن شعبا شيوعيا » .

خطوة في سبيل السلام ..

١٢ مايو سنة ١٩٥٨

احتلت زيارة الرئيس « جمال » للاتحاد السوفييتي .. مكان الصدارة من اهتمام الرأي العام العالمي .. ومن قبل زار رؤساء دول .. دولا أخرى .

ومن قبل أقيمت استقبالات ، ونظمت احتفالات .

ولم تكن دول الرؤساء الزائرين بأقل شأنا من جمهوريتنا العربية المتحدة .

ومع ذلك لم يركز الرأي العام العالمي من انتباهه ما ركزه في هذه الزيارة .

فما سر هذا الاهتمام العجيب ؟!

ان الامر الذي أومن به .. هو أن هذه الزيارة تحمل في طياتها شيئا أكثر من تحقيق الصداقة والتعاون بين بلدين .

انها تحمل في باطنها اثباتا لنظرية ، وتحقيقا لمبدأ .

انها تطبيق عملي للتعايش السلمي ، والحياد الايجابي .

إنها قضاء على خرافة المعسكرين .. وتكذيب قاطع للقول الشائع : « من ليس معي فهو علي » .

انها تحقيق للصداقة بين الجميع ، والتعاون .. بلا أغلال ولا قيود .

كان العالم ــ فيما مضى ــ معسكرين ، يفصلهما ستار حديدي .. وكان على الشعوب أن تختار لنفسها ناحية من نواحي الستار .. لتكون حلقة من سلسلة التحفز والتوتر .. والخصومة والبغضاء .

وكنا نقف بدورنا ، مقيدين في احدى تلك السلاسل .. نتطلع في رعب الى ما وراء الستار .

واشتد ساعدنا ، واستطعنا أن نحطم القيود التي تشدنا الى السلسلة ، وأن نرفع رؤوسنا الى أعلى ، وأن نخترق بأبصارنا حجب الاباطيل والاوهام .

وحاولت قبضة الاستعمار .. أن تلفنا بسلسلة

جديدة من الاحلاف الوقائية ، التي تقينا من هجوم الاشباح الحمر .

ولكن الاكذوبة لم تعد تنطلي علينا .. ولم نعد نخشى الخطر الموهوم أكثر مما نخشى الخطر الكائن .. عندما أضحى علينا أن نحارب العفاريت الزرق ، الهابطين من السماء في بور سعيد .

وتخلصنا نهائيا من جميع السلاسل ..وحطمنا جميع القيود .

ووقفنا أحرارا ، كبارا ، نمد يدنا في ترحاب واخلاص الى كل يد أمينة يمكن أن تتعاون معنا ، في سبيل الخير والرخاء ، والصداقة والسلام .

ووقف العالم ينظر الينا في اشفاق ، ويهـــز رأسه متأسفا على الطفل الكبير ، الذي يوشك أن يلقي بنفسه في أحضان الغول الاحمر .

ولم نخف نحن .. وقلنـــا : اننا نسالم مـــن يسالمنا ، واننا نستطيع أن نعيش جنبا الى جنب بجوار كل من يراعي حرمة جيرتنا .

ولم يصدق المعسكر الغربي أذنيه .

كانت تجربة جديدة في عالم المعسكرين .. عالم

« من لم يكن معي فهو علي » .

وأعلنها الغرب عداوة ، وقطيعة .

ولم نملك الا أن نهز أكتافنـــا ، ونمضي في طريقنا .. أحرارا .. كبارا .. نمد يدنا في اخلاص للتعاون في سبيل الخير والحرية والسلام .

وكنا نثق في أنفسنا ، ونثق في مبادئنا ، التي نادينا بها عن ايمان .

ولم يكن التعايش السلمي ، والحياد الايجابي ، في نظرنا مجرد كلمات رنانة .. تستر انطواءنا تحت أي معسكر من المعسكرات .. بل كان عقيدة راسخة عزمنا على أن نحقق بها الرخاء والسلام .

واليوم عندما يذهب الرئيس « جمـال عبـد الناصر » .. لزيارة الاتحاد السوفييتي .

هل يمكن أن تعتبر مجرد زيارة رئيس دولة .. لدولة صديقة ؟!

أبدا !!

انها زيارة الاحرار الكبار .. الذين طالما أوهموا في صغرهم بالغول الاحمر ، القابع وراء الستار ،

والذين ظل الاستعمار يكبلهم بأغلاله خوفا عليهم من الغول الاحمر .

انها زيارة الاحرار الكبار .. الذين حطموا القيود ، وبددوا ضباب الاوهام والاباطيل، ووقفوا بين المعسكرين ليعلنوا للعالم مبادئهم الجديدة ، في سبيل الرخاء والسلام .

انها زيارة الاحرار الكبار .. الذين وقفوا في ثقة وايمان ليعلنوا لكلا المعسكرين .. أن وليدا ضخما قد ولد بينهم .

وليدا . لا يؤمن أبدا بنظام المعسكرين ، ولا يؤمن أبدا بنظرية « من يصادق خصمي فهو عدوي »

ولكنه يؤمن بالانسانية ، ويؤمن بأنه يمكن ان يكون صديقا للمعسكرين .

ان زيارة الرئيس « جمال » .. ليست مجرد زيارة للصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي .. وانما هي قضاء على أكذوبة ضخمة، وخدعة كبرى.

أكذوبة الخائفين المرتعدين ، الذين ما زالوا يربطون أنفسهم بسلاسل الاحلاف ، الذين يمسكون بساقي الاستعمار خوفا من الشبح الاحمر .

ان زيارة الرئيس « جمال » .. لا يمكــن أن تكون أبدا مجرد زيارة .

انها دليل الاحرار الكبار .. على امكان تطبيق مبادئهم الحرة .

انها اقناع للعالم كله .. بأنه يمكن أن يعيش في صداقة وسلام ، وتعاون في سبيل الخير .

انها خطوة واسعة .. في سبيل السلام .

أيّ النظامين أكثر وقاية ؟

١٩ مايو سنة ١٩٥٨

حدد البيان الرسمي المشترك عن نتائج المحادثات التي دارت بين حكومة اتحاد الجمهوريات السوفييتي وحكومة الجمهورية العربية المتحدة المبادىء التي تقوم عليها العلاقات العربية السوفيتية .

والبيان يؤكد احترام سيادة جميع الدول وسلامة أراضيها . ويجعل من التعايش السلمي بين الدول حجر الزاوية في تنمية العلاقات الودية بينهما، كما يؤكد البيان حل المشكلات العالمية بالطرق السلمية وعدم استعمال الضغط السياسي والاقتصادي ، ويندد بالاستعمار والحرب الباردة والقواعد العسكرية والتدخل في الشؤون الخاصة لأية دولة .

ويؤيد البيان الحقوق المشروعة لعرب

فلسطين ، ويستنكر العدوان على اليمن والجزائر ، والبيان في كل تفاصيله وحذافيره تأييد كامـــل لسياسة الجمهورية العربية المتحدة .. وتأكيـد تام لسياسة الحياد الايجابي التي حمل لواءها الرئيس « جمال عبد الناصر » والتي جعـل منها بايمانـه الراسخ وشجاعته المطلقة حقيقة رائعة مؤكـدة ، يبزغ منها نور السلام ، ليبدد ظلمات الحرب التي تكتنف العالم وتكتم أنفاسه وتروع أحلامه وتدمر آماله في مستقبل باسم مشرق .

والسياسة التي أيدها البيان وحمل لواءهـا رئيسنا « جمال » ، والتي رفع بها مشعل السلام .. وقد سبق أن أحاطها المعسكر الغربي بالشكـوك والريب .. ولم يحاول أن يثق في صدق نواياهـا واخلاص أصحابها ، وراح يتهمها في باندونج وفي مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية بأنهـا تمويه شيوعي ، وبأنها طعم الشيوعيـــة لاغــراء الشعوب الساذجة في دخول شباكها .

ووقف الرئيس « جمال » في صلابة واصرار وشجاعة ليؤكد ايمانه بمبادئه .. مبادىء الحيـاد الايجابي والتعايش السلمي ، ولم يأبه للتهم ولم يخش الخصومات .

واليوم وهو يمد يده في قوة ليصافح الاتحاد السوفييتي مصافحة الاحرار الاقوياء ليثبت للعالم كله أن الحياد الايجابي ليس أحبولة ولا شركا .. وأنه لم يتنازل في سبيل صداقته قيد أنملة من حريته وكرامته وسيادته ومبادئه .. بل أكد بصداقته وحياده .. كل هذه المبادىء .

واليوم أيضا تقتنع أمريكا بسياسة الحياد الايجابي الصادقة المخلصة ، وتثق في التعايش بصداقته وحياده .. كل هذه المبادىء .

ترى هل ستصر بعد هذا الاقتناع على ذلك النطاق المثير من الاحلاف التي يدفع بها المعسكر الغربي الدول في ركابه ليجعل منها ستارا واقيا .. أم تراه سيؤمن بأن الوقاية له وللعالم كله ، لن تكون الا بتلك الدول الحرة المحايدة المخلصة التي يمكن أن توطد الصداقة بين المعسكرين وتثبت دعائم السلام في العالم كله ؟

الخداع والتضليل

٧ يوليو سنة ١٩٥٨

مرة أخرى عدت أذكر كلمة الرئيس جمال في مارس ١٩٥٤ عندما وقف وسط العواصف يقول في ايمان وشجاعة وثقة « لم أخادع ولم أضلل » .

مرة أخرى عدت أذكر كلماته الصريحة الواضحة الحاسمة .. عندما أعلن « همرشلد » أن أزمة « لبنان » أزمة داخلية ، وأنه ليس هناك أي دليل على تدخل الجمهورية العربية المتحدة .

ومن قبل اتهم « شمعون » الجمهورية العربية بالتدخل في شئون لبنان .. وصاح يستغيث بمجلس الامن ويطلب تدخل أمريكا وانجلترا ، واندفع ماكميلان ودلاس يؤكدان الاتهام في حماقة وغطرسة .

والاسلوب ليس جديدا في عالم السياسة .. أسلوب الافتراء والادعاء والكذب والتبجح .. بل

هذا أسلوب تقليدي تعـود الساسـة المفترون استعماله لكلفتة الرأي العـام والهلضمة عـلى خصومهم .

ولم يقبل « جمال عبد الناصر » .. الهلضمة ، ولم يترك لهم فرصة لكلفتة الرأي العام .. بل وقف في وضوح وصلابة ليعلن في حزم : « ان الجمهورية العربيـة لم تتدخل » .. ويجـزم في ثقة بأنه « لا يخادع ، ولا يضلل » .

وتعالى صراخ شمعون .. وازداد صياح أمريكا وانجلترا ، وتحركت أساطيلهم وقواتهم ، وتأهبت للانقضاض على لبنان ، لتنقذه من براثن الجمهورية العربية .. المعتدية المتدخلة .

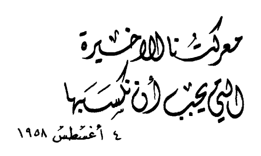
وذهب مراقبو الامـم المتحدة .. ليضبطـوا التدخل المزعوم .. ثم عاد « همرشلد » ليعلن عـلى العالم كله أن الازمة داخلية .. وأنه لا تدخل هناك .. ولا تسلل ، وأن التهمة باطلة ، وأن «شمعون» كاذب ، وماكميلان مدع ، ودلاس مفتر .

ولم تجد أساليب الافتراء والتبجح ، وعجـز الساسة المفترون عن كلفتة الرأي العام العالمي ، واستطاع أن يوقف عملية الهلضمة والادعاء رجل

لا يحترف أساليب الساسة.. ولا يجيد مناوراتهم .. وانما يؤمن بحق الشعوب في الحياة الحرة .. وفي تقرير المصير .. رجل مخلص .. شجاع صريح .. لا يكذب ولا يلتوي .

رجل .. لا يخادع .. ولا يضلل .

ومن أجل هذا .. ربح كل معركة خاضها .



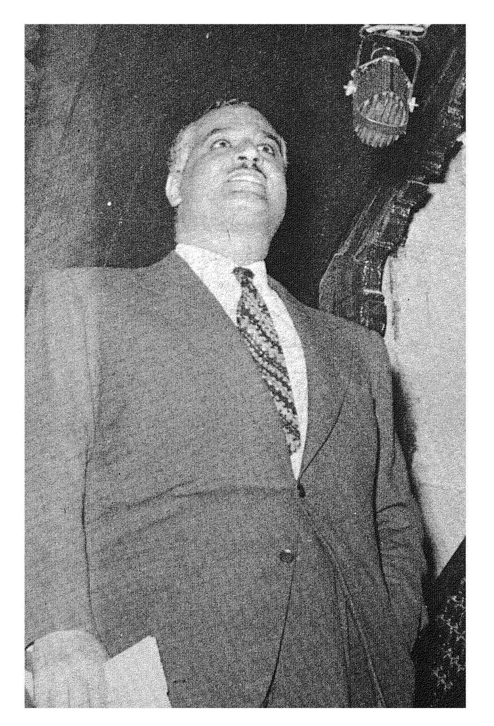
٤ أغسطس ١٩٥٨

استمعت الى خطاب الرئيس في مصنع الحديد والصلب ، استمعت اليه في الساعة الثالثة بعد الظهر وقد جلست وحدي مسترخيا عقب الغداء ، وكان صوت الراديو خافتا ، ولهجة الحديث هادئة، حتى خيل الي أني أجلس مع الرئيس في حجرته وأنه قد خصني وحدي بالحديث .. وأنه يشرح لي وجهة نظره ويسوق لي آراءه ويوجه نصائحه .

ولست أشك في أن هذا كان شعور كل فرد من الملايين التي استمعت الى خطابه ، فقد كان حديثه افضاء صديق الى صديق بلا كلفة ولا تنميق .

وأنا أعرف مدى ايمان الرئيس بنا .. نحن الملايين من أفراد هذا الشعب ، وأعرف مدى ثقته فينا .

وأذكر كيف وقف ليؤمم القناة .. معلنا على



العالم .. أنه يؤممها ، وظهره مستند الى هذا الشعب

وأذكر كذلك كيف وقف في الازهر خلال معركة بور سعيد .. ليعلن على الملأ .. أنه وقف في وجه الاعتداء لانه يعرف حقيقة هذا الشعب وأصالته .. وطيب معدنه ، وأن مقاومة هذا الشعب الرائعة في بور سعيد قد حققت أمله فيه .

ولا جدال في أننا .. نحن هذا الشعب الذي آمن به الرئيس « جمال » .. لم نخذلــه مرة واحدة في جميع المعارك التي خاضها من أجلنا .

ولا جدال في أن الثقة المتبادلة بــين الرئيس والشعب .. والايمان المنعكس منه الى الشعب ومن الشعب اليه .. هذه الاواصر المتينة من الثقــة والايمان التي شدته بنا وشدتنا اليه قد جعلت منه ومنا .. من القائد والجند .. كتلة واحدة ، كانــت السبب الاول في جميع الانتصارات الرائعــة التي حققناها معا .

واليوم يقف الرئيس بيننا ليحدثنا بصراحــة واخلاص وايمان وثقة .. وبلا كلفة ، وبلا أسرار ، تطوى .. وخبايا تضمر .

اليوم يحدثنا الرئيس عن المعركة الاخرى ..

التي نخوض غمارها معا .. معركة البناء ، معركة التشييد .

لقد خضنا واياه ، وما زلنا نخوض .. معارك الدفاع عن الوطن .. ضد قوى الشر .. التي تهدد كياننا .

وشهد الله أننا لم ولن نخذله قط .

لقد منحناه اليد التي تدافع في قـــوة واصرار واخلاص .

واليوم يسألنا .. عن اليد التي تبني .

اليد التي تخوض معه المعركة الاخرى.. المعركة التي نكافح بها قوى الشر الداخلية التي تنخــر في دعائمنا وتوهي بناءنا .

واليد التي تبني ــ كما قال الرئيس ــ يــد في بنائها دفاع ، وفي كل صرح تشيده .. حصن يقينا هجمات قوى الشر الخارجية .. ومعركة اليد التـــي تبني هي الاصل في كل المعارك التي خضناهــــا ، ونخوضها .. فنحن نخوض المعارك ضد الاستعمار وضد الطغيان لكي نصبح أحرارا .. ونحن نريد أن نكون أحرارا .. لكي نبني لوطننا مستقبلا أفضل ، ولكي نمنح أنفسنا ، وأبناءنا من بعدنا .. حيـــاة

أكثر أمنا وهناء ورخاء .. ولكي نبعد من سبيلنا كل العراقيل التي تحول دون بناء هذا المجتمع الآمن السعيد .

ومعارك الدفاع أسهل من معارك البناء .. فمعارك الدفاع تدفعنا اليها غريزة الدفاع ، وتحشدنا فيها حمية الاسرة والعشيرة والقبيلة والوطن ، والدماء التي تغلي في عروقنا عندما يعتدى علينا .

معارك الدفاع تحتاج الى دم يغلي ، ونفوس تثأر ، وقائد مؤمن مخلص .. يتقدم صفوفنا الى أتون المعركة .

أما معارك البناء .. فتحتاج الى فهم واقتناع ، ودراسة ومران وصبر طويل .

معارك البناء .. تحتاج الى أن نفهم حقيقة وضعنا .. في هذا الوطن الذي نشارك في بنائه .

نحتاج الى أن نبدل تفكيرنا لكي نفهم أن هذا المجتمع الذي نعيش فيه ملكنا ، وليس ملكا لاعدائنا .. فنوقف اليد التي تمتد لتنزع شجرة في الطريق .. والتي تقذف بالطوب لتحطم « فانوسا » في الشارع .. والتي تلطخ جدارا ، أو تتلف مرفقا

عاما . نحتاج الى أن نملأ نفوسنا بالثقة في كل ما حولنا .. لانه ملكنا ولخدمتنا .. ولانه يعمل من أجلنا .

نحتاج الى أن ننزع من رؤوس الاداة الحاكمة .. أنها أداة معذبة ، مستغلة مسيطرة .

نحتاج الى أن يفهم هذا الموظف المتربع على مكتبه .. أن هؤلاء الناس الذين يقضي حاجاتهم ليسوا خصومه ، ولا خدم أبيه وانما هم اخوته وأهله ، وانه في الوقت الذي يعرقل معاش أحدهم .. أو يعطل مصلحة آخر .. لا بد أن يكون هناك من يعرقل معاش أمه أو مصلحة أبيه !

معارك البناء .. تحتاج من العامل المسترخي بجوار آلاته في المصنع .. أن يقلل المعسل والشاي الاسود ، وغيرهما من المكيفات حتى يكون أكثر يقظة ، وأقوى بنية .

معارك البناء تحتاج من المبيض والنقاش ، الذي « يبطل » ثلاثة أيام قبل العيد وأربعة أيام بعده لأن جيبه ممتلىء .. أن يكتفي بعطلة العيد ، وأن يدخر ماله .. فلا يتزوج زوجة أخرى .. بمجرد أن يزيد دخله .

معارك البناء تحتاج من الطالب أن يعتبر نفسه أداة بناء لا أداة هدم ، وأن يحترم نفسه وكليته ، ومدرسيه وأسرته ومجتمعه .. وألا يكون قذى في عين هذا المجتمع .. لقد رأيت الطلبة في بعض البلاد يخرجون بمدارسهم كاملة لكي يسفلتوا الطرقات، ويعاونوا في زراعة الحدائق العامة ، ولست أظن طلبتنا أضعف جهدا ، ولا أقل احساسا بالمسؤولية نحو مجتمعهم ووطنهم .

ان اليد التي تبني .. تحتاج الى التقوية ، والى التوجيه .. ودراستنا وتدريبنا يجب أن يحدد على أساس سد حاجاتنا من الايدي التي تبني لا الايدي العاطلة .. الشاكية .

نحن نعرف احتياجاتنا .. ونستطيع أن نعرف ما تتطلبه هذه الاحتياجات من الايدي البناءة .. من ناحية الكم أو النوع .. فلماذا لا نخرج من معاهدنا ومراكز تدريبنا ما نحتاج من هذه الايادي ؟

ولماذا نصر على تدخل الايادي البناءة في قوالبها القديمة العتيقة .. لتخرج لنا عاجزة مشلولة ، وتصبح في مجتمعنا الجديد كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى !

ان معركة البناء .. تحتاج الى تغيير طريقة تفكيرنا وتبديل نظرتنا الى وضعنا في المجتمع .. ثم نحتاج الى اعداد القوة البانية الماهرة .

ان « جمال عبد الناصر » قد آمن بنا في معركة الدفاع ولم يخذله واحد منا .. بل وقفنا وسنقف جميعا في كل لحظة لشد ازره ، حتى نكسب جميع معاركنا .. ونؤمن أنفسنا ضد كل عدوان .

وهو يؤمن بنا اليوم في معركة البناء .. يؤمن باليد التي تبني كما آمن باليد التي تدافع .

ولست أظن واحدا منا .. يرغب في خذلانه .. وانما الامر يحتاج الى فهم واقتناع .. ودراسة ومران .. وعمل مستمر ، وجهد متواصل .. وصبر طويل .

ومعركة البناء هي معركتنا الاخيرة ، هي معركتنا الاصيلة .

ويجب أن نكسبها .

لم يطر رأس الذئب .. أثناء العدوان

٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٨

في مثل هذا اليوم منذ سنتين بدأ العدوان على مصر .

وكان الهدف الرئيسي من هذا العدوان .. هو أن يقدم أسد الاستعمار « رأس ذئب طائر » للثعالب المستعمرة .. يخرس أصواتها المطالبة بالحرية ، ويدخلها الى جحور الاستعمار ، ويوقف موجة التمرد والتطاول على السادة المستعمرين .

وتحركت أساطيله ومدرعاته وطائراته لتطبق على القنال وتجعل منه مرة أخرى رأس جسر للمستعمر ومستقرا لقدمه .

وكان المفروض أن يطير رأس الذئب بمجرد التهديد والانذار .. فلما لم يفلح التهديد ، ولم يجد الانذار .. اضطر المستعمر الى أن يبدأ المعركة ، وان لم يطف بذهنه قط أنها ستكون معركة فعلية ،

وأن الطرف الآخر .. يمكن أن تكون لديه الشجاعة لكي يغامر بخوضها .. بل لن تزيد المعركة علـــى طابور سير .. تحط قوات المستعمر في نهايته رحالها على شاطىء القنـــال .. ليأخـذ الجنود غطسـا في مياهها .

كان هذا بلا جدال .. هو ما يتوهم المستعمـــر الغازي .

ولكن ...

حدث ما أذهلهم ، وأذهل العالم كله .

لقد وقف الشعب كله صفا واحدا ليقاوم في عزم وقوة عدوان الباغي ، ويصد بذراعه وكفه .. أساطيله ومدرعاته .

وقف الشعب وراء قائده الذي هتف في ايمان واصرار بأنـــه سيحارب مع الشعب من قريـــة الى قرية ، ومن شارع الى شارع .

ولم يطر رأس الذئب .. بل زاد فوق كتفيه ثباتا .. وتلفت المستعمر في حيرة ، ولم يملك أمام العالم الذي قد فضح أمره الا أن ينسحب وهو يجر أذيال الفشل والهزيمة .

ولم تكن الجروح عميقة ، ولا كانت الرضوض خطيرة .

بل كانت المعركة أشبه بانتفاضة يقظـــة ، وكانت ضرباتها ضربات فأس في أرض أعدتهـــا للزرع والسقي .

ووقفنا نأخذ أنفاسا عميقـــة .. وقد شعرنا بأننا تحررنا نهائيا من كل قيد من قيود المستعمر . وبدأنا معركة البناء .

ووقف الرئيس « جمال » يخطب فينا فيالذكرى الاولى للمعركة ليتحدث عن بنائنـــا الذي أرادوا تدميره .. فصار أعمق أساسا وأشمخ صرحا ، وعن زرعنا الذي أرادوا حرقه فازداد خضرة ونضرة .

ولم يمض عام واحد على قول الرئيس « جمال» ولم تحل الذكرى الثانية للمعركة .

وفي نفس الاسبوع الذي بدأ المستعمر عدوانه فيه لكي يذلنا ويحطمنا ويجعل منا « رأس ذئـب طائر » يكون عبرة لمن يعتبر .

في نفس هذا الاسبوع .

نبدأ بناءنا للسد العالي .

في نفس الاسبوع الـــذي شاء المستعمر أن يجعل فيه من أرضنا خرابا ، ومن دورنا أطلالا ، ومن أجسادنا أشلاء .

في نفس هذا الاسبوع .. ولما يمض عامان على محاولة اغتياله لنا .

نقف مرفوعي الهامة ، منتصبي القامة ..لنبني مستقبلنا الباسم السعيد المزدهر ، متطلعـــين الى الافق المشرق ، لنصنع بأيدينا السد العالي حجـرا فوق حجر ، ونتحسس بأصابعنا أرضنا الخضراء الفسيحة التي ستبسط رقعتها وتتسع حدودهـــا ونضم الى أحضاننا مداخن مصانعنا التي ستمـلأ رحاب أرضنا .

ونتلفت حولنا ونؤكد للعالم في ثقة .. أن رأس الذئب الطائر قد طار فعلا .. ولكن من فوق أكتاف المستعمر .

موعد مع القدر ..

١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٨

استمعت الى خطـــاب الرئيس « جمال عبد الناصر » في المنيا .. استمعت اليه ، وهو يقول : اننا جيل على موعد مع القدر .. واننا حققنا ما كنا نراه وقتذاك .. أحلاما جميلة .

وشرد بي الذهن .. الى عام١٩٣٢ عندما قررنا مقاطعة البضائع الاجنبية .

وكان أقصى ما استطعنا فعله وقتذاك هو أن نخلع الكرافتات ونلبس بدلا منها الكوفيات البيضاء ذات النسيج المحلي .. ونضع على رؤوسنا طرابيش بيضاء أو زرقاء من « اللباد » وبقينا نرفـــل من أسلفنا الى أعلانا في ملابس أجنبية مائة في المائة .

ولم نكن نملك غير ذلك .. اللهم الا اذا كنا قد عزمنا على أن نسير « عرايا » الا من أربطة العنق والطرابيش .. التي لم تستطع صناعتنا المحلية أن تسعفنا بأكثر منها .

فالمسألة لا يمكن أن تكون أبدا مسألة نوايا حسنة .. ورغبات طيبة .. في مقاطعة البضائع الاجنبية .. وانما هي أولا وقبل كل شيء .. خلق الصناعة الوطنية التي يمكن أن تغنينا عن البضاعة الاجنبية بما تمدنا به من بضائع محلية .. ان لم تكن تماثلها في الجودة والاتقان .. فهي على الاقل تسد كفايتنا .. وتقضي حاجتنا .

وقبل أن نخوض معركة الاستقلال والحرية .. كانت في نفوسنا رواسب من مخاوف وأوهام .. طالما جعلت من أمانينا مجرد أحلام .. أحلام بعيدة .. كأنها لمح البرق .. أو لمع السراب .

كنا ونحن صبية نحلم بأشياء كثيرة لوطننا .. وعندما كنا نجتمع أسفل فانوس النور على ناصية أحد شوارع « روض الفرج » .. كنا نندفع في أحلامنا .. وكان كل منا يقول ماذا سيفعل لهذا الوطن عندما يصبح زعيما له .

ولست أظن الا نواصي أخرى .. قد جمعت غيرنا من الصبية .. ولست أظنهم الا قد حلموا وقتذاك بما كنا نحلم به .

كنا نحلم بأن يكون لنا جيش قوي نطرد بـه المستعمر ونحمي به استقلالنا .. وكنا نحلم بأن

نصنع لهذا الجيش سلاحه .. وذخيرته .. وكنا نحلم بالمصانع الضخمة . وبالكهرباء والفحم والحديد والبترول .

كنا نحلم .. ونحلم .. ولكنا لم نعرف قط .. كيف يمكن أن تتحقق الاحلام .

ومن بيننا .. من بين جيل .. كان يحلم في صباه بأشياء كثيرة لهذا الوطن .. الذي كتم الاستعمار أنفاسه ، وأثقل كاهله ، وأنقض ظهره .

من بين هذا الجيل .. وثب فرد ليصل الى مكان الزعامة .. ويصنع المعجزة .. ويمسك بالسراب ليجعل منه ماء ، وبلمح البرق ليجعل منه نورا ساطعا لا تخبو له بارقة .

واليوم .. يقف هذا الفرد بيننا ليقول لجيلنا :

« نحن جيل .. على موعد مع القدر » موعد مع القدر .. جعل فيه من أحلامنا .. حقائق .. وأزال من نفوسنا رواسب الاوهام والمخاوف .. التي كانت تبدي لنا المستعمر بأساطيله ومدرعاته وطياراته .. ماردا .. لا يمكن لنا نحن الصبية العزل أن نقترب منه .

موعد مع القدر .. دفعنا فيه وجها لوجه .. أمام المارد لكي نمسك بعنقه .. ونواجه سلاحه

بأكفنا وأظافرنا حتى يخر راكعا .. أمام اصرارنا ، وايماننا ، وعزيمتنا .

موعد مع القدر .. جعلنا نقف وحدنا لنواجه حصارا اقتصاديا .. يبدد من نفوسنا الخوف من أن يتركنا المستعمر .. فنصبح بلا سند ، وينهار اقتصادنا ويجوع شعبنا .

موعد مع القدر .. جعلنا نستعيد القناة .. ونشيد المصانع .

موعد مع القدر .. جعل أسواقنا كلها بضاعة مصرية .. وجعل وسيلتنا الى مقاطعة البضائع الاجنبية .. ليست فقط ارتداء « الكوفية »البيضاء والطربوش « اللباد » .. وانما أن نرتدي من قمة رأسنا الى أخمص قدمينا .. منسوجات مصرية .. ونستعمل في كافة احتياجاتنا صناعة مصرية .

موعد مع القدر .. وقف فيه واحد منا .. استطاع أن يحقق أحلامنا .. ويجعلنا ننتقل من نصر الى نصر .. في كل معركة ، وفي كل ميدان .. ويهتف بنا :

« هذه أيها الاخوة هي الانتصارات التي تعوض العرق ، والتي تعوض التعب ، والتي تعوض الكفاح .. هذه أيها الاخوة هي الانتصارات الحلوة

.. التي تعوض العمل ، والتي تجعل العمل المضني الشاق عملا جميلا حلوا مريحا » .

اننا جيل .. على موعد مع القدر .. وما زالت أمامنا انتصارات جديدة .. سنحققها بنفس الجهد، ونفس العزم .. ونفس الايمان الذي يجعل من كل مشقة راحة ، ومن كل تعب متعة .

لماذا انصت إليه ؟

أول ديسمبر سنة ١٩٥٨

استمعت الى خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » .

ولاول مرة في حياتي .. استطعت أن أتابع انسانا يتحدث لمدة ثلاث ساعات ونصف ساعة ، دون أن أسرح .. أو أغفل .. أو أنام .

ومنذ بضعة أيام .. وقفت في قاعة الحرية عقب ندوة تحدثنا فيها عن دور الشباب في دعم تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية ، وشكرت للمستمعين انصاتهم الينا ، وقلت لهم ان الانصات أشق من الحديث .. وقصدت بالانصات الاستماع « بلا سرحان » .

ومن قبل حضرت كثيرا من المؤتمرات .. واستطعت بعدها أن أعرف المؤتمرات بأنها الامكنة التي يجتمع فيها آلاف الناس لكي لا يستمعوا الى المتحدثين ، فقد اتضح لي أن قدرة الانسان على

الانصات محدودة . وأن أشد الناس فصاحة لا يستطيع أن يمسك بتلابيب أذهانهم أكثر من ساعة .. يفلتون منه بعدها .. هائمين في أودية الاحلام والاماني والمشكلات الخاصة .

وقد جربت قدرتي على الانصات في مختلف الازمنة والمجالات .. في المدرسة وأنا أنصت الى دروس التاريخ والجغرافيا ، وفي المؤتمرات الدولية وأنا أنصت الى الاحاديث الثقافية والخطب السياسية . وكانت قدرتي في جميع الازمنة والمجالات أقل من المتوسط .. فقد كان الذهن لا يستطيع التركيز في حديث المتحدث الا أقل من ربع الساعة .. ثم يأخذ في الانطلاق بعيدا ، وتبدأ بعد ذلك عملية أشبه بلعبة « الاستغماية » ، لا أكاد أمسك به وأجبره على الانصات .. حتى يفر هاربا في بيداء أحلامه .

لست أذكر أبدا أني استطعت أن أنصت الى شخص ، مهما بلغ حديثه .. من الاهمية أو الطرافة أكثر من ساعة .. حتى جلست لانصت الى حديث الرئيس .

ووجدتني أنصت .. وأنصت .. وأنصت .

وعقرب الساعة يتحرك .. ويلف .. ويدور ..

حتى مر ما يربو على الثلاث ساعات .

لم يغب الذهن .. لحظة واحدة .. لا ضل ولا شرد .. ولا انطلق في بيداء أحلامه ، وأمانيــه ، ومشكلاته .

لسبب بسيط .. هو أن الحديث الذي كــان ينصت اليه قد اندفع به .. الى حيث تعود أن يشرد ويهيم .

اندفع به الى أمانيه .. وأحلامه .. ومشكلاته الخاصة .

اندفع به الحديث الى المستقبل .. يرسمه له في خطوط عريضة وتفاصيل واضحة .

لم يشعر الذهن لحظة واحدة ، أن المتحــدث يحدثه فيما لا يعنيه . أو يسوق اليه ما لا يتوق الى معرفته .

لم يشعر الذهن أن صاحب الحديث يشرك معه أحدا .. بل أحس طوال الساعات الثلاث أنه معني وحده بهذا الحديث ، وأنه يجلس الى صديق يناقشه في أهم أموره .. بغير كلفة أو حيطة أو حـــذر ، وينطلق معه ليروي له بصراحة كل ما يريد أنيعرفه .. دون أن يخشى من صراحته حرجا .

وكما رفع المتحدث كل قيود الكلفة في الحديث

.. رفع الذهن كل قيود الكلفة في الانصات .. واذا بي أضحك بغير كلفة .. وكأني أنصت الى صديق عزيز لطيف ، لا الى خطيبمفوه فصيح .

ولست أشك في أن كل مستمع قد أحس بما أحسست وأنصت كما أنصت .. وأن الوهم الذي أدخل في روعي أني معني وحدي بهذا الحديث .. قد أدخل في روع كل منصت اليه أنه معني وحده بـــه .

لقد أحست الملايـــين التي أنصتت الى خطــاب الرئيس .. أنها لم تعد محاطة بأحاجي السياســة وألغاز الحكام .

لم تعد هناك جهات عليا ، ومصادر مسؤولة .. تقطر لنا الانباء التي تمس شؤون حياتنا ومستقبلنا .. قطرة قطرة .

بل باتت تنشرها علينا كلها في وضح النهار .. وفي حديث صديق ، صريح ، مخلص .. لا يقيم بيننا وبينه حجاب كلفة .. أو ستار حرج .

فلماذا لا ننصت اليه ثلاث ساعات .. وأربعا .. وخمسا ؟

لماذا لا ننصت اليه في لهفة .. كلما فتح شفتيه بالحديث ؟

ليس مجرد وسام

أصـــدر الرئيس « جمـــال عبـــد الناصر » .. قرارا بمنح « توفيق الحكيم » أرفع وسام في الدولة .. تقديرا لخدماته للوطن .

أصدر الرجل .. الـــذي وقف بيننا بالامس ليحدثنا ثلاث ساعات ونصف ساعة .. حديثـــا مزودا بالارقام والبيانات .. عن حياتنا ومستقبلنا .. ونظامنا الاقتصادي والاجتماعي .. وسياستنا الداخلية والخارجية ، ولم يترك شيئا الا بينـــه وأحصاه في دقة ووضوح .

أصدر هذا الرجل العجيب .. المشحون الذهن .. بالمشروعـــات والخطط التي ترسم مستقبـــل الملايين ، وتقودهم الى الحرية والرخاء .

أصدر هذا الرجل .. في زحمة أعماله ..قرارا بمنح أديب كبير أرفع وسام في الدولة .

وقديما .. كان الحاكم يمنح وساما لكبير من الكبراء ، وكان الحدث يمر في حياتنا دون أن يشعرنا

أن شيئا هاما قد وقع .. أو أن تغييرا في أوضاعنا قد حدث .. لا شيء أكثر من أن هذا الكبير قد أضحى صاحب مقام رفيع .. أو صاحب لفظ ما أكثر مما كان عليه .

وتمر .

أما هذا الوسام .. في هذا الوقت .. ومن هذا الحاكم .. لذلك الاديب .. فشيء جديد .

شيء جديد في كل نواحيه .

أولا .. أن الذي يعطي رجل له قيمة .. ليس في نفوسنا فحسب . ولكن في نفوس العالم كله ،وأن الشيء الذي يعطيه ، والتقدير الذي يمنحه ، شيء له قيمة .. لانه لم يعودنا أن يمنح جزافا .

وثانيا .. أن الذي منح لم يفعل شيئا من أجل المنحة ، وانما فعل أشياء معنوية ضخمة .. لجيلنا هذا ، وهبنا رصيدا فكريا نعتز به بين أمم العالم ، وأسهم في بناء نهضتنا الادبية الحديثة بأكبر قدر .

ان الذي منح .. ليس هو رئيس وزراء .. ولا هو ولي عهد ، ولا هو صاحب ملايين ، وانما هو أديب .

وأديب .. صفة لم تستطع من قبل أن تقف وحدها .. وانما كان يعوزها أن تستند الى صفة

أخرى .. لكي يكون لصاحبها قيمة .

أما اليوم .. فقد منح الوسام .. أرفع وسام في الدولة .. لرجل لانه أديب .

فقط لانه أديب .. ولانه أدى بأدبه خدمات للوطن .

اذن فصفة الاديب وحدها .. قد استطاعت أن تمنح صاحبها أرفع أوسمة الدولة .

واذن .. فالادب وحده يمكن أن يؤدي خدمات للوطن ، تستحق أن تمنح صاحبها أرفع أوسمة الدولة .

أهناك تقدير للادب والادباء .. خير من هذا ؟

ان المسألة ـ كما قلت ـ ليست وساما يمنح ، وانما هي تكريم من رجل له قيمة .. لعمل له قيمة .

ان اليوم .. يجب أن يعتبر نقطة تحول في تقديرنا للفكر ، ولرجال الفكر .



١٩ يناير سنة ١٩٥٩

في مثل هذا اليوم منذ أربع سنوات ..

كتبت عن ميلاد الرئيس « جمال » .. ولم يكن أحد يعرف أن هذا يـــوم مولده .. والذين كانوا يعرفون .. كانوا لا يستطيعون الكتابة .. فقد طلب الرئيس ألا ينشر شيء عن عيد ميلاده .

وكانت الصدفة وحدها هي التي عرفتني .

أذكر أني سألت الرئيس قائلا :

ــ بس مش طبيعي .. ألا ينشر عنه شيء .

وأذكر أنه هز رأسه موافقا :

ــ يجوز !! لكن اللي مش طبيعي أكثر الشيء اللي كنا بنعمله في عيد ميلاد « الملك » الاحتفــالات والانوار . والهيصة العجيبة اللي كانت بتتعمل .. أظن مفروض ان احنا نبطلها . والا ايه ؟

ــ طبعا .. لكن مش لدرجة ان الصحف تمنع من أنها تجيب سيرته .. يعني مش ضروري نبالــغ

بحيث يبقى عيد ميلادك .. من الاشياء المحظور ذكرها .

وضحك الرئيس ثم قال :

ــ أنا عارف ان فيها مبالغة .. لكن لازم أعمل كده ، عشان أوقف المبالغة اللي كنا بنعملها ، وبعد كده نبقى نعمل الحاجة الطبيعية .. اللي مفروض انها بتتعمل ، واللي الدنيا كلها بتعملها .

وأمنت على قوله .

ومع ذلك كتبت .. وأذكر أني الوحيد الذي استطاع أن يكتب عن يوم ميلاد « جمال » .. في ذلك الوقت .

كتبت أصف عيد ميلاده الذي أطلعتني عليه الصدفة بعنوان الرجل الذي لم يطفىء شموعا في حياته .

« كانت الساعة التاسعة مساء وكنت في طريقي الى البيت ، وعندما بلغت بيت الرئيس جمال عبد الناصر الذي يقع على مسيرة خطوات من بيتي ، تبينت أنه موجود في الداخل فأرسلت بطاقتي أطلب لقاءه لادعوه لمشاهدة فيلم « اني راحلة » ولاتحدث اليه في بعض الشئون .

ودخلت لالقاه في احدى حجرات البيت . وأقبل

علي بقامته الطويلة وقد ارتدى « صديرى » من الصوف فوق القميص والبنطلون ، وشد على يدي باسما مرحبا ، وصافحت « علي صبري » وعرفني هو بنائب وزير التجارة .. قائلا : « الاخ أبو نصير .. الاخ يوسف » .

وجلسنا نتحدث ، وسألني مضيفنا أن أشرب شايا أو قهوة فاعتذرت ، وبعد هنيهة وجدت الخادم يدخل بثلاث صحاف باحداها بتي فور والاخرى بضعة ساندويتشات والثالثة تورتة صغيرة بيضاء.

وتناولت واحدا من الساندويتشات وبضع قطع من البتي فور وأخذت أرقب التورتة الصغيرة وبنفسي شيء من الدهشة وحاولت جهدي أن أخفيها ، وأخذت أسائل نفسي عن سر البتي فور والتورتة والساندويتشات .. هل هي احدى المظاهر المحتومة لكرم رؤساء الوزارات ، ولكني تذكرت أني زرت « جمال » من قبل فلم يقدم لي سوى فنجان قهوة كأي مضيف عادي .

وبعد برهة استأذنت في الخروج وعند الباب الخارجي التقيت بعلي صبري مدير مكتب الرئيس فصافحته متسائلا في دهشة :

ــ ايه حكاية التورتة دي ؟

وضحك « علي » وأجاب :

ــ عشان عيد ميلاد الرئيس .

وكرهت غباوتي .. ولكن التورتة كانتصغيرة جدا .. أصغر من التي أحتفل بها في عيد ميـــلاد « ابني » والمدعوون كانوا أربعة لم تجمعهم سوى المصادفة .

ووجدت أن التورتة قد غررت بي وأحسست أني مقصر في تهنئة الرئيس وأن ما تناولته مـــن ساندويتش وبتي فور كان يوجب علي أن أقول له ولو « كل سنة وأنت طيب » حاف .

وقلت لعلي صبري مؤنبا :

ــ طيب يا أخي مش كنت تنبهني عشان أقول للرئيس كل سنة وأنت طيب .

وعدت أدراجي مرة أخرى ، وطرقت البــاب الزجاجي المطل على الشرفة ، ونهض الرئيس ففتح لي ، فمددت اليه يدي مصافحا وأنا أتمتم ضاحكا في شيء من الخجل :

ــ لا مؤاخذة يا جمال .. أنا ما كنتش أعرف .. كل سنة وانت طيب .

وضحك الرئيس قائلا :

ــ أنا كمان ما كنتش أعرف . « الجيار » هو اللي عملها في . ولما الاولاد جم يندهوا لي عشان أطفي الشمع قلت لهم : أنا عمري ما طفيت شمع

في حياتي .

وصمت برهة ثم أردف قائلا وعلى شفتيـــه ابتسامة عريضة :

ــ أنا النهارده كمان رزقت ولد.. وسميته عبد الحكيم .. مثل اسم عبد الحكيم عامر .

وتساءلت في دهشة :

ــ حقيقي ؟. مبروك .. عقبال ما يبقى قائد عام زي عبد الحكيم .

وغادرت بيت الرئيس والافكـــار تتواتر في ذهني يملؤني احساس عجيب بالراحة والغبطة .

لقد أحسست أن هذا الحـــادث البسيط في مظهره يحمل بوادر تغير عميق في حياتنا وتفكيرنا .

انه محو لآيات العبودية ومظاهر النفاق ، في مثل هذه المناسبات كانت مصر كلها تسخر للاحتفال بعيد ميلاد فرد . كانت الانوار تضاء ، والمواكب تسير .

كنا نقول ان نورا شع يوم مولده . وانه مـــن نسل النبي .

واذا ما قارنا ما كان يحدث فيما مضى بالتورتة الصغيرة والشموع التي لا يعرف صاحبها كيـــف يطفئها .

عرفنا أن تحولا عميقا قد حدث في حياتنا .

واذا كان « جمـــال » لا يعرف كيف يطفيء

الشموع .. فلا شك أنه يعرف كيف يوقدها » .

وختمت مقالي قائلا :

« لقد كتبت مقالي وأنا أخشى أن أفسد بـه التواضع الجميل الذي قصدت أن أوضحه .. ولكنني كرهت أن أخفي شيئا جميلا أطلعتني عليه مجرد الصدفة » .

ذلك هو ما كتبته في مولد الرئيس منذ أربع سنوات .

وعندما أمر بداره كل عام في مثل هذا الموعد .. لا أملك نفسي من المقارنة بين ما كنا فيه ومـا صرنا اليه .. وأحس بنفس شعور الراحة والغبطة .. عندما أجد أملا جديدا قد أشرق ، وحلما جميلا قد تحقق .. وأجد أننا في كل عام .. قد حصلنا على مزيد من الانتصارات .

وأجده .. ما زال كما هو .. نفس التواضع .. ونفس الدماثة في الخلق ونفس الايمان .. ونفس الهدوء ، وأجد الرجل .. الذي أوقد لنا هذهالشموع التي أضاءت حياتنا ومستقبلنا ومنحتنا الحريـــة والعزة والامل في مستقبل باهر مضيء .. هو .. هو الرجل الذي لم يطفىء شموعـا من قبـــل في حياته .

الثقة في النوايا

١٣ أبريل سنة ١٩٥٩

زارني اثنان من الامريكان أحدهما المستر « هنت » سكرتير منظمة حرية الثقافة ، والآخر الدكتور « برجر » ، وكان طبيعيا أن يجري الحديث حول الموقف في الشرق الاوسط .

وقبل أن يسألاني سألتهما :

ــ ما رأيكما في موقف أمريكا وانجلترا ؟

ــ من أي شيء ؟

ــ من الحالة في الشرق الاوسط ؟

ــ انهما تقفان موقف المحايد .

ــ لم أر دولتين مضحكتين في تصرفهما مثل انجلترا وأمريكا .

وبهت الرجلان وتساءلا :

ــ كيف ؟

ــ لقد كانتا تتهمان « جمال عبد الناصر » دائما بالشيوعية وبأنه يفتح الباب لتسلل النفوذ الشيوعي

في الشرق الاوسط لمجرد اتخاذه موقفا حياديا ولمجرد وضع الاتحاد السوفييتي على قدم المساواة في المعاملة مع انجلترا وأمريكا .. أليس كذلك .؟

ــ أجل .

ــ وكان « عبد الناصر » . يقاوم الشيوعية ، ويعلن في الاتحاد السوفييتي نفسه أنه يختلف معهم في المبادىء ، وأنه يريد صداقة بلا تبعية ولا تدخل ومع ذلك كان متهما بالشيوعية ؟.

ــ ربما لم تكونا تثقان في نواياه .

ــ ونوايا حكام العراق اليوم .. هل تثقان فيها ؟. ان واحدا منهما .. لم يتهم حكم العراق .. بالشيوعية .. ترى هل لديهما شك أيضا في نواياه ؟!

ورد أحدهما قائلا :

ــ هل تريد الصراحة ؟

ــ طبعا .

ــ انهما تؤيدان « عبد الكريم » ضد « عبد الناصر » لانهما تخشيان « عبد الناصر » .. أكثر من الشيوعية . ونحن نعلم أن هذا حماقة .. ولكن لا تسألنا لم ترتكب الحكومة حماقات .. لاننا لسنا

الحكومة ولا نقر الحماقة حتى ولو كانت من الحكومة .

ــ على أية حال ان موقفهما هذا أثبت أن « جمال عبد الناصر » .. امستطاع أن يقاوم الامستعمار والشيوعية بالقوى الوطنية .. وأن مشروع أيزنهاور خدعة كبرى .. وأن سياسة الغرب سياسة بلا هدف .. أو بهدف واحد هو .. مقاومة القوى الوطنية في الوطن العربي .

نابعة من الشعب

١٩ يونيو سنة ١٩٥٩

لقيت بعض الاخوان الافريقيين الذين قابلوا الرئيس « جمال عبد الناصر » وأنبأني أحدهم عن أثر الزيارة في نفسه بأنه كان يحس طوال فترة اللقاء أنه يحدث صديقا حميما ، ملء وجهه البشاشة ، وملء نفسه المحبة والود .

ولم أعجب من قول صاحبنا لاني أعرف أن من أفضل مزايا الرئيس قدرته على الاحتفاظ بشخصيته الاصيلة بمعزل عن الانفعالات والظواهر التي تحيط به أو تجد عليه . وقد نفعته قدرته على الاحتفاظ بشخصيته المتزنة الرزينة الهادئة .. في مواجهة أضخم أزمات واجهت انسانا فردا .. دون أن يفقد أعصابه .. ودون أن تطويه الانفعالات في دوامتها فيفقد قدرته على مواجهتها والتصرف فيها .

كما غلبت قدرته على الاحتفاظ بشخصيته الاصيلة النابعة من صميم الشعب كل ما يمكن أن

يحيط به من مظاهر الحكم والسلطان ، فلم يبهت من نفسه احساسه الدائـــم بمتاعب الشعب ولا طمست من عينيه المشكلات الحقيقية التي طالمـــا عاناها كفرد من أفراد هذا الشعب قبل أن يتــولى قيادته .

ولا أذكر أبدا ــ على كل ما بلغه الرئيس من ضخامة في نفوس العالم ــ أني أحسست وأنا أجلس اليه ، أني أجلس الى رئيس جمهورية .. بل تغلب احساسي بحقيقة شخصيته على كل ما حولي مـــن مظاهر رسمية .. مقلقة مقيدة .. ووجدت نفسي قد أحسست بالراحة وعدم الكلفة التي أحس بها لصديق لطيف ودود .

احـلام الامس ..
واحلام الغد

٢٧ يولـيو سنة ١٩٥٩

سمعت خطاب الرئيس .

أربع ساعات متوالية .. وأنا أجلس منصتا بلا شرود ولا سرحان .

أربع ساعات وهو ممسك بتلابيبي لم يدع لي فرصة غفلة أو ملل أو استرخاء ، أو حتى مجرد احساس بأني أمضيت تلك الساعات الاربع جالسا في مقعدي بلا حراك لا أفعل شيئا سوى الانصات .

ومن قبل فعلها بي الرئيس في خطابه فيالمؤتمر التعاوني .

أنساني نفسي وشرودي ، وسرحاني ، وسمرني في مكاني منصتا اليه الساعات الطوال .

وعللت المسألة وقتذاك .. بأنها لهفة مني على الاستماع الى أشياء تخصني ، وتخص حياتي ومستقبلي .

ولكن يبدو أن المسألة تحتاج الى تحليل أعمق .

هذا الاسلوب في الحديث والخطابة .. الـذي يمكن أن يقبض صاحبه على أذهان الملايـــين .. مستحوذا على انتباهها الساعات الطوال .. فلا يدعها لتفلت منه حتى يصمت .

لا بد أن يكون به شيء جديد .

انه أسلوب الحاكم الصديق .

الحاكم الذي تشعر أن مقعده الاصلي بجوارك وأن تربعه على منصة الحكم انما هي مسألة عرضية في حياته .. يقفز اليه فترة ومرعان ما يعـود الى جوارك ليصافحك بحرارة وليسر اليك في اخـلاص وبساطة وصراحة بما فعل وما ينوي أن يفعـــل ويسألك عن نفسك ويحدثك عن نفسه .

ان حديث الرئيس لا يبدو أبدا كأنه حاكم ، وأكثر من هذا لا يبدو أنه حديث من جانب واحد .. انه يبدو كأنه مناقشة .

مناقشة طرفها هو والملايين طرف آخر .

انه لا يفرض علينا حديثا .. بل يجيبنا على ما نود أن نعرف .

وهو يحدث الملايين .. كأنه يحدث زميـــلا في حجرة .. لا يتكلف .. ولا يزوق ولا يتأنق .

انه يشعر كل انسان من هذه الملايين .. بأنه

زميله في الحكم .. وشريكه في المسئولية والاسرار .

والذين يعرفون الرئيس « جمال » عن قرب يستطيعون أن يلمسوا مدى قدرته على الاحتفاظ في كل وقت بجوهره وأصالته وحقيقته .. والذين سمعوه وهو يتحدث ببساطة مع زملائه .. يعرفون تماما .. أنه هو هو عندما يواجه العالم كله ، نفس الاسلوب الصريح الواضح البسيط المستقيم المفهوم .. بلا لف ولا دوران ولا التواء .

وأنا أنصت اليه فأتحمس وأنفعل وأضحك ، وأنسى نفسي ، وأنسى أني أستمع الى خطبة سياسية .. ولا أذكر أنني أستمع الى « جمال » .. « جمال عبد الناصر » .. زميلي في الجيش ، الذي اعتلى منصة الحكم .. ثم عاد الي ليخبرني عما رأى ويسرد الي تفاصيل وأسرارا أتوق الى سماعها .. ويقول لي ما استطاع أن يحققه وما لم يستطع .. ولماذا !! ويشكو الي ويعتب علي ، ويطلب مني ما يريد .. ويوجهني الى ما يجب .. ويحذرني مما لا يجب .. ويخبرني عن متاعبه .. ويسألني عن متاعبي .

وأنا أحس بأنه صديقي وهو يحدثني عن « عبد الكريم قاسم » واذاعته .. قائلا : « أسمع

كلامك يعجبني ، وأسمع اذاعتك أستعجب » .

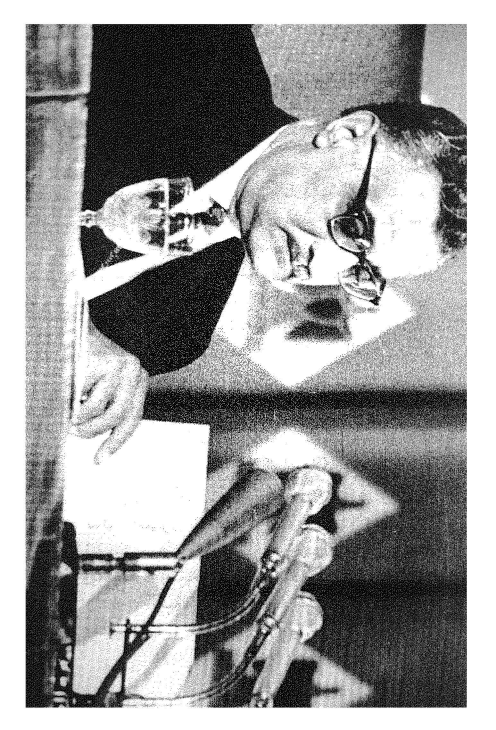
لا أشعر أنه يخفي عني شيئا ، أو أنه لا يثق في ، بل أحس أنه يفــرغ لي كل ما في صــدره .. ويقرب الي كل ما كنت أظنه .. أحاجي وألغازا .. ويسرده لي ببساطة ..

وهو يخطب أربع ساعات .. ليبسط فيها كل شئوننا الداخلية وعلاقاتنا الخارجية .. بلا اضطراب ولا زلل .. وبلا بيان مكتوب منمق حذر .. قد تتلفه كلمة تتأخر أو كلمة تتقدم .. كما عودنا الساسة في بياناتهم الحريصة المرتبة .. الحذرة ، ويسترسل في حديثه من قلبه ، بلا تردد ولا خشية ، لانه يقول ما فعل .. ولانه ليس فيما يفعل ما يخشى أن يقوله فهو في غير حاجــة الى الانتقاء ، والزخرفــة ، والتدقيق .

انه يواجه العالم كله .. في ثقة وصراحة .. لانه واضح مع نفسه ..واضح .. مع الغير .

وهو واثق مما فعــل .. واثــق من قدره في نفوس الشعب .

لا يحتاج أبدا الى اعتذار ، ولا يحتاج أبدا الى بذل وعود ، لتغطية الاعتذار وموازنة الخطأ .. بل



هو يحذر قيادات الاتحاد القومي من بذل الوعـود قائلا :

« اخواننا المرشحين في برامجهم كل واحد بيقول أنا حطالب الحكومة بأنها تعمل ترعة وتدخل نـور وتعمل رصيف .. طيب ما أنا عايز أعمل كده .. بدي أدخل في كل بلد نور وأحط فيها ميه وأعمل فيها كل شيء .. بدي أهدم القرى دي كلها وأبني بيوت تانية .. بس الموضوع مش مجرد تمني ، مش ممكن الواحد يقول كن فيكون .. كل حاجة عايزه فلوس ، واللي بيقول انه بيطالب الحكومة .. أنا بطالب الحكومة أكتر منه .. والاتحاد القومي يقدر يعمل بنفسه حاجات كتيرة جدا » .

ولم أملك نفسي وأنا أسمع كلامه الا أن أحس بالطمأنينة ، وأشعر أنه جاد .. غير هازل .. وعامل غير مفرط في الوعد ، ولا كريم بالكلام .

ولو قال انه سيهدم البيوت في القرى ويبنـي بدلها القصور ، وسيدخل النور والمياه .. لقلـت لنفسي « خسارة .. لقد تغير جمال » ولاحسست أنه يحاول أن يخدعني ، وأنا قد شبعت خديعـة ، ولنظرت اليـه في حـذر ، واعتبرت أنه سياسي يخطب .

وأقسم بالله أني ما كنت أستطيع أن أوقف ذهني وقتذاك عن السرحان في شيء أهم كثيرا من وعود خادعة في خطبة زعيم .. لا تربطني به سوى صلة الحاكم بالمحكوم .

و « جمال » .. يذكرني بأحلامنا .

أحلام الصبا .. التي تحققت .

كنا نجلس ونحن طلبة نستذكر دروسنا في شبرا .. بضعة من الطلبة .. أنا والشيخ صالح ، وصالح بخاتي ، وأخي محمود ، وأحمد اسماعيل علي ، واسماعيل السباعي ، وبقية الشلة .. لنحلم بطرد الانجليز والاستقلال واقامة المصانع .. و .. و ...

وتشعبت بنا مسالك الحياة .. بهتت من أذهاننا الاحلام ، واستبد بنا اليأس حتى كاد يمحوها .

وفي ذات ليلة قبيل الثورة جلست وحدي ،أحلم من جديد وكنت قد أصبحت كاتبا ، فوجدت لاحلامي منفذا في كتبي ، وسجلت حلمي في كتابي « البحث عن جسد » قائلا :

« نريد زعيما ولد لكي يكون زعيما .. خلق لانقاذ هذه الامة .. انه ألزم شيء الى هذا الشعب

في هذا الوقت .. زعيما يؤمن بأن له رسالة يؤديها .. وهدفا يقصد اليه .. وأغراضا يسعى لتحقيقها .

ان الشعب يريد انسانا أهلا لحبه .. انسانا يبادله الحب والوفاء والاخلاص .. انسانا يلتف حوله ويهتف له ، ويمجده ويرفعه الى عنان السماء، ويشعر في قرارة نفسه .. أن هذا الانسان أهل لكل هذا وأنه يستطيع أن يسلم له قياده ويترك له عنانه ويتبعه أينما سار ويعمل كل ما يأمره به .

يريد انسانا ينقذه من هـــذا الفساد الذي تسرب في كل نواحي حياته .. في التعليم والخلــق والاقتصاد والسياسة .. لقد انهارت المثل العليا ، وأضحت الانانية والخسة والوضاعة والنفعيـــة تسيطر على الاذهان والاعمال .

الحكم البرلماني عاجز ، والانتخابات سخرية ، والحرية يساء استغلالهـــا من جانب المحكوم .. والحكم العرفي يساء استغلاله من جانب الحاكم ؟

من مجيرنا من هذا التدهور !؟ من مجير هــذا البلد من أشراره وفجاره ، من محكومين وحكام !؟

وأخيرا يتركز الجواب .. في زعيم صالح .. » .

هذا ما كتبت قبيــل الثورة ، حلــم آخر ، لم

يذكره « جمال » فيما ذكر من أحلامنا عن سهو أو تواضع .

قال « جمال » :

« ومن سبع سنين كنا بنحلم بالاستقلال وبنحلم بطرد الانجليز وبنحلم بتأميم القنال ، وبنحلم بالتمصير ، وبنحلم بالتصنيع » .

وتحققت أحلامنا .

ونسي « جمال » .. حلمنا في الزعيم الصالح .

لقد ذكر كل شيء في خطبته .. ذكر الشعب والجيش ، ونسي نفسه .

نسي حلمنا الذي تحقق في شخصه .. هل يسمح لنا بأن نذكره به ؟ وهل يسمح لنا بمزيد من الاحلام ؟

أحلامنا الجديدة .. هي نفس ما ردده هو :

« المجتمع الاشتراكي التعاوني الديمقراطي .. هدم القرى وبناء البيوت ثانية .. كل بلد فيه نور .. ومية .. ورصيف .. وترعة » .

تلك هي أحلامنا الجديدة .

وهي .. بوجوده .. تبدو في أذهاننا .. حقائق أقرب منها الى الاحلام .

ان أحلام الماضي .. كانت :

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
أما أحلام اليوم .
فهي حق ، وحق ، وحق .
انها ملء أيادينا .. أكثر منها ملء أذهاننا .

كيف املكت قصة الرئيس

٣ أغسطس سنة ١٩٥٩

انتهت اللجنة المشرفة على مسابقة قصة « الرئيس » من فحص الانتاج المقدم ، والذي بلغ ما يقرب من أربعمائة محاولة لتكملة القصة .

ومنذ فترة قرأت في جريدة « الاهرام » تعليقا على المسابقة وجه في نهايته التساؤل التالي :

« أين الادباء ؟ » .

ثم استرسل كاتب التعليق يقول :

« كان واضحا أن معظم الاسماء التي اشتركت في المسابقة لم يسمع بها أحد ، وترتب على ذلك أن ٣٠ في المائة من القصص لم ترتفع عن مستوى انتاج تلاميذ المدارس الابتدائية ، « كما قال أعضاء اللجنة » .

لماذا لا يشترك الادباء المعروفون في مثل هذه المسابقات ؟

كانت هذه الظاهرة واضحة في مسابقات جوائز

الدولة التشجيعية ، لحظ أعضاء لجنـــة فحص القصص أن الادبـــاء اللامعـــين لم يشتركوا في المسابقة ، واقترح بعضهم أن تعطي اللجنـة حق ادخال بعض الادباء في المسابقة حتى يرتفع المستوى وفعلا أدخلت كتب للشرقاوي ، والسحار ، ويوسف السباعي ، ولكن يوسف السباعي كتب الى اللجنة خطابا قال فيه : « ان منصبه كسكرتير عام للمجلس لا يسمح له بالاشتراك في مسابقة نظمها المجلس »، وكان هذا مبررا معقولا ، وعلى أثر وصول هـذا الخطاب استبعدت كـــل القصص التي أدخلت في المسابقة ، وعاد المستوى ضعيفا كما كان .

وتكررت هذه الظاهرة في هذه المسابقة الاخيرة.

هل يخشى الادباء ألا يفوزوا بالجوائز في هذه المسابقات ؟

هل يرفضون أن يقوم أعمالهم زملاؤهم ؟ أم ماذا ؟

وأخيرا قذف صاحب التعليق الكرة للادبـــاء بقولـــه :

ــ الجواب عند هؤلاء الادباء دون غيرهم .

وأصبح على الادباء ــ دون غيرهم ــ أن يلتقطوا الكرة .. ويلقوا بالجواب .

ويبدو لي أنني أحد هؤلاء الادباء .. المتوقع منهم أن يجيبوا .. لماذا لا يشتركون في المسابقات العامة ؟

وأستطيع أن أجيب اجابتين :

اجابة عامة عن الادباء .

وإجابة خاصة عن نفسي .

أما عن الاجابة العامة .. فأنا أعرف أن الفنان يكره التسابق .. انه يحب أن يقدر على عمل أنتجه في هدوء ، ودون أن يشعر أنه يعدو به في مسابقة .. ان احساسه بأنه ينتج من أجل امتحان أو منافسة .. يعرضه للقلق والخشية ، ويخرجه من الانفعال الطبيعي الذي يستحوذ عليه خلال الانتاج ، والذي يمنح انتاجه الصدق والحرارة .. إلى افتعال الاجادة واصطناع التحسين .

وهو في كرهه الطبيعي للتسابق والمنافسة .. يخشى عدم الفوز ، ويكره أن يعرض نفسه للامتحان ، ويرفض أن يقوم زملاؤه أعماله .. تماما كما تساءل صاحب مقال « الاهرام » .

وهو على حق في خشيته .. لان الاديب لا يقوم بانتاج واحد .. بل بمجموعة انتاجه ، وجائز جدا أن يدخل « توفيق الحكيم » مسابقة للقصة .. ولا

يفوز ، ولا يعني هذا أن الفائز أفضل من « توفيق الحكيم » ، ومع ذلـك يكره « توفيق الحكيم » أن يعرض نفسه لتجربة الاخفاق .. كما يكره أن ينتج من أجل الفوزفيمسابقة .

تلك هي الاسباب العامة التي تجعل الفنـــان يعرض عن المسابقة العامة .

أقولها ، وأرجو أنْ أكون قد عبرت عـن رأي الفنانين ، ومع ذلك فهناك أسباب خاصـة حملتني على رفض الدخول في مسابقـــة الدولـــة للجوائز التشجيعية .. فضـــلا عن الاسباب العامـــة التي ذكرتهـــا ، والتي تجعل الأديب أو الفنـــان يكره الدخول في مسابقة .

انني لم أفز في حياتي في أية مسابقة .. من أي نوع .

والجائزة الوحيـــدة التي حصلت عليها لـــم أحصل عليها لاني كسبت .. بـــل لاني خسرت !! وكان ذلك في مباراة ملاكمة .. كسر لي فيها أحـد أضلاعي فمنحت الجائزة لاني خاسر بتفوق (أي Good Looser) ، وفي كل انتخـــابات خضتهـــا .. خسرت !!

والمرة الوحيدة التي فزت فيها بعضوية مجلس

ادارة نادي مصر الجديدة .. لم يكن فوزي عن نجاح في الانتخابات .. بل لانني خسرت ، وعين الناجح في الانتخابات ، وهو « عـدلي الشافعي » سكرتـيرا للنادي .. فعين الذي يليه في الاصوات ، ولم يكـن هناك أحد سواي .. ففزت بالعضوية !

وعندما كنت في الفرسان .. لا أذكر أنني فزت مرة واحدة في أي سباق .. سواء أكان للقفز .. أم لغيره ، وكنت دائما أفوز في التمرين ، وأخسر في المسابقة النهائية .

وبعد كل هذه التجارب الطويلة في المسابقـات .. لم يكن من المعقول أن أعرض نفسي لنوع جديد من الاخفاق في مسابقات الادب .

ولم يسمع عني أحـد ، منـذ بدء اشتغالي بالكتابة .. أني فزت بجائزة من جوائز المجمع أو الوزارة .. أو الدولة ..

وكان يحتمل أن تدخل احدى اللجان أحـد مؤلفاتي للمسابقة دون أن أتقدم بها ، والقانون يمنح لجان مسابقات جوائز الدولة هذا الحق .

ولكنها لم تفعل أبدا .

وكان لي كتب تستحق منها نظرة .. كـان لي «أرض النفاق» الذي كتبته ١٩٤٨، و «السقا مات»

الذي كتبته ١٩٥٣ ، و « رد قلبي » الذي كتبتـــه ١٩٥٥ .

ومع ذلك لم يسأل عني أحد ، ولم يعبرنـــي أحد .

فاذا ما تحولت جوائز الدولة الى مجلس الفنون وأصبح هو مسئولا عنها ، وأنا كسكرتير عـــــام مسئول عنـــه .. ذكـــرت مؤلفاتي ، وقدمت الى المسابقة !

والنتيجة ؟ .. ماذا سيقول الناس اذا فزت ؟ يقولون : طبعا .. مش سكرتير المجلس .. ليه مـــا يفوزش ؟

واذا لم أفز .. فانهم يقولون : « تصوروا .. سكرتير عام المجلس ، وسكرتير نـــادي القصة ، وسكرتير اتحاد الادباء ، وعامللي كاتب كبـــير ولا فازش في المسابقة » .

وقلت لنفسي « يا أخي بناقص مسابقة .. اللي خلاك قعدت السنين دي كلها ما تكسبش .. خليهـــا بجملة » !

وهكذا كفيت خيري شري ، ورجوت من اللجنة أن تسحب الكتاب ، وأن تعفيني .. من شر التجربة.

أما قصة الرئيس .. فكان لها قصة .

لقد قرأت القصة ، وبدأت في تكملتها فعلا ..
دون أن أفكر مطلقا في مسألة المسابقة .

وبعد بضعة أيام زارني « أنيس منصور » و « فتحي أبو الفضل » ، وسألني « أنيس » باستنكار ودهشة :

ــ حقيقي أنت بتكمل قصة الريس ؟

وأجبته ببساطة :

ــ أيوه .

ــ ازاي ؟

ــ زي بقية الكتاب .

ــ لكن أنت سكرتير عام المجلس اللي بينظم المسابقة .

ــ وفيها ايه ؟

ــ فيها ايه ازاي ؟ ده الخبر عامل تأثير سيء جدا .. في نفوس الكتاب ..

وسألته في دهشة :

ــ ليه ؟

ــ لانك لو دخلت المسابقة أنت ، وغيرك من الكتاب المعروفين .. حا تصعبوا الفرصة أمام الكتاب الناشئين .

وسألته في دهشة :

ــ ومين قال اني داخل المسابقة ؟ أنا بحاول أكملها ككاتب قصة ، وفعلا وضعت الهيكل الكامل لهـا .

ــ كملها زي ما أنت عايز .. بس المهم انك ما تدخلش المسابقة .

وفي اليوم التالي نشر « أنيس » .. طمأنة ينفي فيها خبر اشتراكي في المسابقة .

ولم يمنع نفيه من تكملتي لها ، على أسـاس نفس الشخصيات التي بدأ بها الرئيس قصته .

وقد لخصت بداية الرئيس التي كتبها فيخمسة فصول في ثلاث عشرة نقطة . ثم لخصت تكملتي لها في تسعة فصول .

وهذا هو هيكل القصة كاملا .

البداية التي كتبها الرئيس :

مقدمة :

١ ــ في عام ١٨٠٧ هاجم الاسطول الانجليزي الاسكندرية واستولت جيوشهم عليها ، ثم تقدمت الى رشيد .

٢ ــ أصر أهل رشيد على المقاومـــة وقسموا أنفسهم قسمـــين .. قسم لاستدراج الانجليــز في

الحماد ، وقسم بقي في الدور ليقضي على الغزاة .

الفصل الأول :

٣ ــ (١ سبتمبر) في الفجر حاول الانجليــز المعسكرين شمال الحماد بقيادة فريزر التسلــل الى معسكر مراد باشا للقبض عليه في خيمته أثناء نوم رجاله وتحرك ولنجتن على رأس ٦٠٠ عسكري ، ولكن قبل أن يصلوا طاف شبح رجل طويل فأيقظ المصريين ، وأخفقت مفاجـــأة الانجليز وعــادوا أدراجهم ، وقال ولنجتون لفريزر : انه يعتقد أن الشبح المقنع هو الذي أنذرهم .

٤ ــ (٢ سبتمبر) في خيمة فريزر مناقشة بين فريزر وولنجتون عن فشل ٦ حملات مفاجئة دبرت بفضل الجاسوس المقنع الذي ينذر المصريين وذعر الانجليز منه .

الفصل الثاني :

٥ ــ حديث ولنجتون أن الجاسوس ٥٦٦ قال : ان رشيد ضعيفة لان قوة المصريين كلها في الحماد ، وانه يجب الامراع في الاستيلاء عليها ، وان « محمد علي » الذي يحارب المماليك في الصعيد سيهرب الى سوريا بعد انتصار الانجليز ، في دمنهور .

الفصل الثالث :

٦ ــ في بيت « محسن الخامل » ، وهــو يجلس

شاردا مع عروسه « وداد » التي أجل الغزو زفافه اليها .

٧ ـ يتذكر قصته مع « وداد » ابنة « أحمد عاصم بك » ، عندما نجاها من كلب هاجمها ، ثم وقع كلاهما في حب الآخر ، وكان ابن عمها « حسن » يريد زواجها ، وهي ترفضه ، فحقد على « محسن » لحبها له وفاجأهما على الغدير وهددهما .

ولكن « محسن » ذهب هو وأبوه وخطبها وحددا يوم العرس .

٨ ـ لوم والده له وحثه على الخروج للدفاع واعتراض أمه وعدم اكتراثه وخروج أبيه غاضبا.

الفصل الرابع :

٩ ـ مناقشة بين « ابراهيم » الابن المتحمس .. وأمه يلوم فيها أخاه « محسن » على مجونه ولهوه وتحذره أمه .

الفصل الخامس :

١٠ ـ الجاسوس رقم ٥٦٦ هو « قطان باشا » المرابي الارمني المستوطن برشيد .. يعيش منعزلا مع ابنته « ليلى » « ١٨ سنة » وقد فقدت أمها ، وهي في السابعة ، وقد أقرض « طاهر بك » العمدة مبلغا لم يستطع سداده في موعده فأمهله أسبوعا..

١١ ـ الانجليز يطلبون من « قطان » وجود

شخص في منزل العمدة لكي يطلع على الخطط التي في عهدة « ابراهيم » .

١٢ ــ مصلحة « قطان » في استيلاء انجلترا على مصر بعد أن وعده الانجليز باستقلال الارمن على يديهم .

١٣ ــ ذهاب « طاهر » لتأجيل الدين ورفض « قطان » الا اذا تزوج ابن « طاهر » من ابنته .

التكملة :

الفصل السادس :

موافقة « طاهر » على الزواج ومحاولة اقناع « ابراهيم » بالزواج من ابنة « قطان » ورفضه ،ثم محاولة اقناع « محسن » وموافقته ، وتركه خطيبته « وداد » وفجيعتها فيه .

الفصل السابع :

محاولة « قطان » ارغام ابنته « ليلى » على زواج « محسن » ومحاولة استغلالها في الحصول على أخبار من أخيه « ابراهيم » .

الفصل الثامن :

تخطب « ليلى » « لمحسن » مرغمة ، وتقع في غرام « ابراهيم » ، وهي تحاول الحصول على معلومات منه . ويحبها « ابراهيم » ، ولكنه يصد

نفسه عنها لانها خطيبة أخيه « محسن » .

الفصل التاسع :

« وداد » تشكو « لابراهيم » هجر « محسن » لها وتحذره من « ليلى » وأبيها ، ولكنه يدافع عنها .

الفصل العاشر :

يبدأ الاستعداد للمعركة ويضع الانجليز خطتهم للاستيلاء على رشيد .. ويذهب « ابراهيم » الى المنزل ، ومعه خطط الدفاع . وتحاول « ليلى » سرقة الخطط ، ثم تتراجع ، ولكن أباها يحضر ويأخذها منها بالقوة .

الفصل الحادي عشر :

يظهر « محسن » صداقته « لقطان » ويقيم في بيته حفلات عربدة وسكر .

الفصل الثاني عشر :

تعترف « ليلى » « لابراهيم » بأخذ الخطط وتخبره أن « محسن » كان يعرف ، وتحاول الانتحار ولكن « ابراهيم » يمنعها وينطلق الى الميدان .. وهو يحس أن الوقت متأخر لاعادة الخطط وانقاذ المصريين .

الفصل الثالث عشر :

لا يكاد يذهب حتى يجد أن الشبح المقنع قد

طاف بمعسكر المصريين ونبههم الى حصول الانجليز على خططهم وطلب منهم تغييرها .

الفصل الرابع عشر :

ينتصر المصريون ويطرد الانجليز ، ويصاب الشبح المقنع بعد أن يقوم بأعمال بطولة خارقة .. ثم يكتشف في النهاية أنه « محسن » ويعود الى خطيبته . ويتزوج « ابراهيم » من « ليلى » بعد أن يشمل الاهالي الحريق في بيت أبيها « قطان » .

ذلك هو هيكل القصة كما أتممتها ، والتي لم أحاول أن أدخل بها المسابقة لجميع الاسباب السالفة الذكر .. العام منها والخاص .

ولو علم « أنيس منصور » و « فتحي أبو الفضل » أني من أصحاب السوابق في الخسارة في المسابقات لما جزعا من اشتراكي فيها ، ولما اعتبرا دخولي فيها مسألة خطيرة .

اني لا أستطيع أن أكتب أبدا وسيف المسابقة والامتحان والتنافس مسلط على رأسي .

اني لا أستطيع الكتابة الا وأنا متحرر منجميع القيود وأولها الخوف من الاخفاق ، واللهفة على النجاح .

اني أحب أن أكتب لنفسي أولا .

حول التصريح الغافل ..
أو التهريج الثلاثي ...

٢٧ فبراير سنة ١٩٦٠

وجه الرئيس عبدالناصر تحذيرا للدول صاحبة التصريح الثلاثي .

وجهه الرئيس في قوة وعزم وتصميم .

وجهه .. وملء نفسه الثقة والايمان .

وأنا أذكر تأميم القنال .. أذكر نفس القوة والعزم والتصميم وأذكر ثقة الرئيس وايمانه المستمد من احساسه بتأييد الشعب المطلق له .

أذكر كيف عبر عن هذا الاحساس بقوله وقتذاك : انه يشعر أن ظهره مسنود بالشعب .

ولا جدال في أن الشعب قد وضح للعالم في رحلة الرئيس الاخيرة الى الاقليم الشمالي كيف يسند ظهره ويشد أزره .

وأضحى على السادة الذين يوجه اليهم الرئيس أحاديثه .. من أي نوع .. أن يعرفوا ، أنهم يسمعون

في صوته الى الملايين .. تعبر عن آمالها وأمانيهـــا ومتاعبها ومخاوفها .

فعندما يقول الرئيس جمـال لدول التصريح الثلاثي ان أي تدخل في شؤوننا سواء بالعدوان أو بالتفكير فيه أو بمحاولة فرض الوصاية علينا تحت اسم التصريح الثلاثي سينتج عنه تحطيم مصالح الدول المعتدية في كل المنطقة العربية .

عندما يقول الرئيس «جمال» ذلك.. فهو يقوله باسم الملايين العرب التي تستطيع فعلا أن تحطم مصالح الدول المعتدية .. بمنتهى اليسر ، وبمجرد أن تشرع هذه الدول في محاولتها .

ويبدو أن الدول صاحبة التصريح الثلاثي .. لا تحاول فهم المسألة على حقيقتها ، ولا تحاول أن تصل الى جذور المشكلة ، التي تجعل الرئيس يهدر باسم الملايين .. بأنها لا تقبل وصاية أحد .. ولا تقبل أن يفرض عليها تصريح من جانب واحد .. لا يستهدف الا مصلحة اسرائيل .

هذه المسألة التي يتناولونها بمثل هذه البساطة والخفة .. ليؤكدوا بها لانفسهم نوعا من « الهيبة الضائعة » هي مسألة ملايين تحس بالخطر الداهم

على مصيرها .. وتحس أكثر من ذلك بالعزم والقدرة على دفع الخطر .

فمشكلة اسرائيل التي قد يرونها مجرد قلاقل تثار في منطقة معينة لتهدد مصالحهم فيها .. والتي يركزون كل جهودهم فيها لمجرد ابقائها هادئة .

هذه المشكلة لا يمكن أن تكون كذلك بالنسبة لنا .. لانها باعتبار ما كان .. عملية اغتصاب لجزء من وطننا العربي واعتداء على اخوان لنا وسلبهم أرضهم وممتلكاتهم وطردهم منها بأبشع عمليات البربرية والهمجية .

ولانها باعتبار ما هو كائن .. ابقاء لاخواننا الذين سلبوا أوطانهم على حال من التشريد والضياع لم يحدث له مثيل في التاريخ ، وابقاء للوطن العربي في حالة تحفز دائم يستنزف جهوده التي نحتاج الى كل قطرة منها في سبيل البناء ، ومن أجل اللحاق بركب الحضارة .

ولانها باعتبار ما سيكون .. خطر داهم كأنه وخزة السم التي تحاول أن تجد طريقها الى بدن الوطن العربي لتفتك به كله .

انها باعتبار ما سيكون .. الداء الذي يهـــدد بالاستشراء من الفرات الى النيل .. لكي يقضي

علينا جميعا .

تلك هي المشكلة بالنسبة للملايين منا ، والتي يجب أن يعرفها هؤلاء الســـامة الذين يحلـــون المشكلات بالتصريحات وهم جالسون على مقاعدهم في باريس أو لندن أو وشنطن .

والملايين الذين يتحدث باسمهم جمـــال عبد الناصر . لم تغب عن أذهانهم حقيقة هذه المشكلة بالنسبة اليهم .. ولكنهم كانوا يشعرون بالعجـــز الناتج عن تفتت ارادتهم وتشتيت كلمتهم .

كانوا يبذلون المحاولات العاجزة لحلها .. ثم تفرض عليهم في النهاية رغبات هؤلاء الساسة الذين يرون المشكلة من وجهة نظرهم على أنها قلاقل تضير مصالحهم في منطقة يجب أن تبقى هادئة .

والقلاقل في نظرهم لا يثـــيرها غير العرب .. فهجوم اسرائيل ، وشن العدوان ، لا يعتبر قلاقل ، والحرب الغاشمة التي أثاروها في القنال ، لا تعتبر قلاقل .

بل هم يفترضون أن التصريح الثلاثي الساحر .. مستمر في مفعوله العجيب في ضمان الهدوء في هذه المنطقة ، بعد كل ما حدث من اعتداء وقتـــال وتدمير .

هم يفترضون أن التصريح قد أخذ تعسيلة ..
وأن العدوان الثلاثي لا بد أن يكون قد حدث في غفلة منه .

وفجأة يستيقظ التصريح النائم .

وبمنتهى التهـــريج .. يعـــلن أصحابه أن تصريحهم .. الشهم مصر على أن يحافظ على الهدوء في هذه المنطقة .

ويعلم الله اذا كانوا في قرارة أنفسهم يعتقدون حقا ..·أن هذا التصريح يمكن أن يخدع أحدا .. بعد أن اشترك ثلثا أصحابه في ذبحه ، والقضاء عليه .. بشن أكبر اعتداء ، واثارة أظلم حرب يمكن اثارتها في هذه المنطقة .

وكان يمكن أن يهرفوا كما يشاءون .. عندما كانت لهم هيبة .

كان يمكن أن يقـــولوا أي مسخـــافة دون أن يستطيع أحد أن يقول لهم « تلت التلاتة كام » .. عندما كانوا يسيطرون بجيوشهم على هذه المنطقة.. وعندما كانوا يوجهون كلامهم الى حكام .. يخشونهم ويأتمرون بأمرهم .

ولكن الآن ..

الآن .. وهم يعرفون جيدا .. كيف تطور الأمر. يعرفون .. كيف ركلوا من بور سعيد .. وكيف

ضاع نفوذهم ، وسقطت هيبتهم .

يعرفون ـ وعلى رأسهم ماكميلان الذي رأى بعينيه ماذا حدث في افريقيا ـ أن الشعوب أصبحت حرة ، لان طبقة الحكام العملاء .. تتهاوى أمـــام يقظة الشعوب .

وهم قد خاضوا تجربة .. مع شعب بالذات ، ومع زعيم بالذات .. وانه لم يرهب تهديداتهم ، وهم في أوج قوتهم .. وهــالة العظمة الآفلة تحيط بهم ، وباسمهم القديم الموهوم ما زال يجثـــم على الانفاس .

لم يرهبهم .. أو يخشاهم ، وأخذوا يتوهمون أنفسهم كالمارد الذي يضج ويصرخ ، ولكنه خاض بشعبه معركة مريرة قاسية .. لم يملك فيها غير سلاح الايمان بحق شعبه في الحياة ، وفي الحرية ، وفي الكرامة .

فكيف يمكن أن يخشاهم .. بعد أن وضع المارد في القمقم ؟

كيف يمـــكن أن يسكت على افتراءاتهـــم ، وأباطيلهم ، وهو يقف ليدافع عن حق واضح .. اعترفت به هيئة الأمم التي تضمهم .

لماذا لا يكون هـؤلاء الساسـة واقعيـــين في تفكيرهم ؟!

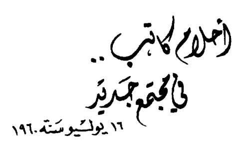
لماذا لا يعتبرون ؟! . ان اسرائيل بالنسبة للعرب ليست مسألة قلاقل واضطرابات .. وانما هي مسألة حياة أو موت ، وان العرب لن يسلموا أبدا باغتصاب جزء من وطنهم .. وتشريد اخوانهم منه ، وانهم لن يهدءوا أبدا .. والخطر الداهم يجثم الى جوارهم .. والسم الزعاف يهدد في كل لحظة بأن يسري في بدنهم من الفرات الى النيل .

يجب أن يسلموا أن العرب لن يهدءوا أبدا .. وهذه الشوكة تخزهم في كل لحظة .

يجب أن يسلموا بأن العرب سائرون في طريق القوة والاتحاد ، وانه كلما ازدادت قوتهم .. ازدادت قدرتهم على الخلاص من هذا الخطر .

لماذا لا يفكرون في المشكلة من هذه الناحية ؟! ماذا يدفعهم الى تدليل اسرائيل على حساب الحق والعدل .. اذا كانت اسرائيل بالنسبة اليهم رأس جسر للاستعمار .. فهي أضحت رأس جسر لا يوصل الى شيء لانه لم يعد هناك مكان للاستعمار في أرض العرب .

وهم يستطيعون أن يكسبوا من العرب بالصداقة أضعاف أضعاف ما يكسبونه بمحاولة فرض الاستعمار .. أو مساعدة عميلته اسرائيل .



قال الرئيس جمال عبد الناصر في لجنة الفنون في مؤتمر الاتحاد القومي انه آت من القناطر .. وانه قد أبصر اطفال القرى .. أمام بيتهم .. وان هذا هو مجتمعنا الحقيقي الذي يجب أن نفكر فيه .

والكتاب لهم طريقتهم في التفكير .

• . وهم يبدأونها بالاحلام والاماني ويصورون أمانيهم .. في دقة .. ومثابرة والحاح .. ويدفعون الناس اليها .. حتى تصبح حقائق ..

والرئيس جمال عبد الناصر .. نفسه .. هو أحد أماني الكتاب .. واحلامهم .. لقد بدأناه بأحلام .. عن زعيم .. كتبت عنه أصوره في كتاب « البحث عن جسد » أقول « أنه ألزم شيء الى هذا الشعب في هذا الوقت انه يؤمن بأن له رسالة يؤديها وهدفا يقصد اليه .. وأغراضا يسعى ليحققها .. وقد أهله الله لتأدية الرسالة .. وهيأه للوصول الى الهدف ..

ولتحقيق الاغراض .. لقد وهب له من المواهب ما يجعله يؤدي رسالته بيسر واخلاص » ويشعر في قرارة نفسه .. ومن طريقة خلقه أن ذلك عملـــه يؤديه بلا تكلف وبمهـــارة وثقة وبلا اعوجاج أو خلط .

تلك كانت صورة الزعيم في أذهاننا .. عرفنـا حاجتنا اليه .. وظللنا نرسمها في الحاح ودقة .. حتى أضحت حقيقة .. وحتى بعث الينا الزعيم ..

وكما كان لنا في الزعيم .. حلم .. وكانت أمنية .. وكانت صورة .. وأضحت حقيقة .. فان لنا في مجتمعنا .. حلما .. وأمنيـة .. ونحن نرسمـه في أذهاننا .. في صورة .. ستصبح مع الحاحنا فيها .. حقيقة .. كما أضحى الزعيم حقيقة ..

وكما كان الزعيم يبدو وهمافي زمن كنا نغرق فيه في ظلمات اليأس ..

وقد تبدو صورة مجتمعنـا الذي نرسمه الآن وهما .. وظلمات الفقر والعجز ما زالت تخيم علينا .. ومع ذلك .. فلا شيءيمكن أن يعوق ذهن الكاتب عن التصور .. لا ظلماتاليأس.. ولا ظلمات الفقــر والعجز ..

ولا ضير عليه .. أو علينا .. من أن يطلق شعاع

ذهنه ليسبقنا في ظلمة الطريق عله يبدد حلكتهـــــا ويبرز لنا بعض معالمه ..

أتصور نظام الحكم المحـــلي قد بدأ . والسد العالي يرتفع .. والقوى الكهربائية .. تتدفق من أعالي النيل . والوقود .. يتزايد من آبار البترول يوما بعد يوم ..

و « أماين » الطوب الاحمـــر قد انتشرت في القرى .. تصب قوالبه من الطمى وتحرق فيها .. لتخرج لكل قرية ما تحتاج اليه .. وبعض أبناء القرية قد تدربوا على البناء في مـــركز تدريب مهني في المركز .. وعادوا ليشيدوا مع أبناء القـــرية .. قريتهم من جديد .. بتخطيـــط كل بيت يشمـــل الزريبة والفرن .. ومسكن الاســرة .. وتخطيط للقرية .. تمد فيه مواسير المياه .. وتضاء أبواب الدور بالفوانيس .. ويقام فيه السوق .. وزاوية الصلاة ..

والمصانع تنتج آلات الحرث وماكينات الري .. ومــراكز التدريب تدرب الفـــلاحين على الآلات والفئوس والشـــواديف والطنـــابير والسواقي والمحاريث قد اختفت كلها ..

ومصانع الملابس تنتج القميص والبنطلـــون

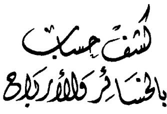
والصندل .. والقبعة القماش .. وتغمر بها الاسواق بثمن الجلباب والمركوب واللبـــدة .. والفلاح قد ركب التراكتور بزيه الجديد .. والفلاحة لم تعد تجر وراءها الذيول .. وتلف الطرح ..

والطرق تشق جميع أنحاء الجمهورية .. فلا تترك فيها منفى أو منعزلا .. والمصانع قد انتشرت على طول الطريق .. وابناء المحافظات يعيشون فيها .. ويعتزون بها .. ويشعرون بقدرها .. يخدمون في مصانعها .. ويدرسون في مدارسها .. ويعملون في مستشفياتها .. ويحتضنون قراها .

ولم يعد في الجمهورية .. أطراف ميتة .. ولا عاد فيها .. أفراد يعيشون بمعزل عن الحياة .. كل انسان يعمل .. وينتج .. وفي كل يوم نكتشف في أرضنا خيرا جديدا .. ننفع به أنفسنا .. ونضيف به شيئا جديدا الى بلدنا ..

تلك هي صورة مجتمعنا كما يتخيله كاتب ..

أترونه .. واهما .. لا أظن .. أترونها تحتاج الى معجزات لكي تتحقق .. لا أظن أيضا .. فكل ما نحتاج اليه لكي تصبح حقيقة .. هو كما قال الزعيم .. آن نعمل ..



٢٣ يوليو سنة ١٩٦٠

في مثل هذا اليوم .. وفي مثل هذه الساعة التي أكتب فيها هذه اليوميات .. منذ ثماني سنوات ..

كنت أجلس لاكتب ما يلي في كتابي « البحث عن جسد » :

« لقد انهارت المثل العليا ، وأضحت الانانية والنفعية تسيطر على الاذهان والاعمال والتصرفات .. أضحى ظل كل عمل هو الفساد والتراخي والاهمال والفائدة الخاصة .. وكل انسان يتحدث عن هذا ويعترف به وينغمس فيه .. وبعد كل هذا يبحث بالكلام عن دواء للعلة وعلاج للداء ..

لا حديث للناس الا كيف ننقذ هذا البلد ؟ وأي نوع من أنواع الحكم يصلحها ؟

الحكم البرلماني عاجز .. والانتخابات سخرية .. والحرية يساء استغلالها من جانب المحكومين .. والحكم العرفي يساء استغلاله من جانب الحكام ..

ما العمل ؟ .. من ينتشلنا من هذا التدهور .. ومن ينقذنا من هذه المرارة ؟ من مجيرنا من التاجر المستغل والبائع الســـارق وصاحب الارض النهم الشره ؟

العامل الكسلان عديم الخلق .. من مجـــير الطالب من المعلم الجاهل . والمعلم الجاهل من الطالب السافل الذي لا يحترم معلما ولا ناظرا .

ان هذا البلد قد بلغ من الانهيار نهايته ..

وان شيئا ما لا بد أن يحدث .

انفجار .. أو تحول او انقلاب فان كل من قرأ تاريخ الامم يتنبأ بأن هذا البلد قد بلغ حدا يجعله في انتظار حادث جلل » .

هذا ما كتبته في مثل هذه الساعة .. في مثل هذا اليوم من ثماني سنوات .. ربما كان به نوع من التنبؤ .. وربما أردت به أن انفس عن كربتي ولكن لم تمض بضع ساعات حتى وقع الحادث الجلل .

لم تمض بضع ساعات .. حتى انطلقت شرارة الثورة .. وأشرق فجرها .. ومر العام تلو العام .. ونحن نجتاز أحداثا جساما .. وكنت أحس اننـــا كجواد السباق .. لا يكاد يتخطى حاجزا حتى يبرز له حاجز آخر ..

ولكن عندما نتوقف لحظة .. لنلقي نظرة خاطفة وراءنا .. ثم نقارن ما كنا عليه وما صرنا اليه .. نستطيع ان نعرف حقيقة ما فعلنا .

ولقد قدمت خلال المؤتمر العـــام للاقليميين والمؤتمر العام للجمهورية من البيانات ما يوضح لنا جيدا ما استطعنا تحقيقه ..

ومع ذلك فقــد أحسست أن خير اجمال لمـا حصلنا عليه من انتصارات هو ما سجله الرئيس جمال في خطابه في مجلس الامة :

« ... ولقد خضنا معارك ضخمة من أجـــل حريتنا ومن أجل وضع الاسس السليمة لمجتمعنا القائم على العـــدالة الاجتماعية ، وعلى الرخـــاء والطمأنينة ... »

خضنا هذه المعارك ضد قوى ضخمة .. وفي تقديري أن نتيجة الخسائر والارباح يمكن اجمالها في ما يلي :

خسائر العدو :

عدد « ١ » ملك :

فيصل ــ العراق .

عدد « ٢ » رئيس جمهورية :

جلال بايار ــ تركيا .

كميل شمعون ــ لبنان .

عدد « ٤ » رؤساء وزارات :

انطوني ايدن ــ بريطانيا .

جي موليه ــ فرنسا .

عدنان مندريس ــ تركيا .

نوري السعيد ــ العراق .

خسائرنا :

لا شــــيء ...

تلك قائمة بالخسائر في الاشخاص . قائمة واحدة محددة ، لا أظن ان هنــاك معركة اسقطت عددا من الرؤوس كما سقط في هذه المعركة ..

بقيت قائمة خسائر الجيوش .. والاحلاف .. والمشاريع .. هي كما يلي :

عدد	نوع
١	حلف بغداد
١	مشروع ايزنهاور
١	اسطول سادس (عاد الى قواعده بخفى حنين)
٢	من الجيوش والاساطيل والاسلحة الجوية والفرنسية (ارتدت على اعقابها مدحورة من بور سعيد)

١ مخلب قط من اسرائيل (احترق كغيره من مخالب القطط)

أما عن قائمة الارباح .. فيمكن ايجازها فيما يلي :

العـدو

لا شـــيء ...

نحـن

عدد	نوع
١	حرية بكافة انواعها
١	وحدة عربية
١	ثقة بالنفس (بالشعب ، بالقيادة)
١	سد عالي
١	مشروع تنمية
١	اتحاد قومي
١	مستقبل مشرق مفعم بالامل .

ذلك هو كشف موجز لحساب الثورة في ثماني سنوات كما تعيه الذاكرة وكل سنة ونحن طيبون.. أحرار .. سعداء .. مليئون بالامل .. وكل سنـة وابنتي ببا طيبة .. لان اليوم عيد ميلادها .

الماكرة .. عرفت كيف تختار اليوم حتى نحتفل به جميعا .



أحلام .. لا حدود لها !!

١٩٦٠/٩/٢٤

٢٢ سبتمبر :

طار الرئيس جمال الى نيودلهي .. وطارت معه أمانينا وأحلامنا . والرئيس جمال قد عودنا دائما على أن يحقق أحلامنا .. ويجسد أمانينا . وفي خطابه في الاتحاد القومي .. سألنا الا نبخل بالاماني وألا نقتصد في الاحلام • . فبداية كل عمل رائع .. أمنية في رؤوسنا .. ينفخ فيها الايمان والعزم والجهد روحا .. ليجعل منها حقيقة واقعة .

وأحلامنا التي تصحب الرئيس الى مقر الامم المتحدة .. أحلام لا حدود لها .. أحلام عريضة تشمل كل هذا الكون الذي نعيش فيه .. أحلام تتعدى الارض التي نستقر عليها الى الفضاء الذي يهم الانسان بالتحليق فيه ، بكل ما يصحبه من صراع ومطامع ومشاكل ضاقت بها الارض .

أحلامنا التي يحملها الرئيس .. أحلام كل

البشر المسالمين الذين يقطنون كل بقعة من بقاع العالم ، والذين يكدون في الارض من أجل مزيد من الخير والرخاء .. لجيلهم وللاجيال القادمة بعدهم .

أحلام البشر الذين يعتصرون جهدهم .. من أجل تحقيق حياة ناعمة آمنة لانفسهم ولمن حولهم .

أحلام هؤلاء البشر •. في عالم ينضح بحقيقة مشاعرهم ورغباتهم .. مشاعرهم المحبة المسالمة ..

عالم .. لا تستغل فيه جهودهم من أجل التدمير، لـكي يفني بعضهـا البعض .. ولا تتصارع فيـه قواهم .

عالم يحترم فيه الانسان ، وتحترم فيه مشاعره ورغباته .

عالم تسخر فيه كل القوى .. من أجل توفير الراحة والامن والرخاء لهذا المخلوق الطيب الذكي المحب الودود .

تلك هي أحلامنا .. وهي بلا جدال أحلامك.. ولقد عودتنا على أن تحقق لنا الاحـــلام مهما بدت عسيرة التحقيق ، بايمانك ووضوحك وصبرك .• وأنا أؤمن بك .. أنت الفرد الطيب الودود الخير ، وسط ذلك الصراع المتلاطم .. أؤمن بأنك لن تخذل قط هؤلاء البشر الطيبين المسالمين .

اسلوب العمل .. والثورة الاشتراكية

٣/٨/١٩٦١

صدرت قوانين التنظيم الاشتراكي ... التي كان لا بد من صدورها ... لتحديد الخطوط الرئيسية العريضة للمجتمع الذي نهدف الى الانتظام فيه .. صدرت القوانين التي تضع الشعارات موضع التنفيذ والاماني موضع التحقيق والتي تضع أسس العدالة والمساواة ، التي تضمن ازالة المتناقضات الموجودة في مجتمعنا ، والتي تحقق تكافؤ الفرص وتمنع الاحتكار والاستغلال وتحول دون سوء توزيع حصيلة التنمية وزيادة الدخل الذي نحاول ان نحقق بهما الرفاهية والرخاء لجموع الشعب الذي قاسى مرارة الحاجة والحرمان ..

والقوانين التي صدرت اشبه بمشروعات الري العادلة التي تشق الارض لتوزع فيها المياه بالعدالة والقسطاس .. وتمنح كل جزء منها نصيبه من السقيا والصرف .. هي تنظيم للقنوات التي كانت

تتجمع لتغدق المياه على جزء من الارض .. حتى يترع .. وتترك بقية الاراضي جافة مشققة تتلهف على قطرة ماء .. والقنوات في حد ذاتها .. لا يمكن أن تكون أكثر من مجار تحمل الماء الى الارض .

وتنظيم شقها لتضمن عدالة توزيع الميـــــاه وحملها الى الارض .. لا شك في انه ضرورة واجبة لتنظيم السقيا وضمان الحياة لكل قطعة من الارض .

ولكن .. يصبح علينا بعد تنظيم قنوات المياه .. ان نوفر فيها المياه ذاتها .. حتى لا تصبح مجـــرد شقوق في الارض لتوزع مزيدا من الجفاف .

وموارد المياه .. لم تعد يتحكم فيها حفنة الملاك التي كانت تحتكر الميـــاه لتترع اراضيهم .. بل أضحت في يد المجموع الذي شقت القنوات الجديدة اراضيه .

وأضحى على المجموع أن يهيء لنفسه المياه التي يحتاجها لتروي اراضيه .. ولتمنحه الرخاء والرفاهية والتي يمكن ان تحيل الشقوق المنتظمة في الارض .. قنوات تحمل الرزق والخير .

واذا كانت المياه تجعل من شقوق الارض .. قنوات للمياه .. فالعمل هو الذي يجعل من القوانين المنظمة الاشتراكية مجتمعنا .. شرايين للحياة ..

والذين وضعت من أجلهم هذه القوانين .. هم أول المسؤولين عن جعلها اداة فعالة لتحقيق الرخاء والرفاهية لمجتمعهم .. هم أول المسؤولين عن جعلها وسائل لتوزيع الخير .. لا الفقر .. وقنوات تحمل المياه .. ولا تحمل الجفاف . والذي يملك ماكينة مياه ولا يديرها .. أو يصونها .. لكي تدفع المياه الى أرضه .. هو نفسه الذي يشارك في ادارة مصنع وفي الحصول على ارباحه ولا يحاول أن يزيد من انتاجه ويعمل على صيانته ..

والذي يقبع بجوار الارض المشققة الجافة لا يزرع ولا يقلع ، لان المياه لا تصل اليه ..

أي عذر له عندما تصبح موارد المياه في يديه ؟ مسؤولية كبرى اذن قد وضعت على عاتق الاغلبية العظمى التي عملت من اجلها القوانين ..

لقد أضحى على الشعب أن يواجه الشعب .. بلا وسيط بينهما يمكن أن يحمل مسؤولية الخطأ .. أو التقصير .. لقد أصبح الشعب مسؤولا عن الشعب .. أمام الشعب ..

لم يعد هناك استعمار او اقطاع .. أو رأسمال مستغل مستبد .. يمكن ان نمسك بخناقه .. ونناقشه الحساب ..

بل بات علينا ان نواجه انفسنـــا .. لنناقش أنفسنا الحساب ..

مسألة عسيرة ..

أن نكون مسؤولين مسؤولية مباشـرة .. عن أنفسنا .. أمام أنفسنا ..

ولكن علينا ان نواجهها .. وأن نتحملها ..

عندما نكتشف في نهاية العام اننا لم نستول على الـ ٢٥ ٪ نصيبنا من الارباح لن نجد من نلومه سوى أنفسنا .. نحن المسؤولون عن المصنع .. من أصغر عامل الى مدير المصنع . لن نجد من نتظاهر ضده سوى أنفسنا .. ولن نجد هناك من حل سوى أنفسنا أن نزيد من جهدنا ومن انتاجنا ..ولن نجسر على المطالبة بعلاوة حتى نحقق المزيد من الانتاج ..

عندما نقاسي من وسائل المواصلات .. لن نلوم الشركة البلجيكية .. ولن نلوم ابو رجيله .. ولكن سنلوم العمال المسؤولين عن مؤسسة النقل .. من أصغر كمساري الى مدير المؤسسة .. وعندما تنقطع الكهرباء .. وتتفجر مواسير المجاري .. و .. ويتعذر وصول المياه الى البيوت.. يصبح على المسؤولين منا.. ان يواجهوا الشعب ويتحملوا لومه .. ومحاسبته ..

القوانين الجديدة اذن ليست مجرد تفاريح ..

نطرب منها .. ونفرح لها .. ثم نتثاءب بعد ذلك .. ونغط في النوم .. وننتظر من القوانين ان تقذف لنا في أفواهنا بما أخذته من الآخرين .. لتلتهمه أفواه البعض منا .. ويستمر الباقون فيما كانوا عليه من حاجة وحرمان ..

علينا أن نعمل كثيرا .. لنضاعف المياه التـــي كانت تتجمع في القنوات التي تترع القلة .. حتى تكفي الكثرة .. والا لجفت المياه في قنواتها قبل أن تصل الى أراضينا العطشى ..

علينا أن نعمل كثيرا .. كثيرا جدا .. لكي نحقق اشتراكية الرفاهية والرخاء .. بدل أن تنتشـــر اشتراكية الحاجة والشقاء ..

علينا ان نواجه مسؤولياتنا بشجاعة .. لكي نجعل من قنوات القوانين ... شرايين حياة .. لا أخاديد موت ..

علينا أن نعمل لكي لا نبدد أمانينا .. ونضيع أحلامنا .. ونخذل رجلا شجاعـــا .. شق قنوات الاشتراكية ليجري الحياة في أراضينا القحلة .. علينا أن ننصره كما نصرنا .. وأن نؤيده كما أيدنا.

علينا ان ننجح تجربته البيضاء المسالمة .. التي تحدى بها العالم .. بشرقه وغربه .. ليثبت لهـم

اننا ثرنا من أجل حقنا في الرفاهية والرخاء .. واننا سنحقق ما ثرنا من أجله .. بلا دماء .. ولا تبعية .. بل باسلوب ينبع من طبيعتنا المسالمة الطيبة ...

يجب الا نخذل الرجل الشجاع .. الذي وضع رأسه على كفه لكي يتيح لنا تجربة جديدة.. وأمضى تسع سنوات .. لا يهدأ ولا يهجع ولا يخشع .. من أجل ان يحقق لنا الرخاء والرفاهية ..

ولا يكفي لكي لا نخذله .. ان نرفعه على أعناقنا وندفع في استقباله ونبح أصواتنا بالهتاف له ..

هذا أسهل ما يمكن فعله له ..

هذا أبسط ما يمكن أن نؤيده به ..

أما التأييد الحقيقي .. فهو ان ننجح مشروعاته .. وأن نحقق أمانيه وأمانينا .. والا نشمت الغير فيه وفينا ..

أجل .. ان ما يجب أن نفعله لتأييد عبد الناصر .. شيء أكثر كثيرا من الهتاف له في خطبه ..

شيء اكثر كثيرا من ان نهلل لما فعل ونكبر ..

شيء يقابل ما فعل .. ويكافئه ويتساوى معه ..

شيء يمثل ثورة حقيقية على اسلوبنا في العمل وفي التفكير .. وفي المعاملة .. وفي الاخلاق ..

شيء يمثل ثورة حقيقيــة على اسلوبنــا بأن يبذل كل فرد ما يملك من جهد لكي يتقن عمله .. مهما ضؤل .. ومهما بدا من قلة خطورته ..

أن نحافظ على الممتلكات العامة .. التي أضحت ممتلكاتنا.. والتي كنا نفسدها فيما مضى باعتبارها ملك الحكومة .. حكومة الاستعمار .. التي تنهب أرزاقنا .. وتخاصمنا .. ان نحـــافظ على مقعد الاتوبيس .. والشجرة المغروسة في الطريق ..

ان نكف عن اتلاف مساكننا الشعبية التي عملت من أجلنا .. وأن نرغم أنفسنا على النظافة .. وأن نشارك في تهيئة ملامح نظيفة لمجتمعنا الجديد ..

أن يشعر كل منا انه في عمله يقدم لنفسه خدمة أو يرد لغيره خدمة أداها له ..

أن يقف سواق الاوتوبيس ـ الذي ضرب به رئيسنا مثلا ـ ليأخذ الركاب .. لانه سيحملهم الى أعمالهم .. التي ستؤدي له ولاهله .. خدمة هم في حاجة اليها ..

ثورة حقيقية مطلوب منا ان نحدثها في باطننا.. نغير بها اسلوبنا في التفــكير .. وفي العمــل .. وفي الحياة .. لنقابل بها ثورة التشريعات التي شقت

لنا الطـــرق ومهدت السبيل وأزالت العقبـــات والحوائل ..

أما أولئك الذين مستهم القوانين .. فيجب أن نكون أكثر فهما لهم ..

اننا نظلمهم كبشر اذا توقعنا منهم الرضا .. ونظلمهم كبشـــر إذا ضقنـــا بسخطهم وحنقهم .. ونضيع وقتنا في الجدل معهم واقناعهم بفائدة هذه القوانين عندما يتبرعون بها ..

ونضيع جهدنا عبثا .. في الرد على حججهم .. في اتهاماتهم بأن ما أخـــذ منهم .. لن يذهب الى الشعب بل الى الجيش .. والى الدول الافريقية .

لا فائدة من اقناعهم .. لانه حتى لو لم يـــكن هناك جيش .. ولا دول افريقية .. وحتى لو أيقنوا تمام اليقين ان ما أخذ منهم سيذهب الى الشعب لحاولوا اختلاق حجج أخرى لنقدها ولما ارضتهـــم القوانين أو منعت سخطهم ، ولن يجدي ان نشرح لهم فائدة الجيـــش او حقيقة علاقتنـــا بالـــدول الافريقية ..

لن يجدي معهم هذا .. لانها .. حجج للسخط .. وللضيق .. والمثل يقـــول .. « المخوزق يشتـــم السلطان » .. والقوانين قد وضعت .. ونتائجهـــا

بالنسبة لهم واقعــة .. فلماذا نستــكثر عليهم ان ينفسوا عن كربتهم .. بشتيمة قوانين السلطان .. سلطان الشعب ..

بعد فترة سيعتادون الوضع الجديد .. وسيهد؟ سخطهم .. سيدركون ان فرصة العيش ما زالت واسعة أمامهم .. وانهم ما زالوا ينعمون بما لا ينعم به غيرهم .. وان القوانين قد خلصت بعضا منهم من حمــاقة جمع المال .. لمجـــرد هواية جمع المال والتوريث .. وان الفرصة ستتاح لاولادهم ... تتاح لاولاد سواهم ..

أشياء كثيرة سيدركونها .. عندما يكتشفون انهم ما زالوا يستمتعون بكل ما في الحياة من مباهج رغم القوانين الجديدة .. وان السعادة لا تتناسب أبدا تناسبا طرديا .. مع المال .. وان الانسان قد يعمل .. من أجل اشيىء كثيرة غير المال ..

شيء واحد أحس أنه حق علينا لبعض هؤلاء الذين يحسون ان قوانيننــا الاشتراكيــة قد جارت عليهم ..

هذا الحق هو ان نشعرهم فعلا .. انهم ــ كما قال الرئيس ــ ليسوا مذنبين .. وان ما فعل بهم لم يكن قط اجراء انتقاميا ..

بل ان بعض هـــؤلاء .. قد يستحقون منـــا التقدير ..

هذا البعض ربما يكون بدأ في انشاء صناعة .. عندمــا كانت بلادنا لا تعـرف ما هي الصناعة .. الذي بذل الكثير من العرق .. لكي يساهم في وضع أسس نهضتنا الصناعية الاولى ..

واستطيع ان أضرب مثلا بواحد اسمع عنه منذ الصبا .. عندما ركبت أول عربة اوتوبيس سارت في شوارع القاهرة .. باسم اوتوبيس سيد ياسين .. ثم سمعت بعد ذلك عن مصنع الزجاج الـــذي أقامه .

هذا الرجل وغـــيره .. ممن قامـــوا بدور « البايونيرز » في صناعاتنا .. اذا كانت لا تشوب تاريخهم شائبة .. لماذا لا نثبت لهم فعلا اننا نقدرهم ... وان قوانيننا الاشتراكية .. لم يقصد بهـــا الانتقام منهم .. واننا نمنحهم كل تقديرنا .

لماذا لا نقدرهم .. مثلما قدرنا فنانينا وادباءنا وعلماءنا .. ؟

هذه فرصة طيبة لتقدير العاملين فينا في بقية المجالات .. نؤكد بها ان ثورتنا ثورة محبة وعدالة.. لا انتقام وبغضاء وكراهية ..

وأخيرا .. كم أتمنى في عيد الثورة العاشر أن نقدم لزعيمنا نتيجة ثورة حقيقية في تفـــكيرنا وفي اسلوبنا في العمل .. نتيجة ايجابية .. تظهر آثارها في انتاجنا وفي كل مجتمعنا ..

كم أتمنى أن نجاوب ثورة تشريعاته .. بثورة انتاج !

كم أود ان نكون اسبق منه بالهدية ، في عيدنا القادم .

ملامح جديدة .. في وجه المجتمع

١٩٦٣/٧/٢٩

بعد الغروب ..

وبقايا النهار الباهت يختلط بأنوار المصابيح..

وعلى خط الافق تعلو منصة ناصعة البياض في قلبها نسر ذهبي .. ومن ورائها تبدو خطوط شاحبة في الضوء الباهت ترسم معالم لقصر كانت له أيام ..

ونسمة المغرب تهب خافتة لتسري وسـط همهمات الناس .. كل الناس مشرئبي الاعناق .. مرهفي الاسماع .. يتطلعون في لهفة . الى واحـد منهم .. نبت من بينهم .. وبقـي بينهم .. يعـاني مشاعرهم .. ويخوض تجربتهم .. ويشاركهم المصير .. مهما كان ..

ووسط الحشود المتطلعـة جلست أرقب .. واختلطت صورة المنصة في ذهني بوجوه الناس بشبح القصر الباهت في الافق .. وراح الذهن يتطلع مـن بينها الى معالم جديدة في وجه المجتمع ..

وبدا لي المجتمع كائنا حيا .. واضح الملامح مميز السمات .. وراح الذهن يسترجعه منذ أن أحس به .. وعاش فيه .

وسط صبية يذرعون في شوارع روض الفرج .. منذ ثلاثين عاما .. يتحدثون عن مصر .. يطلقون خيالهم بالآمال والأماني .. بكى أحدهم ونظر اليه آخر متسائلا في دهشة :

ـ بتعيط ليه يا شيخ صالح .. ؟

ونظر اليه الشيخ صالح ـ هكذا كنا نسمي الصبي بزبيبة الصلاة في جبينه ـ قائلا :

ـ بعيط على مصر ..

وانطلق الصبي الاخر صلح بخاتي .. يقهقه في سخرية من الشيخ صالح ..

وفجأة هوت صفعـــة شديدة من كف الشيخ صالح على صدغ صلح بخاتي .. وبهت صلح وسأل الشيخ صالح :

ـ الله .. انت بتضربني ليه ؟

ورد الشيخ صالح في غضب :

ـ عشان مش حاسس بمصر .. مش داري باللي هي فيه

من صبانا .. منذ ان وعينـــا .. وفكرنا ..

وأبصرنا وجه مجتمعنا .. رحنا نبكيه في الطريق ..

وراح كل منا ينصب نفسه زعيما على مصر — ليخرج الانجليز .. وينشيء المصانع ، ويطلق اسار الفلاح .. ويكرم وجه مصر وشعب مصر ..

بكينا مجتمعنا في المراهقة .. مجتمع كالح الوجه .. مطأطيء الهامة ، تتربع قلته على قمته .. وتهيم كثرته ضائعة في سفحه ..

وظللنا نبكيه في باطننا .. ونرسم له معالم جميلة .. في أذهاننا .. ونحلم بانطلاقته .. متحررا من قيود تثقل حركته وتحني رأسه ..

وتمر بنا السنون تلاحقنا الاماني ويملأ أنفسنا الامل في تغيير ملامح المجتمع المكفهر الكالح .. نحاول ان ندفع البسمة الى شفتيه .. فاذا بها تضيع وتبهت .. تحت وطأة مستعمر مستبد .. وحاكم طامع .. وصاحب مصلحة شره ، مستغل ..

وعلى القمة الرخاء .. وفي السفح .. الضياع .. وبين القمة والسفح فراغ مظلم من اليأس .. لا يمنع القابعين في السفح بصيصا من أمل في حق الحياة .. وحق الرخاء .. ومعالم المجتمع تبرز مراتها لعيني ثكنات صفراء على النيل .. وعلى شاطيء القناة .. تلوح منها الوجوه الحمر .. لترسم

في وجه المجتمع علامات ذل .. وتضع في يديه أصفاد استعباد ..

وملامح القصر التي بدت باهتة وراء المنصة البيضاء ذات النسر الذهبي .. كانت تبرز في وجه المجتمع .. لترسم فيه .. علامة التحكم .. وسيطرة العبث والفساد .. والاستهتار ..

وتحت قبة زائفة للديمقراطية .. رسم حكام الطمع والاستغلال .. في وجـــه المجتمع .. ملامح الخديعة .. والزيف .. والاثرة .. والعبث بمصائر الشعب .. باسم ارادة الشعب ..

وفي المدينة .. على تلال زينهم .. والدراسة .. وفي كل مكان .. رسمت بيوت الصفيح أبشع معالم الفقر .. والمرض .

وفي القرى .. خطت جحور الطين .. في وجه المجتمـــع .. أبشع ملامح المــــذلة .. والحاجة .. واليأس ..

في كل مكان .. تبرز يد قاسية لتخط في وجه المجتمع الذي بكيناه .. منذ أن وعينا وفكرنا .. علامة قاسية .. من علامات الاستعباد .. والحاجة .. والضياع ..

وتهب نسمة المغرب وسط همهمات الناس ..

كل الناس .. ويشرد الذهن محاولا ان يلتقط وجه المجتمع من جديد .. ليفحص معالمه ..

الثكنات الصفراء .. ذات الوجوه الحمر .. على النيل وعلى شاطىء القناة ... لم يعد لها من أثر ..

لم يبق منها على النيل الا شجرة وارفة الظلال خضراء الغصون .. نبتت لتظلل حوض السباحة .. أمام فندق شامخ على النيل ..

وفي العباسية .. ازيلت الثكنات الصفراء .. وبنيت مكانها مئات المساكن .. راحت مدينـــــة الاحتلال .. وبنيت مدينة النصر .. وكست مبانيها الارض .. كما يكسو الزرع الاخضر وجه الصحراء.

وخلا شاطىء القناة .. الا منـــا .. وأضحت القناة قناتنا ..

وفي زينهم .. اختفت بيوت الصفيح والجحور السوداء من وجه المجتمع .. وأطلت منـــه مئـات المساكن الشعبية .. التي كست التل وامتدت حتى عين الصيرة .. والقصر .. وقبة الديمقراطية الزائفة اختفى منها الزيف والخديعة من وجه المجتمع وحلت فيها ديمقراطية الشعب .. كل الشعب .. حكم بارادته .. ومن أجل مصلحته ..

وأزيلت هــوة اليـأس بين السفح والقمة ..

وأصبح المجتمع .. مجتمع كل الناس .. ينطلقون من السفح .. الى القمة .. بلا مؤهل .. سوى جهدهم .. وطاقتهم .. لا سند من وساطة .. ولا ميراث .. ولا حق مكتسب .. الا من قدرته وكفاءته .

والمصانع التي حلمنا بها .. ذات يوم ونحن صبية نسير في شوارع روض الفرج .. بدأت في وجه المجتمع لتملأه قوة .. وبشاشة .. وترسم البسمة الدائمة على شفتيه ..

وحق الناس في حياة كريمة قد برز في ملامح المجتمع .. كحقيقة مؤكدة .. لا حلم ولا أمنية ..

والاثنا عشر جنيها مرتب العامل .. الذي ذكره الرئيس في خطابه وقارن بينه وبين العشرة جنيهات التي كان يتناولها وهو ملازم ثان (الحقيقة انها كانت ثمانية جنيهات فقد كان يخصم منا معاش مضاعف عن السنة التي خدمناها تحت الاختبار .. دون تثبيت) هذه الاثنا عشر جنيها .. ليست مجرد مثل .. بل هي حقيقة شاملة .. يؤكدها كشف مرتبات العمال في مؤسسة روز اليوسف ، الذي فرغنا من تعديلها في هذا الشهر ويتراوح مرتب الفراش فيه ما بين عشرة وخمسة عشر جنيها وعامل المطبعة يبدأ من ثلاثة عشر ويزيد عن العشرين .

حتى يصل احيانا الى الثلاثين . وبلغ مجموع الزيادات التي أقرت ليحقق للعامل حد أدنى للحياة الكريمة .. خمسمائة جنيه في الشهر .. ومجموع المرتبات الفين من الجنيهات أي زيادة عامة قدرها ٢٥ ٪ من المرتبات نرجو أن يحقق المستقبل للعامل أكثر منها ..

وقال لي أحد مقاولي المباني ان مرتب الفاعل خمسة وثلاثون قرشا وعامل المونة خمسون قرشا .. والبناء مائة وعشرون قرشا ..

وأبواب المستقبل مفتوحة على مصراعيها للجميع .. بلا مؤهل الا قدرته الشخصية .. ابن العامل يقف .. على خط واحد .. في سباق الحياة .. مع ابن رئيس الجمهورية .

وهي حقيقة منفذة .. لا مجرد كلام ..

ففي العام الماضي .. لم استطع ان ادخل ابنتي الجامعة لانها لم تحصل على المجموع الكافي .. ودهش البعض .. ولم يصدق .. اني عجزت عن ادخالها الجامعة .. لان مجموعها منخفض واني ألحقتها بمدرسة الالسن .. لان مجموعها لا يسمح بذلك ..

واضطرت الى اعادة السنة والامتحان مرة اخرى حتى استطاعت في العام الثاني أن تحصل على

المجموع الذي يدخلها الجامعة ..

ملامح جديدة .. باسمة للعدالة .. والمساواة قد بدت في وجه المجتمع .. ستؤكدها الايام ويبرزها الزمن ..

ونرى الريف .. الجحور التي تؤوي فلاحنا أبشع علامة في وجه المجتمع .. التي قال عنها الرئيس انه ما زال علينا ان نقطع المسافة بينها وبين الصاروخ ...

قد تكون بثورها ما زالت بارزة في وجه المجتمع ..

ولكن هوة اليأس التي كانت تقطع كل أمل في القضاء عليها قد زالت بزيادة بقعة الارض المزروعة وزيادة الدخل .. والسد الشامخ .. والخدمات الصحية والاجتماعية .. والحكم المحلي .. والبحوث العلمية التي لا تنقطع من أجل بناء القرية من جديد .. وتمثيل الفلاح في الاتحاد الاشتراكي .. كل هذا قد بدأ في محو أبشع علامة في وجه المجتمع ..

وهبت نسمة المساء من جديد ..

وبرزت لي معالم المجتمع مشرقة .. باسمة ..

وأرهفت السمع مع الناس .. مصغيا لصوت الرجل الذي نبت من الناس .. وبقي بين الناس ..

يعاني تجربتهم .. ويحس مشاعرهم ..

« الثورة عمل .. الثورة ازالة كل العقبات أمام تغيير ملامح المجتمع .. الثورة هي تغيير المجتمع بما يطابق آمال الشعب » ..

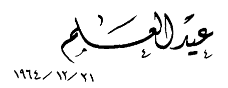
ويعود بي الذهن القهقرى .. الى يوم بكينـــا مجتمعنا .. ونحن صبية في الطريق ..

وتذكرت آمالنا .. وأمانينا ..

وأحسست بالكثير من الراحة .. وأنا أرى ما تغير من ملامح المجتمع ..

وشعرت بمزيد من الامـــل .. في مزيـد من التغيير ..

وملأتني الثقة في أننـــا سنشهد في حياتنا .. مجتمعنا وقد قطع المسافة بين القرية والصاروخ ..



● رأيت الرئيس عبد النـــاصر في عيـد العلم واستمعت اليه يتحدث .. كما استمعت اليه في كل عيد من أعياد العـلم .. حديثه المـــركز الهادىء العميق ..

وأحسست به وكأنـه يضع في كل فقـرة من حديثه دليلا للعمل لاولئك الـــذين وصفهم بأنهم يحملون الامانة العظمى للاحلام والخطط والنضال جميعا .

والرئيس لم ينكر دور الاحلام والاماني .. في رحلة التحرك لبناء المستقبل . فهي التي ترسم لنا صورتها المشرقة التي تغرينا بالعمل من أجل تحقيقها .. ولكنه يؤكد ان الاحلام لا يمكن أن تكون أحلام غيبوبة تنقلنا من استرخاء الى استرخاء .. ولكنها حافز للانطلاق لتحقيق الاماني يحتاج الى تخطيط علمي بمثابة التصميم الاصيل لبناء كبير على اتساع

رقعة الوطن يحسب فيه مكان كل شيء ووقت كل رحلة .. ويبدأ بعد ذلك التجمع من أجل الانتاج لتنفيذ البناء الكبير الذي رسمت الاحلام صورته العامة ووضع التخطيط تفاصيله ودقائقه .. ويكون التجمع من حول رسم تفصيلي يحدد لكل يد موقعها من العمل لا تجمعا حول نداء قد يكون ازدحاما يعطل اكثر مما ينجز .

ذلك هو دليل التحرك لبناء المستقبل .

أحلام مشرقة .. وتخطيط علمي .. يرسم دقائق الاحلام ووسيلة تحقيقها .. وتجمع علمي .. لتنفيذ التخطيط .. حتى تصبح الامنية حقيقة .. والحلم واقعا ..

● ولقد ذكرت صوت الرئيس .. حينما سمعته من عام مضى وهو يتحدث عن الجيل الجديد .. وبحسن نية .. أو بحكم العادة .. أخذت أنصت الى الحديث وبنفسي احساس انه يوجه الي .. أعني الى جيلي .. كما تعودت أن أنصت إلى الدكتور طه حسين عندما يتحدث عن الادباء الشبان .

وفجأة وجدت الرئيس يقول :

« ... أما الجيل القديم الذي أنا منه بحكم السن » ..

ووجدتني أنفض رأسي .. وأقول لنفسي بلا وعي « ليه بقى كده » ..

وتملكني احساس اني أحاول التسكع على باب جيل لم أعد منه .. وان علي أن أعدو لأتشعبط في جيلي الحقيقــي .. الجيـــل القديم الذي لا بــد وأن أكون أنا أيضا منه بحكم السن ..

وجلست أرقب الرئيس هذا العام وأنا أذكر حديثه عن الجيل القديم في عام مضى ولمحت ابتسامة مشرقة على شفتيه .. وانتصابة في القامة لا تنبىء أبدا بالجيل الذي نقل اليه نفسه ــ ونقلنا معه ــ بحكم السن ..

ورأيته وهو يسلم على ستمائة يد .. ويسلم ستمائة جائزة ..

ويتلقى بعد كل بضعة سلامات .. حضنا .. وهزة يد عنيفة ..

وتملكني احساس بأننا ــ ربمــا لاول مرة في تاريخ الشعوب ــ نستغل رئيس الجمهورية .. نستغل ذوقه وطيبته ولطفه ..

وتمنيت لو يقل عـــدد مستلمي الجوائز على الاقل الى النصف ..

ليس معقولا ابدا .. ان يقف على قدميه ساعتين

ويسلم ستمائة سلام .. كل ما اتمناه

كل ما أتمناه في الاعوام القادمة .. والسن — الذي وضعنا بحكمه في جيـــل قديم — يستمر في التقدم .. ان يقلل المسئولون عن تنظيم العيد عدد المصافحين .

وأن يتولى الوزراء في احتفالات خاصة توزيع بقية الجـــوائز على الفائزين الـــذين لم يسعدوا باستلام جوائزهم من الرئيس جمال .

المعونة الأمريكية

١٩٦٥/١/٤

رأيت الرئيس وهو يخطب في بور سعيد ..

وسمعت حديثه عن « قمصة » السفير الامريكي عند زيارته مع نائب رئيس الوزراء لشئون التموين لان سلوكنا لا يعجبه .. والاعجـــاب بالسلوك .. مسألة نسبية ..

وسلوك انسان ما قد يعجب انسانا ولا يعجب آخر ..

وليس محتما ان عدم اعجاب انسان بسلوك انسان آخر ، معناه سوء سلوك هذا الانسان ..

ومع ذلك .. ومهما اختلفت اساليب السلوك بين الناس ، فان هناك طريقا عاما للسلوك السليم يكاد يجمع عليه البشر مهمـــا اختلفت مذاهبهم في الحياة ..

وقد لا يعجب سلوكنا الولايات المتحدة ..

وقد لا يعجبنا سلوك الولايات المتحدة ..

وعلى العالم ان يحكم على أي السلوكين أقرب الى السلوك السليم الذي اصطلح عليه البشر ..

سلوك الولايات المتحدة في مقتل رئيسها كنيدي الذي قتل لما أبداه من سلوك طيب نحو السلام .. والعدالة . وبعد طول تحقيق اتضح ان القتيل بلا قاتل .. اللهم الا الرجعية .. والاحتكارية .. والصهيونية ..

سلوك الولايات المتحدة في التفرقة العنصرية التي ما زالت بعض ولاياتها تعيش في القرون المظلمة قرون الاستعباد والظلم .. ومنتهى سوء سلوك الانسان نحو الانسان ..

وسلوك الولايات المتحدة نحو قضايا الحرية .. معاونتها للاستعمار المباشر .. وممارستها للاستعمار غير المباشر .. واصرارها على معاداة الشعوب المطالبة بحريتها .. في آسيا وافريقيا ..

وسلوك الولايات المتحدة نحو الصين الشعبية واصرارها على عدم الاعتراف بسبعمائة مليون نسمة ..

وسلوك الولايات المتحدة العصبي العنيف .. الذي كاد يدفع بالعالم الى حافة الحرب ويجعل البشر جميعا يرتجفون فزعا ..

وسلوك الولايات المتحدة في مساندة اسرائيل .. في اغتصابها وطن شعب بأكمله ..

هذا هو سلوك الولايات المتحدة التي لم يعجبها سلوكنا ..

فما هو سلوكنا هذا الذي لم يعجبها ؟

مناصرة شعب فرض عليـــه قاتل زعيمه .. والمنادي بتمزيق وطنه عندما كان حاكم جزء منه ..

أيهما أقرب الى السلوك السليم : فرض رجل قاتل انفصالي .. على شعب ؟ ..

أم مساعدة هذا الشعب في الحصول على حريته ؟

سلوكنا في ألا نناقض أنفسنا .. فندعو العالم الى معاونتنا في محنتنا ... ونتخلى عن أصحاب المحن عندما يمرون بنفس محنتنا التي قاسينا منها ..

وسلوكنا نحو السلام وعدم الانحياز ..

وسلوكنا في البناء وفي العدالة الاجتماعية ..

وسلوكنا في الدفاع عن حريتنا .. وسلامـــة أراضينا ..

أهذا هو السلوك الذي لم ترض عنه الولايات المتحدة ؟

وسلوكها هي .. أهي راضية عنه .. سعيدة به ؟

.. ان المعونة التي تمنحها .. والطريقة التي تهدد بقطعها أكبر مثل على سوء السلوك ..

لا يمكن أن يكون من سلامة السلوك ان تمنح انسانا معونة .. ثم لا تفتأ تهدد بقطعها .. بطريقة صبيانية.. كلما بدا لك ما يسوءك من هذا الانسان. هذه يسمونها « معيلة » ..

ان الولايات المتحدة عندما تمنح المعونة لبلد ما لا تمنحها بناء على سلوك البلد سلوكا معينا .. بل تمنحه لانها ترى انهـــا قادرة على مد يد المعــونة لبلــد في حاجــة الى العون .. فهو يمنح المعونة ما دام قادرا عليها وما دام البلد المعان في حاجة لها ..

وأما ان تظل تهدد هذا البلد بين يوم وآخـــر بقطع المعونة كلما بدا لهـــا ما يسوءها .. فهــذه صبيانية ..

حقيقة .. هو أشبه .. بلعب العيال .. عندما يمنح الصبي صاحبه منحة .. ثم لا يفتأ يهـــدد باسترجاعهــا كلما تخاصمـــا .. والنتيجة .. هي الاحساس بالقرف والمرارة .. والشعور بالرغبة في الاستغناء عن هذه المعونة مهما حدث .. ولا يعود لدينا من رد على التهديد بقطع المعونة سوى « يا أخي غور أنت والمعونة بتاعتك » .

انت ايضاً حققت لنا فوق ما كنا نحلم به ...

٢١/١/١٩٦٥

الجماهير هذا الاسبوع كلها تعبر عن مشاعرها التي تجيش في صدرها نحو الرئيس جمال عبد الناصر ..

فرصة للوفاء .. ولاداء بعض الدين الذي حمله لها الرجل الكبير .. خلال السنوات الماضية ..

وتحصيل حاصل ان اسرد كشف حساب الرجل الكبير مع الشعب ..

ماذا أعطى وماذا أخذ ..

انه لا يفتأ يكرر ان الشعب أعطاه فوق ما كان يحلم به ..

ألم يحقق لنا هو فوق ما كنا نحلم به ..

كنا نحلم ونحن صبية في المدارس .. منذ عشرات السنين .. أحلاما كبيرة .. ولكنها على كبرها وقتذاك .. تتضاءل بجوار ما منحنا اياه ..

ذات يوم .. استيقظنا لنرى اشراقة عجيبة .. ظنناها على طول ما حلمنا به سراب خداع أو ضوء قمر كاذب ..

ولكنها كانت حقيقة ..

حقيقة مذهلة .. ان يتقوض عرش جثم على صدرنا طوال هذه السنين .. بكل ما حمل من أسباب الفساد .. والانحراف ودواعي الفوضى والمذلـــة والهوان ..

حقيقة باهرة .. ان ينهض هذا الرجل الكبير وزملاؤه الشجعان في جنح الليل ليقدموا اعناقهم ببساطة .. لكي يكسروا القيود ويحطموا القضبان.. وليقولوا لنا .. في اشراقة الفجر .. أنتم أحرار .. أحرار .. أحرار ..

أنجحد هذا وننساه على مر الايام .. لا .. وألف لا ..

دين لا ينسى .. يا أخي .. مهما طال بنا الزمن.

كنا نحلم بتطهير اداة الحكم .. بابعاد عناصر الفساد ..

أما ان يجتث الفساد من جذوره .. فهو شيء فوق ما كنا نحلم به .

وبعد عمر طويل .. سيعرف ابناء هذا الوطن

كيف يخلدون .. هؤلاء الذين قدموا أعناقهم في كرم ويسر .. ليضربوا الضربة الاولى التي أتاحت الفرصة لكل ينابيع الخير في هذا الوطن ان تتفجر ..

وكانت الدفعة الثانيـــة من الدين .. تحطيم الاقطاع الزراعي وازالة الهوة السحيقة التي تفصل بين القـــلة المتربعة .. على قمـــة هذا الشعب .. والكثرة الباقية منه على السفح ..

ماذا وبعد في كشف حسابك لدينا ؟

لست أدري لماذا تبرز دائما أمام عيني كلمات قلتها كلما حاولت ان استرجع حسابك في ذهني ..

قلتها في مارس ١٩٥٤ .. والقيد الذي حطمته ملقى أمام أقدامنا .. ونحن نقف واياك في حيرة .. وكل ما حولنا يبدو اطلالا وخرائب ..

وذئاب الليل الهاربة تطل من بين الخرائب لعلها تجد الزوبعة قد استقرت لتعود .. فتأخذ لها قضمة .. أو تستقر في جحر ..

وضقت بما حولك .. وكدت تعود الى ثكناتك .. قائلا في اصرار « لن أخادع ولن اضلل » .. ووقف الشعب كله بجـوارك يمسك بك في اصـــرار .. ويسألك السير به ..

وسرت به ..

ولم يكن الطريق الذي سلكته سهلا ..
وأنت دائما لا تسلك الطريق السهل .. لانك تفضل دائما ان تصعد .. وطريق الصعود .. أصعب المسالك ..
وكان عليك أن تحطم بقية الأغلال .. وتسير .. وتجتاز بنا بقية السدود .. حتى تهيء لنا فرصة الانطلاق .. لتحقيق احلامنا ..
وكانت القيود ما زالت كثيرة ..
قيد الاستعمار .. بكل أحماله وأثقاله .. التي تشل قدرتنا على الحركة .. وعلى العمل ..
وقيد التهديد الرابض على حدودنا من عصابة حلمها الكبير ان تنتشر من النيل الى الفرات .. وأمنيتها الكبرى أن تحطم كل أمانينا ..
وأحسسنا بالشوكة تنخس جانبنا وتكاد تدميه بعد معركة الصابحة ..
وكنا كاليتامى في مأدبة اللئام .. مأدبة سلام .. نحرم منه .. لتتخم به اسرائيل ..
وكسرت قيد الحرمان من السلاح ..
وكنا نحلم يا أخي أن يكون لنا جيش .. وللجيش سلاح .. وللسلاح ذخيرة .. تكفينا خوض معركة .. دون ان تنفد بعد أيام من بدايتها ..
كنا نحلم .. إن يكون لنا غير دبابات اللوكاس

.. التي تحتاج الى من يجرها وسط الميدان .. كنا نحلم أن يكون لنا بعض الدبابات الشرمان .. وبعض السنتوريان .. وبصفقة السلاح .. التي كسرت بها احتكار السلاح .. وكسرت بها قيد التبعية التي يربطنا بالغرب .. منحتنا فوق ما كنا نحلم به ..

لقد عاصرت تلك الفترة في الجيش التي تدفقت علينا فيها أول دفعات الاسلحة الجديدة .. دبابات ت ٣٤ .. ودبابات ستالين .. وأذكر اني ذهبت الى ميناء الاسكندرية لاتسلم احدى دفعات الدبابات ..

وكان علي أن أذهب الى الرصيف رقم ٨ لمعاينتها .. وكان المفروض أن وصولها سرا ولا أحد يعلم أين هي .. ولا أحد مطلقا يعلم ماذا في الرصيف رقم ٨ .. ودخلت من مدخل الميناء وتلفت حولي فوجدت احد الحمالين فسألته ببساطة :

ـ أمال فين الرصيف ٨ ؟..

ورفع الي الحمال رأسه .. ونظر الي نظرة ماكرة .. ثم انفرجت شفتيه عن ابتسامة ملؤها الفرحة وهمس بي ..

ـ مش الرصيف اللي عليه الدبابات ؟ ..

وقلت له وأنا أحاول ان أخفي ابتسامتي :

ـ بقولك فين الرصيف ٨ ؟

وأشار لي باصبعه ناحية الرصيف .. وسمعته

يصيح وهو يرفع يديه الى السماء : « ربنا يحميه ».
ولم تعد تخيفنا تهديدات على الحدود .. لم نعد نخشى من صابحة أخرى ..
وانطلق الصاروخ .. وصنعنا النفاثات ..
وكلما حلمنا .. تجاوز ما حققته لنا .. أحلامنا.
وكأن بينك وبين أحلامنا سباق .. تأبى الا أن تكون السابق فيه ..
ماذا ايضا في كشف حسابك ؟
ماذا هناك غير هذا .. في سباقك الذي لا ينتهي مع أحلامنا ؟ ..
تأميم القناة .. وتحدي كل انذارات العدوان ؟!
معركة بور سعيد .. والصمود الرائع أمام قوى البغي ؟!
مقاومة الحصار الاقتصادي .. وتحطيم كل قيود الاستعمار الاقتصادية ؟
الاصرار على بناء السد .. والانتصار على كل التحديات البشرية والطبيعية ؟!
تحقيق الثورة الاشتراكية .. بلا قطرة دماء.. وحرية في العمل .. وفي اختيار ما يلائم طبيعتنا وحياتنا وتقاليدنا دون ان تطوينا التبعية وتدخلنا في قوالب تحطم مثلنا ومبادئنا وتقضي على حريتنا..
أشياء كثيرة يا أخي حققت لنا .. جاوزت كل

ما نحلم به ..

هذه المصانع التي تملأ ربوع وطننا .. والتي غيرت معالم مجتمعنا ..

كنا بلا جدال نحلم .. ببعض منها ..

أما على هذا النطاق ..

فقطعا .. فاق كل ما حلمنا به ..

ماذا أيضا في كشف الحساب ؟..

وحدة العرب ؟!..

ايجابيتنا في السياسة الخارجية ؟! ..

قدرنا بين شعوب العالم بما قدمته من مساعدة في قضايا التحرر .. وبما أرسيت دعائمه في عـــدم الانحياز .. وما عاونت به من أجـــل اقرار السلام العالمي ؟!..

دينك عندنا كثير .. كثير ..

فاذا شغلنا الان بتقديم بعض ما نفي به دينك.

فهو أقل من القليل ..

واذا كنت تعتقد اننا منحناك فوق ما كنت تحلم بـــه ..

فاننا نؤكد لك ان ما حققته لنا فاق كثيرا كل ما كنا نحلم به من أجيال طويلة ..

دق الرئيس لجيلنا
اجراس الوصول

١٩٦٥/١/٢٨

مرة أخرى يتحدث الرئيس عبد الناصر .. عن جيلنا .. والجيل الجديد ..

وهو يتحدث عن جيلنا .. وكأنه جيل يوشك أن يسلم الامانة .. جيل قد أدى .. او هو يوشك ان ينتهي من اداء واجبه ..

فقد بدا لي وأنا استمع الى قوله « لسنا نستطيع القول بأن جيلنا قد أدى واجبه الا اذا كنا نستطيع قبل كل المنجزات وبعدها ان نطمئن الى استمرار التقدم .. والا فان كل ما صنعناه مهدد بأن يتحول — مهما كانت روعته — الى ثورة لمعت ثم انطفأت .. الى بداية تقدمت ثم توقفت » ..

وبتلك المزية التي يحملها جمال عبد الناصر بين جوانحه وقف في شجاعة ليحدد لجيلنا كله حقيقة وضعه .. ولكي ينذره بأن عليه ان يهيىء مكانا لجيل قادم ، ويمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة في

جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية ..

جيل وصفه الرئيس بأن عليــه أن يكون على استعداد للقيادة وحماية الامانة ومواصلة التقدم ..

جيل اكثر وعيا وصلابة وطموحا ..

لقد بدت الميزة الكبرى للرئيس جمال .. عندما جعل اول العهود التي طلب من الشعب ان يلتقي معه عليها لكي يشاركه في تشكيل ملامح الغد هو تمهيد الطريق لجيل جديد يقود الثورة في جميع المجالات لكي يطمئن الى استمرار التقدم ..

تلك هي المعارضة التي يحملهـــا الرئيس في نفسه .. لمعارضة نفسه .. ولمعارضة جيله الذي يمكن ان تمر به الايام .. وهو يتخيل نفسه جيلا أوحد .. مؤبـــدا ... وان الدنيــا والعبقرية .. والمقدرة .. والموهبة ستنتهي كلها بانتهائه ..

لقد بدت معارضة الرئيس لذاته .. وأنا أقصد بمعارضة الذات شيئا غير النقد الذاتي ..

فالنقد الذاتي هو ان ينقد الانسان ذاته .. فيما فعل .. ويقول لنفسه .. هذا خطأ .. وهذا صواب ..

ولكن معارضة الذات .. هو ان يثور الانسان على نفسه من أجل ما لم يفعله . وان يطالبها بأن تفعل .. قبل ان يطالبها الغير بأن تفعل .. ولا يدعها

تسترخي وتطمئن .. بل يدفعها لان تفعل أفضل .. وأفضل .. وأفضل ..

والرئيس في أول عهوده أمام الشعب .. يعارض نفسه .. كجزء من جيله .. ويطالب هذا الجيل بعدم التعالي والجمود لكي لا يصد الجيل القادم ويعقده .. ويعرقل تقدمه .. وبالتالي تقدم الامة كلها ..

ويطالب الرئيس جيله بأن يتقدم لاكتشاف الجيل القادم بلا من ولا محاباة ..

ونحن نعرف كيف ترك جيلنا يطرق الباب .. ويتسلق الاسوار .. ليقول هأنذا ..

وطالب الرئيس جيلنا بأن يقدم تجاربه دون أن يقمع حق الجيل القادم في التجربة الذاتية ..

طالبه بأن نمنحه تجربتنا دون ان نفرض عليه قبولها .. ودون أن نقول له بغرور :

« اسمع الكلام .. انت لسه عضمك طري » ..

وطالب الرئيس جيلنا بأن نفسح الطريق للجيل القادم مع اتاحة الفرصة له لكي يكتشف عصره بعبقريته هو .. والا نفرض عليه أن يعجب بما نعجب .. ويحب ما نحب .. ويكره ما نكره ..

لقد اكد الرئيس لجيلنا اننا مسئولون عن تأخر وصول الجيل القادم أو وصوله وهو غير

مستعد الى موقع القيادة ..

كما أكد ان تقدم الجيل الذي نضج تحت نيران المعارك السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية الى مكانه الشرعي هو أكبر آماله ..

لقد دق الرئيس عبد الناصر لجيلنا .. أجراس الوصول ..

اننا جيل نسير الى الافق الغربي .. ولكن قبل أن يطوينا المغرب ... يجب ان ننتزع الجيل القادم من وراء المشرق ..

من العسير علينا .. ان نسلم ونحن في الاربعينات .. ان علينا ان نعد انفسنا لتسليم العلم .. ولكن ماذا نعمل ونحن من جيل رجل كبير .. يأبى الا ان يوقظ المعارضة في نفسه من أجل الحق ويأبى ان يترك جيله ينعم باستقرار غرور وكبرياء طالما نعمت به الاجيال التي سبقته الى الغروب .

بدا لي ان جيلنا (.. وانا أولى الناس بالانطواء في هذا الجيل بحكم وحدة عام المولد وهو ١٩١٧) يقارب الغروب .. وان عليه قبل ان يطويه الافق أن يسلم العلم وان يردد مع الرئيس جمال :

« لقد كان شرفا لي ان أحمل العلم لكنني أؤكد بأن الشرف الاكبر لي يكون يوم أن أسلم العلم الى

طلائع جيلنا الجديد » ..

وساور نفسي وأنا أستمع الى قول الرئيس الى جانب احساسي بالفخر والاعتزاز ، احساس بالحسرة على شباب ولى أو أوشك أن يولي ..

وذكرت قول العقاد عندما سألوه : هل تقـرأ للشبان من الكتاب ؟ فقال ببساطة انه يقرأ لمحمود تيمور وتوفيق الحكيم ..

كما ذكرت قول توفيق الحكيم في كتابه سجن العمر ان أباه لم يناده قط حتى آخـر أيام عمـره بأكثر من « يا ولد يا توفيق » ..

واذا كان العقاد قداعتبر تيمور وسوفيق الحكيم يمثلان في نظره جيل الشباب من الكتاب .. فـلا جدال في أن جيلنا يعتبر في نظره جيل الاولاد ..

واذا كان العقاد قد اعتبر تيمور وتوفيق الحكيم الحكيم ولدا .. فلا أظن أننا نتعدى في نظره طـور الرضاعة .. ولقد عودتنا الاجيال ان تحاول وقـف الزمن عندها ..

عودتنا دائما أن نسمع منهم « الله يرحم زمان .. » و « أيام ما كانت الدنيا دنيا » .. و « هو دا زمن » .. « أصل الولاد بتوع اليومين دول » ..

وكأن كل جيل يحس أن خير ما في الدنيـا قـد

توقف بعده .. الفن قد انتهى .. والعبقرية لم يعد لها وجود .. والقدرة والموهبة .. قد افلست منهما الاجيال التالية ..

ولقد تعودنا في صبانا أن نحس دائما اننا جيل من الصغار .. ولن نتعدى أبدا دور الصغير .. فالكبار .. أمامنا كانوا كبارا .. وسيظلون كبارا .. ولم يشعرنا أحد قط . ان أماكن في القيادة تنتظرنا .. وان شاغليها ينتظرون قدومنا اليها .. وانهم يقلقهم تأخر وصولنا .. أو وصولنا ونحن على غير استعداد لشغلها ..

ولست أظن أن جيلنا قد وصل بعد الى المرحلة التي يتحتم عليه فيها تسليم الامانة .. ولا أظننا بلغنا من الكبر الذي يقلقنا الا نجد وراءنا من يحمل العلم ويواصل السير .. ما زلت أشعر أن نفسنا لم يزل طويلا .. واننا لم نلهث بعد ..

ومع ذلك ..

فلا جدال في أننا سنصل الى هذه المرحلة .. ولا جدال أيضا .. اننا لو تركنا لانفسنا ولما تعودناه من أجيالنا السابقة .. لما شعرنا قط .. ان أنفاسنا قد بدأت تنقطع .. واننا بدأنا نلهث .. ولاستمررنا نصر على اننا ما زلنا أهلا لحمل العلم ولمواصلة السير

ولقلنا كما قال من سبقنا « الله يرحم زمان » و « أيام ما كانت الدنيا دنيا » ..

ولقد أدرك الرئيس جمال عبد الناصر .. ما يمكن أن يقع فيه جيلنا .. من تجمد يدفعه اليه الكبرياء والانانية والغرور ..

والرئيس جمال ـ واني أعتبر هذا أبرز مزاياه ـ يحمل في باطنه روح المعارضة ، التي تحمله دائما على أن يشكل لنفسه معارضة نفسه كحاكم .. فهو يحمل في ذاته الحاكم والمعارضة ..

لقد استقر في الحكم أكثر من ثلاثة عشر عاما .. لم يعرف فيها قط طعم الاستقرار .. والسبب هو نفسه .. ولست أظن هناك معارضة كان يمكن أن تطلب من الرئيس عبد الناصر أن تدفعه وهو مستقر في الحكم الى ابعد ولا أعنف مما دفع هو نفسه اليه ..

لا أظن هناك معارضة كان يمكن أن تدفعه الى صفقة الاسلحة التي هزت الغرب.. ولا الى معارضة الاحلاف العسكرية التي جرت علينا خصومته ..

ولا أظن أبدا معارضة كان يمكن أن تطالب حاكما .. مهما بلغت بها الحماسة .. بالاقدام على تأميم القناة ..

ولست أريد أن أسرد سلسلة الاعمال الرائعة الشجاعة التي أقدم عليها جمال عبد الناصر وهو مسئول في كرسي الحاكم مما لا يمكن أن يخطر ببال أية معارضة تجلس خارج الحكم .. وتزايد بمطالبتها العنيفة المبالغ فيها لمجرد الوصول الى كراسي الحكم ..

استكشاف .. وليس وصاية

٤/٢/١٩٦٥

تحدثت في الاسبوع الماضي عن أجراس الوصول التي دقها الرئيس جمال عبد الناصر لجيلنا وكيف دقت في مجلس الامة ليجعل أول العهود التي طلب من الشعب أن يلتقي معه عليها لكي يشاركه في تشكيل ملامح الغد وهو تمهيد الطريق لجيل جديد يقود الثورة في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية .. لكي يطمئن الى استمرار التقدم .. ويضمن ان كل ما صنعناه ليس مهددا بأن يتحول الى ثورة لمعت ثم انطفأت وبداية تقدمت ثم توقفت ..

قلت ان الرئيس قد دق لنا الاجراس .. لكي يؤكد لنا .. انه لا يكفي أن يصل جيلنا الى أماكن القيادة ويستقر فيها .. ويسترخي .. مؤمنا بنصف الحكمة القائلة « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » وأن يشعر انه جيل مهما أوتي من القدرة ، زائل..

وان عليه أن يعد بكل ما يملك من قدرة .. جيل يدفعه الزمن وراءه .. لكي يشغل أماكن القيادة .. في ثقة وقدرة ..

ولقد أحسست أن مجرد ادراكي بأن الرئيس يدق لنا الاجراس .. أمر لا يكفي ..

أجل .. لا يكفي .. أن أقول لمن حولي أن الاجراس تدق .. لكي لا نسترخي في مقاعدنا .. أو نندفع في انطلاقنا الى الامام .. بكل ما نملك من قوى ذاتية ..

بل يجب أن نلتفت وراءنا .. لنجذب جيلا قادما .. بكل ما نملك من قوة .. لكي نضعه في أماكننا .. عندما يصيبنا الوهن .. ولا نستطيع أن نواصل السير .

لقد أحسست بأني يجب أن أقول شيئا أكثر من أن الاجراس قد دقت ..

يجب أن أقول شيئا أشارك به في توضيح السبيل الى اعداد هذا الجيل .. والى ضمان وصوله .. مستعدا في الوقت المناسب . وأكثر من هذا .. يجب كأحد أفراد الجيل .. أن أفعل شيئا أكثر من مجرد القول ..

لقد وضع الرئيس .. المعالم الرئيسية للطريق

.. الى اعداد جيل قائد يضمن استمرار التقدم ..
جيل على استعداد للقيادة وحمل الامانة .. جيل أكثر وعيا وصلابة وطموحا ..

لقد حدد الرئيس معالم الطريق الرئيسية فيما يلي :

أولا : استكشاف الجيل الجديد القائد .. بلا من .. ولا وصاية ..

ثانيا : عدم التعالي والجمود لكي لا نصده ونعقده ونعرقل تقدمه .. وبالتالي نعرقل تقدم الامة كلها ..

ثالثا : افساح الطريق له مع اتاحة استكشافه عصره بعيونه هو .

رابعا : تقديم تجاربنا اليه دون أن نقمع حقه في التجربة الذاتية ..

ولا جدل في أن نقطة البداية في الطريق الى اعداد جيل قيادي جديد .. هي عملية الاستكشاف.
فمن بين الملايين المتحركة وراءنا .. يجب أن نستكشف القادة الجدد ..

يجب أن نعرف من هم .. لكي نمد يدنا اليهم .. ليتقدموا الصفوف ..

ويبدو لي أني أستطيع أن أتحدث عن تجربتي

في عملية الاستكشاف .. في أحد المجالات التي عملت فيها ناشئا .. وعاملا ..

وسط الصفوف .. ومتقدمـــا الصفوف .. انتظر الاستكشاف لا تقدم .. وينتظر مني الغير .. أن أكتشفهم .. ليتقدموا ..

هذا المجال هو المجال الفكري .. وبتحديد أكثر الثقافي .. وبتحديد أكثر وأكثر الادبي .. وبزيادة أدق في التحديد .. القصصي .. ماذا لاقيت .. وأنا أقف مغمورا في الصفوف .. أو كما سبق التعبـير ذات مرة .. وأنا ابرة في كوم من القش .. مـاذا عانيت .. وعانى جيلي .. من أجل أن يستكشف ..

وماذا فعلنا .. لكي نساهم في استكشاف جيل قادم ؟

وماذا نفعل .. مما يجب أن نفعله .. لكي تتم عملية الاستكشاف التي أكدها الرئيس .. بلا من .. ولا وصاية ..

وقبل أن أتحدث عن عملية الاستكشاف يجب أن أتحدث عن اعداد حقل النبت الذي تجرى فيـــه محاولة الاستكشاف ..

ان محاولة استكشاف جيل قائد جديد .. لا يمكن أن تبدأ الا باعداد الجيل كله .. اعدادا طيبا

.. وبمنحه حقه الكامـــل في النمـــو الصحيح .. السليم ..

اننا لا نستطيع أن نستكشف أفضل النبت الا اذا كان النبت كله طيبا .. والحقل قد أعد بالحـرث والسقيا والتنقية والوقاية ..

ثم ان الامر يصبح مضحكا .. ان نستكشـف قادة .. بلا قاعدة ..

نستكشفهم لكي نعلقهم في الهواء .. ونضعهم في الفراغ ..

بديهي اذن .. ان الجيل كله يجب أن يمنـــح الفرصة المتكافئة للاعداد .. ولكي يعيش حياته في ثقة وطمأنينة .. ولكي يمنح الفرصة الكاملـــة لتحقيق آماله .. حسب ما توفره له قدرته الذهنية .

ولست هنا بسبيل الحديث عن اعداد جيـل كامل .. يمنح الفرصة كاملة .. لحياة طيبة تتوفر فيها الكفاية والعدل .. فان التطبيق السليم للنظام الاشتراكي .. هو خير ضمان لهذا .. ولا جـدال في انه بقدر اعداد الجيل كله .. بقدر ما تكون قيمـة هؤلاء الذين يمكن استكشافهم للدور القيادي مـن هذا الجيل ..

واذا كان الجيل القادم قد حصل على ميـــزة

النضج تحت نيران المعارك السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية .

فاننا يجب أن نبذل أقصى ما نستطيع لكي نمنحه فرصة « التسبيك » و « الاستواء » .. والا أصيب كله بالشعوطة .. وأصبحنا نحن مسئولين عن « سلقه » أو اخراجه الى الحياة « نص سوا » ..

ولست أريد أن أتحدث بلسان جيل قديم ..

ولكني أيضا لا ريد أن أنكر حقيقة واقعة .. وهي ان هناك مستوى من النضج الثقافي لجيلنا السابق .. يجب الا يدفعنا الحماس للمستقبل الى انكاره .. وبالتالي الى عدم الحرص على استبقائه لانفسنا .. وللاجيال القادمة من بعدنا ..

ان لكل جيل سماته ..

ولكن النضج الذهني .. المكتسب برغبة الاطلاع .. والسعي الدائب الى المعرفة .. سمة لا يمكن أن تضيع على الزمن .. بل هي دائما أقوى دعائم التقدم .. وأبرز ضرورات القيادة ، ان كل جيل ناضج اذن .. يجب أن يبدأ عملية الاستكشاف

وعملية الاستكشاف عملية خطيرة وشاقة .. فمن بين هؤلاء الملايين الذين يتطلعون الى أماكن القيادة كلهم .. ويتخيل كل منهم في نفسه القدرة

على بلوغها والموهبة لشغلها .. من بين هؤلاء المتطلعين الى القيادة ، والمتسابقين اليها .. يجب أن نستكشف صاحب الموهبة من وسط الزحام .. ونهيء له الفرصة الحقيقية .. ويجب أن نمد اليه يدينا لنجذبه الى الوصول ..

ويجب أن نخلصه من كل ما يحول بينه وبين القيادة .. من بغض جيله الذي يكره ان يميز دونهم .. ومن جيل سابق .. يكره ان يصل الى مكانه ويتساوى به وهو بعد عود أخضر ..

وعملية الاستكشاف في المجال الثقافي .. على صعوبتها تبدو لي أسهل من غيرها ..

فالحكم على الموهبة في ذلك المجال ، تشارك فيه الجماهير بطريقة واضحة حاسمة ..

ووسائل الاستكشاف من أدوات النشر التي تتيح للجيل الجديد من أصحاب المواهب فرصة الاحتكام الى الجماهير .. قد أصبحت متعددة الاشكال .. سواء بالكتب أو المجلات أو الاذاعة والتلفزيون أو المسرح والسينما . وصلة هذه الوسائل أو الادوات بالجماهير صلة مباشرة .. والحكم فيها واضح .. لا يمكن اخفاؤه ، أو تمويهه .

وعندما نقارن بين وسائل الاستكشاف

لاصحاب المواهب الان ووسائلها فيما مضى نرى الفارق الكبير بين الفرص المتاحة الآن لاصحاب المواهب والفرصة التي كانت تتاح لهم فيما مضى .

وعندما نذكر كيف كان جيلنا يقف حائرا .. يحس بأنه يمكن أن يقول شيئا .. ولا يعرف كيف يقول .

بل عندما نذكر عندما كنا نقف في أول الطريق حائرين لا ندري اذا كانت لدينا موهبة .. وان ما نكتبه يمكن أن يدفعنا أمام الصفوف .. نحس بأن هذا الجيل بلا جدال يملك فرصة أكبر للاستكشاف

ومع ذلك لا أزعم انه يملك كل الفرص .. بل هناك وسائل أكبر يمكن أن تقدم اليه .. وأنا أحس أن الموضوع يحتاج الى أكثر من مقال .. واكتفي الان بهذا القدر .. على أن نواصل الحديث في الاسبوع القادم عن الفرص الجديدة التي يمكن أن تمنح لاستكشاف هذا الجيل فوق الفرصة التي أتيحت له حتى الان .

واني أعرض الموضوع كله لمناقشة الجيل ذاته .. لعله يسمعنا ماذا يحس .. وماذا يريد .. وماذا منح له .. وماذا يطلب لكي نمنحه له من فرص لاستكشافه .



١٩٦٦/١١/٣٠

* استمعت الى خطاب الرئيس جمال في مجلس الامة . وأحسست أن أمامه المصارحة التي وضح بها الحقائق قد وضعتنا ــ فعلا ــ في منتصف الطريق الى حل مشاكلنا .. لقد وضعتنا دقة البحث وأمانة التشخيص ووضوح التعبير وسلامة العرض التي اتسم بها الخطاب وجها لوجه أمام المشكلة .. ووفرت علينا الضرب في متاهات التخمين والحيرة .. قالت لنا .. أين نحن .. وأي العراقيل توجه الى مستقبلنا . وكيف نجتازها .. وبات علينا أن نحشد قوانا ونجمع جهودنا لوثبة جديدة .. أشبه بوثبتنا الاولى في معركة السويس من أجل الحرية السياسية .. وثبة جديدة من أجل الحرية الاقتصادية في معركة البناء الوطني .

* شعرت وأنا أغادر مجلس الامة اننا نخوض معركة جديدة فاصلة دق ناقوسها خطاب الرئيس

جمال الواضح في صراحته .. الواضح في خطورته .. ناقوس اعلن بدء التعبئة من أجل زيادة الانتاج وسلاحنا هو العمل وواجبنا هو ضغط النفقات وخفض التكاليف ومحاربة الاسراف وحسن استغلال الموارد .

* ومشكلتنا في المعركة الجديدة . ليست مشكلة عجز في القوى بقدر ما هي عجز في تنظيم هذه القوى ولا جدال ان من أسباب اضعاف قدرتنا على العمل ــ وهو سلاحنا الاول في المعركة ــ التناقضات العجيبة الكائنة بين مختلف تنظيمات القوى العاملة ولا سيما بين العاملين والادارة • ومن العجيب أن توجد مثل هذه التناقضات وقتنا هذا وان توجد خصومة بطريقة ما بين العاملين والادارة .. فلقد كان مفهوما أن توجد هذه ــ الخصومة بين العاملين والادارة عندما كانت الادارة تمثل مصلحة صاحب رأس المال والعاملون يمثلون الجانب المعتدى عليه والمستغل بواسطة صاحب العمل . أما الان وقد أصبح كلاهما يمثل العاملين وأصحاب العمل في وقت واحد . فلم يعد هناك ما يدعو الى اتهام الادارة باستغلال العمال لان كل ما يوفر من ربح انما هو عائد بطريق مباشر أو غير مباشر اليهم .. ولم يعد

هناك مبرر لاستمرار الخصومة بطريقة تقليدية غبية ، ولا عاد هناك مجال لان يظل التشنيع بالادارة أغنية على لسان العاملين .

* ولا جدال في أن أهم ما يجب أن نعبيء بـه قوانا في المعركة الجديدة هو أن نزيل التناقضات بين الادارة والعاملين بحيث تصبح وحدة العمل .. وحدة واحدة .. أشبه بالجنود والقادة ·. وأن تصبح العلاقة بينهما قوية مترابطة حتى يمكن للوحدة أن تخوض المعركة كتلة واحدة .. وأن يشعر كل منهما ان مصلحة الآخر هي مصلحته وانه ليس هناك عامل مستغل وصاحب رأس مال مستغل .

* ولا جدال في أن أهم ما يجب أن نعبىء بـه وتميزه في كل ميدان يطرقـه . يجب أن نقـر بأن الادارة المصرية قد خاضت تجربة التحـول الاشتراكي بنجاح تام دون ــ أي هبوط بمستوى الانتاج . واننا يتحتم علينا ــ كما نضمن للعامل كل وسائل التأمين أن نضمن للادارة الاستقرار ونؤكد سلطتها ومسئوليتها وقدرتها على المبادأة وان نجنبها الافراط في أجهزة الرقابة القادرة على تجميد نشاطها .

* اقتراح أخير أتمنى لو وجدنـا سبيلا الى

تحقيقه وهو ازالة الفجوة أو السور القائم بين الطرفين اللذين يجب أن يكونا طرفا واحدا وهما ما نسميه بالعاملين وما نسميه بالادارة .. وذلك يمنح الفرصة للعاملين في الوصول الى مراكز الادارة اذا تحققت القدرة على ذلك ، بمعنى أنه يمكن أن يصل أي عامل الى المراكز الرئيسية في الوحدة والا يوجد ما يمنع عامل كفء ممتاز من أن يكون في وقت ما مديرا للشركة اذا حصل على الخبرة التي تؤهله لذلك والا يحول دون وصوله حرمانه من الشهادة الجامعية التي يجب الا تتحول الى صك من صكوك الغفران .

* ان اذابة التناقضات في الوحدة العاملة ، وجعلها وحدة متكاملة متحدة بلا احقاد ولا خصومات من أهم وسائل التعبئة التي يمكن أن نخوض بها المعركة القادمة .

* لقد قال الرئيس جمال ان وضوح المشكلة أمام الجماهير هو نصف الطريق الى حلها والنصف الثاني مرهون بالجهد الذي تستطيع هذه الجماهير ان تبذله وراء قيادتها .. وقبل أن تبدأ المعركة يجب أولا .. أن نضم جماهير الوحدات العاملة وراء قيادتها .. وليست في مواجهة قيادتها أو فوق قيادتها .

* بقيت كلمة أخيرة .. ان من أروع ما جاء في خطاب الرئيس جمال قوله عن الدستور :

ان شعبنا ما زال ينتظـــر مناقشات الدستور الدائم ، كما ان تقنين الثورة حصانة أكيدة للتطور الدستوري السليم ليظـل القانون دائـما أكبر من مراكز القوة وأعلى من ارادات الافراد .

وجوه مشكلة العمل الأربعة

١٩٦٦/١٢/٢٨

* هل كان خطاب الرئيس جمال في بور سعيد خطابا .. أم كان حديثا شخصيا الى كل مواطن .. أجاب به على أسئلة تدور في ذهنه ويود أن يعرف عنها اجابة من الرئيس جمال شخصيا ؟

بعض الحديث كان خطابا يمكن أن يوصف بالتعميم والاغلبية العظمى منه كانت حديثا الى كل مواطن .. رد به على علامات الاستفهام الكثيرة في رأسه .. وأحس أن الرد بغير واسطة .. بل موجه اليه شخصيا من الرئيس جوابا شخصيا ..

* ولقد ذكرت وأنا أنصت الى الحديث .. والرئيس يسترسل في قوله متحدثا عن أزمة الصابون « أحنا كنا بنستورد الستليو اللي احنا بنعمل منه الصابون من أمريكا .. بعد أن انقطعت المعونة السنة اللي فاتت أصبح علينا أن نستورد هذه المواد من بلاد اخرى وطبعا التأخير في الاستيراد

عمل خلل في التوزيع .. والاستهلاك خلق لنا أزمة اللي سميناها أزمة الصابون . والناس يمكن اتضايقت واحنا يمكن نقابل مشاكل بهذا الشكل في السنة دي والسنة الجاية . وأنا أشرح لكم الليلة ايه السبب في الازمة » .

ذكرت وأنا أستمع الى قوله هذا ما سمعته من أحد الاصدقاء في لبنان من أن ـ بعض الحاقدين علينا عندما طالعتهم مجلاتنا وفيها نكت على أزمة الصابون .. شنعوا علينا لان عندنا أزمة صابون .. وألصقوا بنا تهمة الحاجة والفقر .. ولكنهم في الوقت نفسه استخسروا أن ينسبوا الينا على الاقل ـ فضل حرية الرأي .. والقدرة على نقد أنفسنا .. فادعوا أن حملة النقد الموجودة في المجلات انما هي حملة تديرها السلطات وتنفذها الصحف بناء على أوامرها وسألت محدثي في دهشة قائلا :

ـ طب ايه فايدة السلطات من كده

ـ عشان تنفس عن الشعب وتفهمه أن فيه حرية رأي .

وتمنيت أن إسأل هؤلاء الاذكياء ما رأيهم في حديث الرئيس عبد الناصر وهو يتحدث بصراحة عن أزمة الصابون ويشرح أسبابها ويقول ببساطة :

« لن يستطيع أي انسان أن يضغط علينا اقتصاديا .. ما حناش مستعدين نقبل ولا شرط من الشروط ولو اختفى الصابون .. ممكن نقعد سنة من غير صابون .. ويمكن قعدنا السنة اللي فاتت ٣ أيام في الاسبوع من غير لحم » .

عبد الناصر .. لا يدعي أن أزمة الصابون اشاعات .. ولكنه يشرح أسبابها .. ويواجه الشعب قائلا :

« كونى أقول هذا الكلام .. الحقيقة أن كل واحد فينا بيكون واعي .. ويعرف المشاكل اللي نجدها » .

ولعل الاذكياء الذين ... يمنحوننا سيئة أزمة صابون ويحرموننا فضل حرية رأي نعبر بها عن رأينا في هذه الازمة لعلهم بعد سماعهم رأي الرئيس عبد الناصر .. يثقون أن نقدنا لأزمة الصابون نابع فعلا عن حرية رأي .. وليس مسألة مدبرة .. ولعلهم كذلك يعرفون أن أزمة الصابون .. وغيرها من الازمات .. مسألة .. وان كانت تضايق الناس عند وقوعها الا انها لا تستحق منهم كل هذه الشماتة .. لانها أولا ناتجة من اجراء نعتبره أساسيا لحياتنا وحريتنا .. وثانيا لانها مشاكل مؤقتة .. القضاء

عليها ليس متعذرا ولا عسيرا .. ولعل الرئيس عبد الناصر .. يريحهم بقوله :

« عندنا عملية أساسية .. لن تستطيع أي دولة ولن تستطيع أمريكا أن تفرض شروطها علينا وايجاد نفوذ جديد لها . نحن دولة واعية ونستطيع أن نعتمد على أنفسنا كل الاعتماد . وبالعمل الجدي وزيادة الانتاج وحذف التكاليف التي لا داعي لها وبمنع الاسراف نستطيع أن تكون عندنا كفاية ذاتية وان نعتمد على أنفسنا كل الاعتماد » .

* ولقد تحدث الرئيس جمال طويلا عن العمل .. كسلاح لا بديل عنه للنصر في معركتنا القادمة .

وحديث الرئيس شامل وحاسم .. وهو يضعنا أمام مستقبلنا في طريق لا محيد لنا عنه ولا مناص لنا من اجتيازه .. وهو طريق العمل الجاد ..

وهو يطلب منا أن نسلكه فورا .. وبلا تردد .. وبلا فلسفة ..

ولست أدري لماذا رغم اني كاتب .. صناعته الكلام وضمنه التفلسف .. وجدت أن أكثر ما أراحني في حديث الرئيس هو قوله :

« المهم أن احنا نستمر في عملنا . عايزين كفاءة للادارة وسلطة للادارة .. عايزين قيادات في مواقع

الانتاج مخلصة . عايزين عمال كل واحد يلتـــزم ويعرف واجبه ـ عايزين قيادات سياسية وعمل في الاتحـاد الاشتراكي من أجـــل الانتـاج ـ. اذا ما انتجناش ما فيش فايدة في الفلسفة اللي بيقولوها دي كلها .. لا نقابات العمال ولا الاتحاد الاشتراكي ولا أي حد . أول بند من بنود الفلسفة هو الانتاج .. واذا انتجنا بعد كده نتفلسف زي ما حنا عايزين نتفلسف » .

لقد قادتنا كثرة الفلسفة .. الى أن نأخذ الحق . قبـل أن نعـــطي الواجب .. وأداء الواجب .. بساطة هو الذي يخلق القدرة على منح الحــق .. فالحق الذي يأخذه لا يهبط من السماء .. ولكنـــه يؤخذ من نتيجة الواجب الذي يؤديه ..

ولقد حدث ـ بما لا يقبل الشك ـ اختــلال في ميزان مدفوعات العمل في الفترة السابقة نتيجـــة الفارق بين الصادرات والواردات .. صادرات العمل من الواجب ـ وواردته من الحق .. لقد أخذ العامل الحق كل الحق .. ولم يعط الواجب .. كل الواجب .

* والنتيجة .. هي زيادة تكاليف الانتـــاج .. وضعف حصيلته مما حدا بالرئيس جمال الى أن يقف ليدق الناقوس ويقول صراحة :

« اللي بيطلب عمل لازم يعمل .. ولازم ينتج ولازم يزيد الانتاج .. العمال اللي أخذوا جميع الامتيازات الموجودة في العالم وجميع التأمينات حتى تأمينات البطالة .. يبقى العامل اللي يزوغ من العمل لازم يترفد لانه راجل غير أمين على بلده ولا يستحق بأي حال من الاحوال .. انه يأخذ شرف العمل .. ونجيب واحد أحق منه .. أيضا الادارة غير الامينة لازم تتنحى » .

والامثلة كثيرة .. وعجيبة .. وأعجبها انسان يظل يسعى لكي يجد عملا .. ويشكو من البطالة .. وانه لا يعرف كيف يقضي وقته .. وانه مرمي طوال النهار بلا عمل .. وان أولاده محتاجون ..

ويلتحق بعمل .. وبعد أيام .. يبحثون عنه فلا يجدونه .. ويبلغ عنه غياب .. وفي اليوم الثاني يحضر بشهادة حكيم .. وبعد يوم آخر يختفي .. ويظل أياما مختفيا .. ليظهر بعذر جديد وتعد في آخر العام أيام حضوره فنجدها أقل من أيام غيابه .. ويسأل الانسان نفسه في دهشة « أمال كان عايز يشتغل ليه »

ومشكلة العمل .. ذات ثلاثة وجوه .. أو ثلاث مراحل ..

المرحلة الاولى .. مشكلة الا يوجد عمل .

وأظن أننا في هذه المرحلة لا نعاني منها .. فما زال وعاء العمل يستوعب القادرين عليه ..

والمرحلة الثانية .. هي أن نوجد للناس عمـلا بغير عمل ..

ويبدو اننا في بعض مواطن العمل .. قد بدأنا نعاني منها . فمشكلة العاملين هناك .. ليست انهم لا يعملون .. لانهم لا يريدون العمـل بل لانهم لا يجدون عملا .. وهي المشكلة التي حاول تقريـر اللجنة الوزارية الذي قدم لرئيس الوزراء أن يحلها بحسن توجيه القوى العاملة الزائدة على الحاجة .

وهذه المشكلـة يجب أن تصفـى بسـرعة لأن وجودها ينعكس على المرحلة الثالثة من المشكلـة أو الوجه الثالث لها وهي مشكلة أولئك الذين يجدون عملا .. ويحتاج العمل اليهم ولكنهم لا يريـدون أن يعملوا .. ويركزون مـن جهدهـم وعبقريتهم في التزويغ من العمل ما لو وضع بعضه في العمل نفسه .. لانتج عملا ممتازا ..

ووجه رابع لمشكلة العمل كدت أن أنساه وهو مشكلة أولئك الذين يجدون عملا .. ويحتاج اليهم العمل .. ويريدون أن يقوموا بهذا العمل ولكـن الخوف ــ من الرقابة ــ والقوانين واللوائح ــ يجمد قدرتهم على العمل .. ويفضلون أن ــ يكفوا خيرهم

وشرهم .. وتكون النتيجة .. لا عمل .

والمطلوب الان وبعد كل ما سمعناه من أن مصيرنا .. متوقف على أن يعمل كل انسان وسعه وقدرته .. وبكل ما يملك من ذمة .. أو كما قال الرسول :

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

مطلوب أن نحل الوجوه الاربعة للمشكلة بطرق حاسمة .. باته .. رادعة .. وبصرف النظر .. عن النصح .. والرجاء .

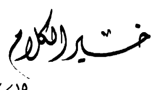
١ ــ مشكلة إيجاد عمل لمن لا يعمل .

٢ ــ مشكلة ايجاد عمل للذي يعمل في عمل لا عمل له فيه .

٣ ــ مشكلة تشغيل الذي يعمل في عمل وله فيه عمل ولا يريد أن يعمل ..

٤ ــ مشكلة وقاية الذي يعمل في عمل وله فيه عمل ويريد أن يعمل .. من شبح الرقابة والقوانين واللوائح التي تثير في نفسه الذعر وتجمد طاقته .

تلك هي مشاكل العمل التي نواجهها الان بالاضافة الى مشكلة الذين يعملون في غير تخصصهم وفي غير قدرتهم والتي يجب علينا أن نحلها فورا من أجل تعبئة قوانا في معركة الانتاج .



١٩٦٧/٢/١٥

استمعت الى خطبة الرئيس جمال عبد الناصر في عيد العلم

وفي كل عام أستمع الى هذه الخطبة . كقطعة أدبية .. معنى .. واسلوبا . وكانت خطبة الرئيس على ايجازها في هذا العام . من أروع ما سمعت . لقد أسست على أن كل مفكر جاد يمكن أن يطمئن في عمله الجاد . وفي بحثه الجاد .. وفي انتاجه الجاد .. وأن يعمل في هدوء واستقرار دون أن تفزعه اتهامات من هنا وهناك .. تقلقه وتقض مضجعه .. وتشككه في مدى تقدير المجتمع له ..

ان حديث الرئيس عبد الناصر في عيد العلم .. خير من جوائز التقدير وأوسمة التكريم . للمفكر الجاد الذي يعمل في سكون ليمنح الناس حصيلة فكره ويعطي المجتمع ثمرة جهده وانتاجه .

إن من أروع ما سمعت منه في هذا العيد

« ليس معنى العلم الملتزم أن تطلب الى العلماء ترديد الشعارات أو أن يتركوا أماكنهم في الجامعات والمعامل لالقاء الخطب .. مثل هذا طفولة ساذجة في تصور معنى الالتزام .

« ان العلم الملتزم في أي وطن من الاوطان هو العلم الذي يتسع لآمال هذا الوطن » .



بين حرية المجتمع .. وحرية الفرد في المجتمع

١٩٦٧/٣/٨

مجلس الأمة يقوم الآن بمهمة خطيرة هي اعداد الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة .

واللجنة التحضيرية للدستور المنبعثة من المجلس تقوم بمناقشة الدستور على أوسع نطاق بالاشتراك مع جميع قطاعات الشعب مناقشات مريحة مفتوحة .

ولقد تحدث الرئيس عبد الناصر في خطابه في افتتاح مؤتمر المحامين العرب عن موضوع القانون والثورة باعتباره أخطر ما يواجه الثورة العربية قائلا ان تقنين الثورة حصانة أكيدة للتطور الدستوري السليم ليظل القانون دائما أكبر من مراكز القوة وأعلى من ارادات الافراد .

وطرح الرئيس ثلاثة أسئلة ـ على سبيل المثال ـ للمناقشة هي كيف نستطيع أن نجعل القانون يعبر بصدق عن المجتمع ومطالبه . وكيف

يستطيع القانون أن يعبر عن روح التطور ثم كيف نستطيع الوفاق بين حرية المجتمع وحرية الفرد في المجتمع أو كيف نحقق انسجاما بين الديمقراطية السياسية وبين الديمقراطية الاقتصادية .

ولم أستطع وأنا أعيد قراءة خطاب الرئيس أن أعتبر الاسئلة مجرد مثل لاسئلة .. يمكن أن تطرح للمناقشة مع غيرها من الاسئلة . بل اعتبرت الاسئلة الثلاثة سؤالا واحد متكاملا هو أخطر ما يواجهنا في هذه المرحلة الدقيقة الخطيرة من تاريخنا .. مرحلة منحنا فيها فرصة تغيير مجتمعنا . وبدأنا نمارس هذا التغيير بقدرة وحرية .. لا يكاد يحد من اكتمالهما الا ما قد يثقل خطانا ويقيد حركتنا من عجز ، ناتج عن تجاوز احتياجاتنا .. قدرتنا على مواجهة هذه الاحتياجات .

والسؤال عندما نربط أطرافه الثلاثة لكي يصبح سؤالا متكاملا .. يواجه الثورة العربية ــ كما قال الرئيس ــ بأخطر ما يمكن أن نواجه به .

السؤال يصبح : كيف يمكن أن نجعل القانون الذي يجب أن يحمل بين جوانحه روح التعاون بحيث يعبر ــ دائما ــ بصدق عن المجتمع ومطالبه ..

كيف يمكن أن نحقق بهذا القانون الوفاق بين

حرية المجتمع وحرية الفرد في المجتمع . أو كيف نحقق به انسجاما بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاقتصادية .

هذا هو السؤال الخطير الذي يواجه الثورة العربية ..

والسؤال يمكن أن يصاغ في مائة وجه ..

أبسطها هو كيف يمكن أن توازن بين الحق البسيط للفرد في الحياة .. (أكل وسكن وأمن الخ) وبين الحق المركب للفرد في هذه الحياة (طموح وتفوق وانطلاق نابع من الرغبة والقدرة) أو بعبارة أشد بساطة كيف توازن بين حق اللقمة من أجل الحياة وحق البرطعة في ميدان الحياة .

ولست أظنني أبالغ اذا أرجعت جميع التطورات والثورات التي حدثت على مر التاريخ الى تصادم هذين الحقين .. والى تحقيق أحدهما على حساب الآخر الى الحد الذي يشعر الانسان بفقده أحدهما فيثور من أجل استعادته .

وقبل أن أواصل مناقشة جوهر السؤال أحب أن أعود الى مقدمته التي وضعتها في صيغة أمر مسلم به وهي ان القانون يجب أن يحمل بين جوانحه روح

التطور بحيث يعبر دائمـــا بصدق عن المجتمـــع ومطالبه .

وبديهي أن القانون .. وهو مجموعة القواعـد الذي تنظم العلاقات بين الناس في المجتمع .. وتعبر عن الاسلوب الذي ارتضوه للتعامل بينهم ولتطبيق العدالة والامن والرخاء الذي يتطلعون اليها والذي يتوق اليها مجتمعهم .. هذا القانون لا بد أن يكون دائما معبرا بصدق عن هذا المجتمع ومطالبه . وان تتحقق به آمال الناس .. كل الناس .. وليس بعض الناس .. وأن يؤكد التطوير المستمر لهذه الآمال بحيث لا يصبح مع الزمن وثيقة تاريخية .. ينظـر الناس اليها في دهشة .. وكأنها شيء لا يعنيهم .. أو يصبح قيدا يثقل سير المجتمع ويقيد انطلاقه ..

نحن نسلم اذن بأن القانون يجب أن يعبـــر بصدق عن المجتمع ومطالبه .. والا يكون معبرا عن مصالح قلة في هذا المجتمع .. تتعارض مع صلـب المجتمع .. وأن يحمل في جبينه روح التطور بحيث يصبح شيئا حيا .. ينمو مع المجتمع ويدفعـــه الى التطور .

وببساطة أكثر .. يجب أن يكون القانون دائما

في خدمة المجتمع .. وفي عونه من أجل النمو والتطور .

ذلك أمر لا جدال فيه .. ولكنه يدفعنا من جديد الى جوهر السؤال .. عندما نتساءل .. ما هي مطالب المجتمع .. وكيف تتطور .

ومن جديد نعود لنردد السؤال الدقيق الخطير .. كيف الوفاق بين حرية المجتمع .. وحرية الفرد في المجتمع .. كيف يمكن تحقيق الانسجام بين الديمقراطية السياسية وبين الديمقراطية الاقتصادية .

أو كما قلت ببساطة . كيف نوازن بين حرية اللقمة وحرية البرطعة ..

علما بأنه .. مع التسليم الذي لا جدال فيه بأولوية حق اللقمة .. يجب أن نسلم أيضا بأن حق اللقمة اذا أخذ لا يمكن لقوة ما أن توقف أو تلغي تطلع الانسان الى حق البرطعة .

وحرية البرطعة في ميدان الحياة .. أعني بها حرية الانسان بمعناها المتسع .. حريته في أن يحقق لنفسه كل ما يتجاوز مطالب الحيوان البدنية ..وهي حرية واسعة ناتجة عن تعقيد تركيب الانسان وكثرة رغباته ونمو مطالبه الناتجة عن قدرته على

التفكير والخلق والابتكار ورغبته الدائمة في السبق والتميز .

وقبل أن نوازن بين الحريتين .. والمدى الـذي يجب أن نوفق فيه بينهما يجب أن نحدد مـا هـي الحرية للانسان . وماذا يريد منها .

الحرية .. رصيد لدى الانسان .. من حقه أن يفعل به ما يشاء .. حكمها في ذلك حكم رصيـــده البدني .. والذهني .. والعصبي .. وكل ممتلكاته الذاتية .. التي تخلق معه .

واذا سلبت منه فسيظل يكافـــح من أجـــل استردادها .. حتى يستردها .. ليصرفها بمعرفته .. من أجل أن يأخذ بها شيئا ما .

واذا كان الانسان .. يستهلك من بدنه .. أو من فكره .. ليأخذ بدل الفاقد عوضا .. من مأكل أو ملبس .. أو مسكن فهو يستهلك من حريته .. ليأخذ بدل الفاقد .. أمنا .. أو راحة .. أو متعـــة .. أو قدرة على تسيير ما تبقى من حريته . بحيث تصبح عنده ذات معنى وفائدة .

والحرية الجامدة .. أشبه بالارصدة المتجمدة . أو أوراق النقد الملغاة .. شيء لا فائدة منه .. ولا

قيمة له .. ما دمنا لا نحصل به على شيء .. أي شيء .

والحرية المطلقة .. غير القابلة للاستهلاك .. مجرد ضياع والمجتمع في حد ذاته .. شركة للحريات .. يساهم فيه الفرد . بجزء .. قل أو أكثر .. من حريته .. ليأخذ الثمن .. رخاء وأمنا .

عندما يحب الانسان .. يقدم حريته خاضعا .. رغم انه يكافح من أجل حريته .. عندما تكبله اغلال الزوجية .

في اشارات المرور .. يدفع جزءا من حريته .. ويقف أمام الشارة الحمراء .. ليربح حياته .

في كل دقيقة .. يدفع من رصيد حريته .. في مجتمع رأسماله حريات الافراد .. لكي يأخذ منه شيئا نافعا .

فالحرية اذن .. ليست بدلة تشريفة يختال بها الانسان .. وانما هي رصيد سائل .. يدفع منه بقدر ما يأخذ .

وبقدر ما يعطي الفرد من حريته .. بقدر ما يأخذ من المجتمع ..

وأخذ حرية الفرد بمقابل .. صفقة ..

والحجر عليها .. بغير مقابل .. سلب ..

واذا رضي الفرد أن يمنح للمجتمع حريته .. لكي يحصل على الثمن .. فهو لن يرضى بأن يسلب المجتمع حريته بغير مقابل والانسان عندما يثور من أجل حريته .. لا يثور على مجرد فقدها .. بل يثــور لانهــا نهب .. يثور على الســرقة وليس على فقــد الحرية ..

فاذا عدنا للسؤال الخطير .. كيف يمكن الوفاق بين حرية المجتمع .. وحرية الفرد في المجتمع ..

وجدنا السؤال قد تحــول الى .. كيف يمكن الموازنة بين ما يدفعه الفرد من حريته للمجتمع .. وبين ما يأخذه نظير هذه الحرية المفقودة ..

أو ماذا استطاع المجتمع أن يحققه للافراد .. من مجموعة حرياتهم المسلوبة ..

.. يجب أن تكون الصفقــة عادلة .. يجب أن يشعر الناس أن المجتمع قد أخذ حرياتهم ليحســـن استغلالها من أجلهــــم .. وليس ليلهو بهــــا .. أو ليستغلها لحساب القلة .

وهنا تبرز مسألة القدرة على التطور ..

ان الانسان لا يتنازل عن حريته للمجتمع .. تنازلا مطلقا .. ولكنه موقوت بقدرة المجتمع على دفع المقابل .. موقوت بحاجة الفرد إلى هذا المقابل ..

ومن جديد تثبت الحقيقة الجازمة بأن النظم يجب أن تتطور لملاءمة حاجات الانسان من المجتمع .. وان تتطور علاقة الفرد بالمجتمع بحيث تصبح الموازنة قائمة دائما بين حرية الفرد في المجتمع .. وبين حرية المجتمع ..

والمجتمع .. عندما يحصل على قدر من حريات الافراد .. لكي يكتسب لنفسه القدرة على حرية التوجيه والتخطيط .. والعمل ككل لمصلحة الافراد .. يجب أن يكون حريصا دائما على الا يأخذ من الحريات ما لا حاجة له بها .. وعلى أن تكون الصفقة بينه وبين الافراد دائما عادلة .. حتى لا يشعر الفرد .. بأن هناك عملية سلب لحريته لا مبرر لها .. وبالتالي يضطر .. للثورة من أجل استردادها .

وعملية حصول المجتمع على حريات الافراد .. أو قدر منها .. كائنة في كل ـ مجتمع .. ولكنها تختلف في مدى ما يأخذه المجتمع من حرية الافراد ومدى ما يدفعه لهم .

وعندما تكون حرية الافراد . حرية جامدة كالارصدة المتجمدة .. لا قيمة لها .. لضياع الافراد في مجتمع ما .. لان قلة مميزة تستغل خيرات هذا المجتمع .. يثور الافراد .. لا من أجل حريتهم .. بل من أجل التنازل عن حريتهم لمجتمع يمكن أن يجعل



لها ثمنا .. ويمنحهم عن بعض ما يتنازلون عنه مقابل ما هم في أشد الحاجة اليه ..

هذا هو المجتمع الاشتراكي .

أو هو بتعبير عسكري ـ .. مجتمع الضبط والربط .. أعني مجتمع العسكريين وتختلف فيه درجة الضبط والربط ابتداء من معسكر المستجدين حتى جلسات ضباط المعاش في النوادي .

ولقد رأيت نظام الكوميون في الصين الشعبية .. وهو فيما اعتقد أقصى درجات الضبط والربط الشعبي .. حيث الحياة تتحول بالضبط الى معسكر من معسكرات ـ الاساس في الجيش . وحيث يقدم الفرد جهده ضمن مجموعة نظير الطعام والملبس .. وحيث يلغى نظام حياة الاسرة . ويسود نظام حياة المعسكر ولا يلتقي الرجل بزوجته الا كل اسبوع . وبحيث تحتوي وحدة الكوميون على كل وسائل الاستقلال الذاتي .

ولا جدال أن في هذا النظام .. يمنح الفرد .. أقصى قدر من حريته للمجتمع .. ويمنح المجتمع القدرة على السيطرة الكاملة على جهود الفرد.. ولقد حققت الصين بهذه الدرجة من الضبط والربط .. ما يشبه المعجزات .. قضوا على الافيون والذباب والعصافير واستطاعوا في أحد الاعوام أن يصلوا

بانتاج الحديد ـ والصلب الى أكبر قدر تنتجه دولة في العالم .. عندما صدرت الاوامر الى الشعب بأن يقيم كل فرد أمام منزله فرنا صغيرا للحديد والصلب .. واستطاع السبعمائة مليون صيني أن ينتجوا من الحديد والصلب بوسائلهم البدائية ما فاق انتاج بريطانيا في الكم .. وان كان النوع لم يصل الى نفس المستوى .

وشعرت وأنا في الصين .. ان كل شيء ممكن عمله في أي وقت .. والمسألة كانت عملية حسابية بسيطة .. اذا كان العمل يمكن أن يعمل في شهر بألف شخص فيمكن أن يعمل في خمسة عشر يوما بألفين وفي سبعة أيام بأربعة آلاف . وفي يوم بثمانية وعشرين الفا .. اذا فليعمل في يوم .. وشاهدت هناك سدا .. يشيدونه بالفؤوس والقصعات.. وأجابوا ببساطة.. ان هناك قصورا في الآلات الحديثة .. ولكن هذه مسألة لا تهم .. فسيقيمونه بالايدي .

وكنت أجد المجتمع الصيني .. مجتمع طوابير متحركة .. لا تسكع ولا مزاح .. ولا غزل .. ولا شيء أبدا من مظاهر الانسان الذي يملك بعض حريته .. أعني حرية البرطعة .

لقد منح الفرد الصيني حريته للمجتمع ..لانه

كان يشعر ان المجتمع يرد له الثمن مضاعفا .

ولكن الى متى ؟!

اني أذكر أني عدت بعد رحلتي .. ولقيني الرئيس عبد الناصر متسائلا :

ـ هيه .. شفت ايه ؟

وقلت بحماس

ـ شفت حاجات كثير .. محتاجين ان احنا نعملها هنا .

ثم قصصت عليه ما رأيت ووجدته يطرق برأسه برهة ثم رفع رأسه متسائلا :

تفتكر أحنا محتاجين للطريقة دي .

وقبل أن أجيب أردف يقول :

ـ لما بشوف الفاعل طالع على السقالة .. وشايل القصعة على كتفه في عز البرد ..

وبيغني .. ومبسوط .. بحس انه ممكن ياخذ اللي هو محتاجه .. من غير ما نضيع ابتسامته . ونحرمه من غنوته .. فيه مقاييس انسانية .. ما يمكنش نتنازل عنها .

وعندما سمعت خطبته الاخيرة في مؤتمر المحامين . توقفت برهة أمام قوله كم شهدنا تجارب أهدرت فيها الديمقراطية الاقتصادية بدعوى الديمقراطية السياسية والعكس .

في مؤتمر الانتاج

٢٢ / ٣ / ١٩٦٧

عندما تشرق الشمس في يوم صاف تبدو معالم القاهرة من فوق جبل المقطم في وضوح رائع . يبصر فيه المرء مجرى النيل والطرقات والبيوت ويبدو كل شيء في دقة عجيبة حتى الاشجار والعربات السائرة على كورنيش النيل في طريق المعادي . ويمتد الوضوح ليبدو كل ما في الافق البعيد . في صفاء ودقة لا يلفه غبار ولا يحيط به ضباب يخفيه أو يموه معالمه .

وفي هذا الاسبوع أحسست اني أرى معالم طريق حياتنا واضحة وضوح القاهرة من فوق المقطم في يوم صاف .

في كلمات دقيقة واضحة . بدد الرئيس جمال كل ما يحيط بالطريق من ضباب يلف معالمه ويخلق منه متاهات محيرة لتبدو هذه المعالم واضحة جلية أمام العاملين البسطاء الذين يؤمنون بالعمل المخلص

القادر على الانتاج وعلى تحقيق الكفاية والعدل .. من أجل رخاء المجتمع وسعادته .

في كلمات دقيقة واضحة القيت كالضوء الكاشف على الطريق .. بدا الطريق في وضح النهار .. وتوالت أضواء الكلمات .. لتبدو كل معالمه .. واضحة في دقة مريحة .. وبلا غموض محير .. أو ابهام مغلق .

تحدث الرئيس أمام رؤساء المؤسسات والشركات لا ليفتح بكلمته باب المناقشات .. بل ليوضح للشعب كله في صراحة ووضوح الى أين نسير ..

ولست أشك في أن كلماته التي أضاءت الطريق قد منحت الناس القدرة على الفهم السليم .. وأوضحت لهم الى أين نسير .. ومنحتهم احساسا بالثقة والطمأنينة .. ـ والقدرة على الانطلاق في طريق واضح المعالم .. تتيح الفرصة لاطلاق كل طاقاتهم العاملة المنتجة .

عن الاشتراكية .. التي ترسم الخطوط العريضة لطريقنا .. والتي يمكن للعباقرة المتفلسفين أن يجعلوا منها متاهات طويلة لا يعرف المرء فيها أين تذهب به .. والى أين تقوده ..

قال الرئيس ببساطة ووضوح .. يفهمه الناس .. كل الناس انها بيت سعيد في كل أسرة يقوم على عمل القادرين . مفتوح للعلم والثقافة والصحة مظلا بالامان الاجتماعي ضد مفاجآت الحياة ..

العامل في مصنعه .. والفلاح في حقله .. والتاجر في حانوته والموظف في عمله ..

كل هؤلاء الناس العاملين المؤمنين المخلصين الذين يكونون هذا الشعب .. يفهمون بسهولة هذه الاشتراكية .. لانها هي هدفهم في الحياة كل منهم لا يتمنى من حياته أكثر من هذا .. ان يحقق بقدرته على العمل بيتا سعيدا لاسرته تهيأ فيه وسائل الراحة والصحة والمعرفة والامان ..

هذا هو مفهوم الاشتراكية .. التي يحبها الناس كل الناس .. ويؤمن بها الناس .. كل الناس .

هم لا يستطيعون فهمها على انها فلسفة معقدة ملتوية .. ولا يقبلونها على انها عرض يعرض من لا يقبله للعقاب أو اتهام يلقيه البعض على البعض للتنكيل به لانه لا يؤمن به .

أما انها بيت سعيد لكل أسرة يقوم على عمل القادرين .. فهذا هو ما يؤمنون به .. ويتلهفون عليه

.. وهذا هدف كل مخلص عاقل .. في هذه الحياة .

وقال الرئيس ان الانتاج هو الاداة الفعالة لتحقيق الاشتراكية . وان خدمة الانتاج هي معيار الاخلاص للاشتراكية .

فالانسان العامل في اخلاص وكد .. لكي يساهم بعمله في خدمة الانتاج .. هو المواطن الاشتراكي .

والانسان الذي يؤمن بقول الرسول عليه السلام « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا ان يتقنه » .

هو ببساطة الانسان الاشتراكي .

لم يعد الطريق إذن الى الاشتراكية .. غامضا .

اذا كان هدفها .. ببساطة .. بيتا سعيدا يقوم على عمل القادرين .. فالطريق الى هذا الهدف هو أن يعمل القادرون بكل ما يملكون من طاقة حتى يحققوا من الانتاج ما يوصل الى هذا الهدف .

وقال الرئيس ان الادارة هي خدمة الانتاج .

وان الثورة الادارية من أبرز سمات العصر .. وحدد مفهوم الادارة بأنها علم تحريك وسائل الانتاج لتحقيق أكبر نمو بها .

وازال الغموض في مفهوم الادارة .. وفي محاولة تحميلها فوق طاقة مفهومها .. وفي افتراض

ان هناك ادارة اشتراكية وادارة رأسمالية .. بأن الادارة علم ..والعلم لا يكون اشتراكيا أو رأسماليا .. وكما انه ليس هناك علم ثوري رأسمالي وعلم ثوري اشتراكي .. فانه ليس هناك ادارة رأسمالية واخرى اشتراكية .. وانما الذي يحدد الهوية هو نوع المجتمع الذي يوجد فيه العلم .

والفارق بين الاشتراكية والرأسمالية هو من الذي يملك وسائل الانتاج والى من يذهب عائده ؟

وقال الرئيس بوضوح في كلماته الكاشفة لمعالم الطريق ..

ان رئيس مجلس ادارة كل وحدة هو المسؤول الاول عن قيادة العمل فيها وهو المعرض للحساب في النجاح أو الفشل .

ووضح أساس الحساب بأنه الاداء والادخار أما الاداء .. فهو تحقيق ما التزم به كيفا وكما . أما الادخار فينحصر في تحقيق الارباح والاحتياط والاستثمارات الجديدة ..

لقد حدد في طريق العمل .. المسئولية .. والحساب كما أكد في وضوح أن الاجر يجب أن يرتبط بالعمل وتنميته وان الاشتراكية ليست مساواة عمياء .

وحدد طريق الانطلاق في العمل .. بأنه موكول للقدرة الذاتية .. بعد أن يمنح الجميع فرصا متكافئة .. ويبقى على كل مواطن بعد ذلك أن يحدد خلال انطلاقه في الطريق دوره في المجتمع ومقدار ما يحصل عليه منه بقدرته الذاتية .. وبكل ما يملك من طاقة وموهبة وجهد .

وأكد الرئيس بوضوح حرمة المال العام وان حمايته واجب يجب أن يقدس شأنه شأن كرامة الوطن وسلامة حدوده .

وحدد دور الوزير ورئيس المؤسسة ورئيس الشركة .. ووضع حدودا واضحة لكل منهم . وجعل للشركة في وضوح ودقة .. استقلالها الذاتي الذي يطلق لها كل قواها الذاتية .

ووضع الرئيس الخطوط التي تحدد معالم بين وحدات الانتاج والتنظيمات ـ السياسية والنقابية .

وبلا جدال .. كان الخلط بين مفهوم مسئولية التنظيمات الثلاثة والتشابك بين سلطاته .. من أكبر أسباب تمييع المسئولية . وتعطيل العمل .. واثارة المشاكل المعرقلة للانتاج .

ولقد شرح الرئيس مفهوم الاتحاد الاشتراكي بأنه التنظيم السياسي الذي يسعى الى تحقيق وضع

سلطة الدولة في يد تحالف قوى الشعب العاملة وفي خدمة مصالحها .

ووضع حدود العمل للتنظيم داخل وحـــدات الانتاج بأنه يجب الا يتدخل في عملية الانتاج أو في تفاصيلها . وان ملاحظاتها بخصوص العمل يجب أن ترفع الى رئاستها في التنظيم السياسي .

ولا جدال أن هذا سيضعحدا .. لمحاولاتالبعض في أن يمنح لنفسه سلطة لا تمنحها له طبيعة عمله . بحيث تضيـــع سلطـــات المسئولـــين الحقيقيين في محاولات غير المسئولين في انتزاع السلطات التـــي ليست لهم . وتشابك المسئوليات وتداخل السلطات

ولا جدال ان رئاسة التنظيم أقدر على اصلاح الخلل ان وجد في وحدات الانتاج بالطرق الطبيعية السليمة أكثر مما تستطيع التدخلات المباشرة التي يمكن أن تحدث من المشاكل أكثر مما تقوم به مـــن اصلاح .

ولقد كانت كلمـــات الرئيس في هـــذا المعنى صريحة وحازمة وواضحة عندما قال ان محـــاولات تشكيلات التنظيم التدخل في عملية الانتاج أو فـــي تفاصيلها تعتبر اساءة الى هدف الانتاج الذي هـــو وسيلة لتحقيق الاشتراكيـــة باحتمالات ازدواج

السلطة ومجتمع المسئولية . أي بكلام لا يقبل المناقشة .. اساءة الى الاشتراكية نفسها .

وأكد الرئيس دور التنظيمات النقابية في نقط واضحة هي السهر على تطبيق التشريعات العمالية والاشتراك في رفع مستوى الكفاية والمهارة الفنية ورعاية النشاط الاجتماعي والثقافي والمساهمة باقتراحات لزيادة الانتاج .

ولعل هذا يوقف تدخل التنظيمات النقابية في أعمال الادارة والتزامها الدقيق بطبيعة عملها .

ولا جدال .. في أن طريق العمل أمام العاملين في ميدان الانتاج قد أضحى واضحا . وان الاشتباكات المعرقلة سينتهي أمرها .

وان رؤساء المؤسسات والشركات التي تزيد على أربعمائة وحدة ويربو انتاجها على الالف وثلاثمائة مليون من الجنيهات . والذين وصفهم الرئيس بأنهم صفوة القادة الاداريين في هذا البلد . قد وجدوا طريقهم الواضح للانطلاق . بحيث يستطيعون أن يحققوا أكبر قدر من الانتاج الذي يمنح للمجتمع الكفاية الحقيقية والعدالة القادرة على انتفاع الناس كل الناس بهذه الكفاية .

ولم يبق بعد وضوح الرؤية في طريق الانتاج الا

أن تزال العقبات المؤمنة التي كانت تعترض طريقه والتي أستطيع أن أوجزها في أنها قصور التنظيم الحكومي الذي يرتبط ارتباطا مباشرا بخدمةوحدات الانتاج عن تهيئة الانجازات المطلوبة للوحدات وعرقلته بالتالي لانطلاقها والثاني عدم توفير ما يحتاج اليه الانتاج من احتياجات حيوية لادارة عجلة الانتاج سواء من خامات أو آلات أو قطع غيار ان علينا بعد أن أوضحنا الطريق وأزلنا العوائق المعرقلة للانطلاق .. أن نوفر للانتاج الوقود اللازم لهذا الانطلاق .. والا نصيبه بأي نوع من أنواع العجز نتيجة النقص في منحه الامكانيات الحيوية لانطلاقه ..

وأنا أكتب هذا دون أن تكون لدي الفرصة في متابعة المناقشات التي دارت في المؤتمر الذي افتتحه الرئيس بكلماته الكاشفة المضيئة . ولكني أؤمن بأن ازالة هذه العراقيل وتوفير كل امكانيات الانتاج بحيث تنطلق عجلته بأقصى ما تستطيع سيكون هو الهدف الاسمى الذي نسعى اليه في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخنا والتي أصبحت القدرة على اطلاق الانتاج بأقصى طاقته هي العنصر الحاسم في حياتنا وفي تحقيق الرخاء والسعادة لشعبنا .

أهلاً .. جمال

١٩٦٧/٧/٢٦

استمعت اليك مع الناس وأنت تتحدث في العيد الخامس عشر للثورة . ولست أجد هناك ما أعلق به على حديثك .. الجلي . الفياض الحاسم المريح .. فقد كان حديثك .. أوضح وأقرب الى قلوب الناس .. من أن يعلق عليه مفسر . أو يوضح دقائقه لهم كاتب . ولا أريد أن أنقل فقرات منه لابرز أهميتها .. فكل حديثك مهم .. ولا أعتقد أن عربيا واحدا لم تلتقط مسامعه في نهم كل ما قلت ليلة الاثنين .. ولم يعها ويحفظها .. بعد أن طال بنا الشوق الى لقائك .. والاستماع اليك .

فقط .. كلمات قليلة من القلب .. أود أن أقولها لك .. عنك .. من حقك أن تعرفها لانني وان كنت أعبر بها عن احساس خاص ـ الا أنني أعتقد انها يمكن أن تعبر عن مشاعر الملايين . الذين لقوك

في لهفة . واستمعوا اليك في شوق وحب بعقلهم . وتشعر لهم بأحاسيسهم وقلوبهم .. وهم يثقـون فيك .. لانك صادق مخلص شجاع .. ولقد كنـت أعرف عندما جلست أستمع الى حديثك يوم ٩ يونيو أنك قلت في القيادة قبل العدوان أنك تتوقع الهجوم يوم الاثنين . وحذرت من ضرب الطيران .. ومع ذلك أعلنت تحملك المسئولية وحدك .. وطلبت التنحي .. وأحسست بروعة شجاعتك . وأنـت تتصدى وحدك للمسئولية . وتتحملها بشجاعة عن كل مـن حولك . ولقد كان الشعب ليلتها .. أدرى بـك .. وباخلاصك وبشجاعتك ورجولتك .. وعندما هب ليستبقيك .. لم تكن لهبته معنى سوى انه يتقـدم ليحملك .. ويحمل ما حملت من مسئولية .. ويؤكد للعالم انك لست مجرد قائد .. يكرم في النصر .. وينحى في الهزيمـــة .. بل جـــزء من الشعب .. انتصاراته .. ونكساته .. في آماله وآلامه .. في سعادته وأحزانه ..

ان صلـة الناس بـك .. صلة قلبية .. واني لأذكر عندما كان ابني يرقد في قفص من الجبس في لندن .. معلقا صورتك فوق فراشه .. ان نظر الي قائلا في بساطة وبراءة :

« أنت بتحب جمال بسبب .. عشان كان صاحبك وزميلك في المدرسة .. أو عشان بيعمل للبلد حاجات كويسة .. كنت بتتمناها . لكن انا بحبه من غير سبب .. يعني مهما عمل فأحبه » .

ودهشت يومذاك من قوله .. وأحسست أنه يعبر عن صلة قلبية بينك وبين جيله ..

ولقد ذكرت قوله بعد ذلك وأنا أستمع الى أنشودة صلاح جاهين التي يغنيها عبد الحليم حافظ وبها فقرة تقول :

« قول ما بدا لك .. احنا رجالك » وأنا أعرف ان صلاح لا يقول الا ما يحس به .. فهو ليس مجرد ناظم أغاني وهو مخلص فيما يقول ..

ووجدت في قوله (قول ما بدا لك) تعبيرا عن شعور ابني وجيله نحوك . وأحسست ان هذا لا يسهل قوله .. ولا قبوله الا لانسان .. يربط الناس به صلة قلبية بحتة .. فهم يؤمنون به .. بغير حد .. وبغير قيد . واثقون ثقة مطلقة في خلقه وكفاءته .. كما يؤمن ابن بأبيه .. ويطمئن اليه ويثق في مصيره معه . .ولا يتخلى عنه لمجرد أزمة طارئة .. أو نازلة المت به ..

وقبل أن تبدأ الحديث .. وبمجرد أن يرتفع صوتك ليقول « ايها المواطنون » سرت في الناس

همهمة ارتياح وسمعت صوتا يقول « أيوه كــــده وحشنا صوتك » وسمعت أنور البارودي يهمس في تأثر « صوتك مريح » .

وما أظن لهفة الناس الى سماعك بلغت مثل ما بلغته هذه المرة .. ولا جدال في أنهم كانوا يودون أن يعرفوا .. أين المصير .. وكانوا يدركون انك وحدك الذي ستدلهم .. على الطريق . ولكن لا جدال أيضا في أنه كانت هناك رغبـــة حسية .. في لقائــــك والاستماع الى صوتك .. سببها هذه الصلة القلبية .. القائمة على الايمان بك والثقة فيك .. وما أظننا كنا في حاجة الى هذه الثقة حاجتنا اليها الان ..ونحن نقف عقب النكسة لنبدأ السير من جديد ..

لقد كنا في حاجة الى أن نستمع منك الى اننــا يجب أن نتجاوز النكسة ونرتفع فوقها . والا تشدنا الهزيمة الى اطلالها . وان نعيد البناء المصري شعبيا وعسكريا .. بيد تحمل الفأس ويد تحمل المدفع .. اننا في حاجة الى الايمان بأن قواتنا المسلحة جزء منا .. وان قدرتها من قدرتنا .. وان الثقـــة بأنفسنا وبقدرتنا .. وهزيمة معركة .. ليست أمرا خصنا به القدر وحدنا .. فالهزائـــم كالانتصارات .. لا يمكن أن يتخصص فيها انسان بذاته أو أمة بذاتها .. وانما طبيعة الاشياء .. هو أن نهزم وننتصر ..

والذين ذاقوا حلاوة الانتصار في شتى الميادين ..
يجب الا تروعهم مرارة الهزيمـــة .. بل يجب أن
يصمدوا لها . ليتجاوزوها .. الى نصر يعوضهـــا
ويفوقها ..

لقد حددت لنا الطريق .. رغم غموضه .. وثق
اننا قادرون على المسير فيه .. على ما به من مشقة
أو طول .. فالتضحية نحن قادرون عليها .. والصبر
.. طبيعتنا .. ويوما ما .. سنصل الى آخر الطريق ..
وسنطهر أرضنا .. ونعيد الى شعب فلسطين حقه .

واذا ظن العدو انه قد أحدث بنا صدعا .. فهو
واهم .. اننا نحن الصابرين الكادحين قد ننحنـــي
ولكننا لا نتصدع .. سنعاود الوقوف والســـير على
الدرب الطويل ..

بالعمل الدؤوب .. والنضال القائم على التعاون
والحب والتآخي .. سنعيد البناء ونأخذ الحـــق
المسلوب .

اننا نؤمن بك .. لانك جزء منا .. وثق اننـــا
معك .. لانك معنا ..

اننا معك في السراء والضراء .. أو بلهجتنـــا
الطيبة .. النابعة من أعماق قلوبنا .. معك في الحلوة
والمرة .. أعاننا الله على أن نقذف بالمرة من حلوقنا
لنصبها في جوف العدو ..

يا بني .. القادم من بعيد

١٤ يوليو سنة ١٩٦٧

يا بني القادم من بعيد ..
من وراء الافق ..
أفق المستقبل العربي ..
الذي قد تحجب الظلمات اشراقته في ليلة حالكة
ولكن فجره المضيء .. آت
لا ريب فيه .. واذا أدمى
الطريق أقدامنا في مسيرتنا
اليه .. واذا خضنا معركة تلو
معركة مع قوى الشر التي تريد
أبدا أن تفرض علينا الظلمة
وتحجب عنا اشراقة الفجر ..
وإذا سقط منا الشهداء ..
وخسرنا هذه المعركة أو تلك ..
فسنواصل السير .. حتى نبدد

الغمة ونبلغ مطلع الفجر ..
واذا ضاع العمر دونه . ففي
عمرك يا بني تتمة المسيرة نحو الضوء ..
ومواصلة الصراع مع قوى الظلم والعدوان ..
لقد بذر العدو بذرة الحقد في نفوسنا
وغرس جذور الثأر في قلوبنا .. وسنورثها

لك ــ ونحن شعب المحبة والسلام ــ يا بني القادم من بعيد .. جيلا وراء جيل لن تهـدأ أجيالنا حتى تهدم معاقل الشر التي تقطع طريقنا .. وتهدد أمتنا وحياتنا .. وتحجب عنا اشراقة الفجر .. اذا خسرنا اليوم .. فسنربح غدا .. أو بعد غد .. واذا ضاع العمر .. فلن تندم عليه .. ما دمنا حاولنا وخسرنا .. وعلمناك كيف تحاول .. وتحاول .. حتى تقضي على قوى الشر .. وترى الطريق العربي أمامـــك مزهرا .. بلا شوكة تدمي جانبك .. ولا حنظلـــة تمرر طعم الحياة في فمك .. مضيئالا تحجب اشراقته جحافل شر .. ولا قوى عدوان .. وستبصر عيناك نور الفجر .. يملأ سهولنا العربيـــة الخضراء .. ويعلو هامات جباله الشماء .. ويومها .. ستكـون الليالي الحالكة الحزينة التي أرقنا فيها الدمـــوع ونزفنا الدماء .. أجراس عرس .. تدق على دروب

تاريخـــك الحافل ولآلىء، نور تضـــيء جوانب مستقبلك المشرق .

يا بني الحبيب القادم .. من بعيد .. من وراء أفق المستقبل العربي أكتب اليك .. كلمـــات .. لولاك ما كانت .. تريدك لانها لا تعرف سواك .. تهمس في اذنك بذكريات .. ليلة من ليالينا الحالكة في جوانحنا .. المشرقة في ضمير الزمن .

حلكة الليل تغرقنا .. والصمت يسود الا من همسات تسري بيننا في أسئلة قصيرة واجابـــات مبتورة .

وفي احدى الهمسات سمعت صوت ابني يهتف في شبه دعاء :

ـ ليته لا يتحدث في حزن .. اني أكره أن أراه حزينا . ولم أجب فقد كان بنفسي ما يشغلني عن محاولة الرد .. وعاد ابني يتساءل :

ـ أظننته سيتحدث كما تحدث يوم الانسحاب في ١٩٥٦ أو يوم الانفصال ؟

وأجبته في اقتضاب :

ـ كيف أعرف ؟. انتظر حتى تراه .. وتسمعه

وعدت أنظر الى الشاشة الصغيرة .. التي تبدد بعض ظلمة الليل .

وعاد ابني يهمس بحديثه القلق :

ـ ليته يصيح .. ويشتم .. أي شيء أهون من لهجته الحزينة .

وكنت أعرف احساس ابني .. وتمنيت بقلبي مثل ما تمناه . كان الحزن يرسب في أعماقي ..

ورغم كل ما أقول لك يا بني القادم من بعيد .. عن المعارك التي لا بد أن يخسرها الانسان يوما ما في حياته .. وعن الصبر والشجاعة التي يجب أن يواجه بها الخسارة .. فاني لا أملك وأنا أكتب اليك أن أقاوم ذلك الحزن الذي يرسب في الاعماق تزدرده مع ضربة الظلم والغدر .

لقد انسحبت قواتنا الى غرب القناة .. بعد معارك ضارية في صحراء سينا .. واجهت خلالها تفوقا في القوات الجوية المعادية .

للمرة الثانية يا بني نواجه بمؤامرة .. تكبلنا أمام خصم معتد .. وتمنحه من المؤازرة .. ما يؤيد عدوانه الحقير .. منذ عشر سنوات كان التواطؤ ـ سافرا .. وفي هذه المرة .. كان مستترا .. في المرة السابقة .. دخلت فرنسا وبريطانيا .. بقواتهما المسلحة .. علنا .. وفي هذه المرة .. قدم الدعم الامريكي كاملا تحت شارات اسرائيل .. تشهد

بذلك تصريحات زعماء أمريكا التي لم تكتم تقديم كل معاونة لاسرائيل .

ورغم أن الناس في الطريق كـــانوا لا يجهلون وجود أمريكا كعنصر مؤكد وراء ـ اسرائيل .. الا انهم كانوا يحسون أن شيئا في عالمنا هذا لا بد أن يصدرها .. ويوازن كفتها ..

واننا عندما نواجه خصمنا في المعركة نواجهه بما نملك نحن العرب من قدرة .. فاذا دخلت بجواره قوة أكبر من قدرتنا .. فلا بد أن يواجه بقوة تردع تلك القوة ..

ذلك ما كان يشعر به الناس في الطريق ..

وكانوا يحسون .. انهم لا يريدون الاعتماد على أحد في مواجهة خصمهم .. ولكن دخول الخصم الاكبر .. الذي لا يعتبر .. خصمهم وحدهم .. وهو أمريكا .. لا بد أن يقابل بخصومه الاكبر .. لانه لا يحاربنا وحدنا .. ولكنه يحارب الحرية في معركتنا .. يحارب العدل والحق وكل القيم الطيبة التي تدافع عنها كل القوى المحبة للحرية والسلام والعدل .

ودخلت أمريكا المعركة .. بكل ما تملك مـــن تأييد مادي ومعنوي لاسرائيل لكن هناك ضرورة لان تعلن الحرب حتى يفهم العالم انها وراء اسرائيل ..

وان المعركة .. لم تعد معركة اسرائيل .. ضد العرب .. ولكنها باتت معركة الاستعمار ضدالحرية والتقدم .

والعرب ليسوا وحدهم خصوم أمريكا أو بوجه أدق .. ليسوا هم خصوم أمريكا التقليديين .. بل قد تكون خصومتهم مع أمريكا .. قد اكتسبت .. ـ بوقوفهم موقف الصداقة للمعسكر الاشتراكي ومقاومة التبعية للمعسكر الامريكي .. وعدم الانسياق للاحلاف وقبول القواعد التي وضعت أصلا .. لمواجهة المعسكر الاشتراكي .. والتي وجه منها العدوان فعلا الى العرب .

وانسحبت قواتنا الى غرب القناة .

وازدردنا الصدمة .. وازدردنا الحزن ..

وجلسنا ننتظر الرجل .. الذي .. يضيء لنا الطريق في الظلمات .. نتطلع اليه في لهفة ..لنستمع الى كلماته .. لعلها تمحنا بعض الهدوء والعزاء .

وتمنيت كما تمنى ابني .. ألا يكون حزينا .. فنحت معه في كل شيء .. سراء كان أو ضراء .. ونحن نشد ازره .. كما يشد أزرنا .. فلنبتلع الحزن .. رغم كل ما يبعثنا على الحزن .. وبدأ يتحدث ..

استعرض الموقف في صدق وصراحة .. كما هو دائما .. وأعطى ما لقيصر لقيصر .. وما لله لله .

أوضح اننا لم نعتد على أحد .. واننا هببنا لنجدة اخواننا في سوريا .. ودفاعا عن أنفسنا واننا وقفنا على أهبة الاستعداد في حدودنا نمارس سيادتنا على أرضنا وفي بحرنا .. وأوضح عملية الغدر والتواطؤ ..

أوضح .. وقفة العرب بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربي موقف الرجولة والعزة .. موقف التصميم على أن الحق العربي لن يهون ولن يضيع .

وأوضح استخدام مصادر القوة العربية في البترول وفي القناة ..

وأوضح موقف الامم العظيمة خارج العالم العربي .. بما قدمته من تأييد معنوي كبير .

ثم ذكر المهام العاجلة الملقاة على عاتقنا :

وعندما انتهى منها .. تساءل قائلا :

ــ هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسئولية تبعات هذه النكسة ؟

وأجاب على تساؤله يقول :

ــ وأقول لكم بصدق ــ وبرغم أية عوامل قد

أكون بنيت عليها موقفي في الازمة ــ فانني عـــلى استعداد لتحمل المسئولية كلها .

ثم القى بالمفاجأة المذهلة قائلا :

ــ ولقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي وان أعـــود الى صفوف الجماهير أؤدي واجبي معها كأي مواطـــن آخـــر ..

وذهل من حولي ..

ووجدت نفسي أهتف « هذا هو جمال عبـــد الناصر .. الرجل » .. لقـــد كان في تحمله عبء المسئولية كلها .. مانحا لجمال عبد الناصر قدره .. كما هو دائما .. رجل .. رجل ..

وانتهت لحظة التقويم التي منح الرجل فيها حق قدره ..

ووجدت ابني يمسك بيدي في جزع ويهتف :

ــ ايه ده .. ده معقول .. مش ممكن .

ووجدت ابنتي تندفع في بكاء مرير .

ووجدتني انظر اليهما في دهشة قائلا :

ــ بتعيطوا ليـــه ؟. جمال عبد الناصر .. مش ممكن يسيب البلد .. دا حته منها اذا ما بقاش رئيس جمهورية .. يبقى أكبر من رئيس الجمهورية

وكنت أتحدث في ثقة أكيدة .. فلم أكن أحس أن جمال عبد الناصر يشغل منصبا يمكن أن يستقيل منه .. فهو لا يعمل رئيسا للجمهورية .. ولكنه يعمل .. جمال عبد الناصر .. وهو لا يستطيع أن يتنحى .. الا اذا تنحى عن شخصية جمال عبد الناصر ..

وهكذا لم يترك حديثه في نفسي من أثر سوى الاعجاب برجولته .. أما مسألة تنحيته فلم تترك في نفسي أي أثر بالحزن .. لاني كنت أشعر أنه أكبر من رئيس جمهورية وانه لا يمارس عمله في مصر يحكم انه يشغل منصبا رسميا بها .. بل يحكم بأبوته الروحية للمصريين وللعرب.. وانه لا يستمد قدرته ولا سلطانه من مراسيم ولا قوانين .. ولكنه يستمدها .. بحكم وجوده كصاحب كل ما نحن فيه من وجود جديد .. وبحكم مسئوليته عنه كصانع له .. بكل ما فيه . .ما له .. وما عليه فاستقالته من رئاسة الجمهورية .. مسألة متعذرة .. الا اذا تغير كل هذا الوجود المصري والعربي الذي نعيش فيه .. وما دمنا باقين .. كمجتمع هو المسئول الاول عن صنعه .. فبقاؤه معنا حتمي .. في السراء والضراء .

ورغم منطقي هذا .. وجدتني أحاط في الليلة

الظلماء .. بالدموع .. التي لا تجف .

ولم أجد أحدا في العالم العربي من حولي غير مقتنع بما أنا مقتنع به .. أو ربما أنهم وجدوا أن بقاءه مسألة لا تتحقق بمجرد التسليم بها كمنطق .. بل يجب فرضها كقدر محتوم .

وانطلقت الجموع .. بالصياح والدموع ..

نسوا كل شيء .. حتى مرارة الضربة الغادرة .

انطلقوا يعدون .. في مناحة كبرى .. حتى بلغوا بيته وأصبح الصباح والناس في الطرقات .. يؤكدون في اصرار وحزم وعناد .. انه .. هو أولا . وبعد ذلك تتحرك عجلة الحياة وجلسنا نكتم أنفاسنا .. ونرقب كلمته التالية وفوق ظهوره عبئان .. عبء ـ النكسة .. وعبء انتظار عودته .. يده معنا .. كلما عدونا في كل لحظة .

وأحس الرجل الكبير .. انه قد بات جزءا .. ليس من هذا البلد وحده .. بل من الوطن العربي الكبير .. وانه لم يعد يملك حريته .. وانه باق .. ما بقيت حياته .. ان لم يكن رئيسا للجمهورية .. فهو شيء أكبر من ذلك .

واستقر الرجل في موضعه الذي أصر الناس عليه واستقر الناس في مواقعهم التي سألهم القائد

أن يعودا اليها لمواصلة المعركة ..

والمعركة يا بني طويلة المدى .. متعددة الابعاد والاشكال ليست معركة أيام .. ولا معركة قنابل ورصاص .. بل معركة مصير كبير ..

معركة من أجل الامان الدائم والاستقرار الطويل ..

هي ليست معركة مع العصابات الصهيونية المسلحة .. فتلك هي رأس الحربة ..

ولكنها كما تبين بما لا يثير الشك ..

معركة مع أصل هذه العصابات .. مع الحرية ذاتها ..

معركة مع أصل هذه العصابات .. مع الحربة .. لا تستعمل أساليب الاستعمار الجديد التي اشتهرت بها فحسب ولكنها تستعمل الاساليب التقليدية التي تحتل بها جزءا من أراضي العرب بعصابات يهودية مسلحة .

وشكل المعركة .. من الآن يجب أن يكون واضحا .. انه نضال ضد الاستعمار المسلح .

وهو شكل .. عرفناه من قبل .. وحاربناه حتى انتصرنا عليه اجليناه من أرضنا .

وبات على العرب الذين قاوموا كل أنواع الاستعمار في بلادهم حتى طردوه .. أن يوطدوا

النفس على معركة موحدة ضد الاستعمار الامريكي في فلسطين .

وهي معركة طويلة المدى .. متعددة الاسلحة.

أولها وأهمها .. وحدة العرب في المعركـة .. وصبرهم عليها ..

ونحن يا بني هنا .. لن نضيع وقتا في لـم الشعث ولعق الجراح .. سنقف على أقدامنا أقوياء .. لنواصل المعركة الطويلة من جديد ..

الزمن معنا يا بني ..

وكل يوم يشتد فيه عودنا .. وتعلوا أسـوار بنياننا .. يزداد الخنـاق على قاعـدة الاستعمار الامريكية في فلسطين .. التي غرستها أوروبـا شوكة في جانبنا .

وقوتنا الذاتية العربية .. هي سندنا الاكبر ..

وسنسير باصرار على الطريق الطويل .. بكل ما غرسه العدو من حقد في نفوسنا .. ومـرارة في قلوبنا .. لنقتلعه يوما من طريقنا .. لنجعل الطريق مزهرا بلا شوك .. مثمرا بلا حنظل .. مضيئا بلا غيوم .. فان لم تبلغ اشراقة الفجر في عمرنـا .. فلعلك يا بني بالغها .. في عمرك .. بكل ما أورثناك من حقد عليه .. ومن حب لارضك العربية .. أرض الخير والسلام والمحبة .

مؤتمر الخرطوم

٦ سبتمبر سنة ١٩٦٧

* نجاح أي عمل يتوقف على مدى تحقيق الغرض منه .. وقبل أن نتساءل عن نجاح مؤتمر الخرطوم يجب أن نسأل أنفسنا ماذا كنا نريد أن نحققه من هذا المؤتمر .

أعتقد أن أول أغراض المؤتمر هو الكشف الكامل عن حقيقة الموقف العربي بكل تفاصيله ودخائله وأسبابه ونتائجه وأصوله واحتمالاته . والمصارحة بموقف كل بلد واستعداده وقدرته على المشاركة في تحمل أعباء الموقف .

بهذا الكشف والتوضيح ، والمصارحة والفهم لموقف الجميع بوضوح وصراحة . يمكن تحديد الخطوات العملية لخطة العمل في المستقبل .

ولقد تحقق هذا الغرض بما قدمه الرئيس جمال عبد الناصر من عرض للموقف بكل تفاصيله وشرحه للظروف المحيطة بالموقف قبل العدوان

والموقف خلال العدوان والنتائج المترتبة عليه وتعليق الملك حسين والرئيس عبد الرحمن عارف بالتأييد ، وقبول الملك فيصل لتقدير الموقف الذي قدمه الرئيس جمال كأساس لقرارات المؤتمر .

وكان الغرض الثاني للمؤتمر هو تأكيد وابراز التضامن العربي في مواجهة الموقف ووقوف البلاد العربية كلها صفا واحدا ازاء الخصم المشترك .. ولقد تحقق هذا بالوجود العربي أولا .. والاتفاق على توحيد الجهود والتصدي للاستعمار ومؤامراته والاتفاق على الوسائل التي يواجه بها العدوان وتصفى بها آثاره ، وأهمها دعم الاعداد العسكري وتصفية القواعد الاجنبية .

وكان العرض الثالث للمؤتمر هو أن يقدم كل بلد بطريقة عملية ما يستطيع تقديمه منمساعدات لزيادة قوة العرب في مواجهة العدوان بحيث يمكن ممارسة الحل السياسي من مواقع القوة .

ولقد استطاع العون المادي الذي قدمته البلاد القادرة للبلاد التي اهتزت قدرتها الاقتصادية ان يهيء لها فرصة الصمود وطول النفس بحيث تستطيع أن تقف في صلابة أمام جميع الضغوط وبحيث يكون الحل السياسي غير مفروض بل

مختارا من مواقع القوة وبحيث يمكن للعرب جميعا ممارسته على المبادىء الاساسية التي أقرها المؤتمر وهي عدم الاعتراف باسرائيل ورفض أي صلح أو مفاوضة ورفض أي مساس بحقوق شعب فلسطين .

تلك هي الاغراض التي كانت ترجى من المؤتمر وتلك هي النتائج التي حققها .

بقيت بعد ذلك .. نتائج يمكن أن ترجى .. من الآفاق الجديدة التي منهما للمؤتمر .

* ان مؤتمر القمة العربي الذي القى الضوء على الموقف الدقيق المعقد الذي تمر به الامة العربية وقد شد خطى العرب الى بداية طريق موحد جلي الهدف واضح المعالم .

ويمكن لكل مراقب للحوادث – من غير ما تفاؤل – أن يرى بوضوح أن انعقاد المؤتمر قد أكد ثلاث حقائق متعاقبة .

الحقيقة الأولى .. ان العمل العربي الموحد قد بات هو الوسيلة الاولى ان لم يكن الوحيدة من أجل التصدي للعدو من الاستعمار الصهيوني وازالة آثاره وتأكيد سيادة الشعب العربي على أراضيه .

الحقيقة الثانية .. هي أن تحقيق العمل العربي الموحد قد بات ممكنا بعد التصارح بالحقائق والفهم

المتبادل لجميع الامكانيات وحل كل الخلافات التي تضاءلت جوار الخطر الحقيقي الذي هدد ويهدد كل الوطن العربي .

والحقيقة الثالثة .. هو أن هذا العمل العربي الموحد الذي أمكن تحقيق بعض خطواته في هـذا المؤتمر يمكن أن يكون منطلقا نحو وحدة كاملـة كبرى تذيب الحدود الشكلية بين البـلاد العربية ، وتجعل من هذه المنطقة الخطيرة من العالم مكانـا لدولة كبرى هي الدولة العربية الكبرى التي تملك من الامكانيات المادية . والبشرية والتراثالحضاري ما يمكن أن يدفع بها في طريق التقدم والتطور بحيث تستطيع أن تواجه التحديات التي أذلتها عـلى مدى التاريخ .

ولعل اللطمة التي تلقاهـا الوطن العربـي في مجموعه والتي تلقاها كل عربي في شخصهوالعدوان الاخير .. قد جعلت هذه المجموعة الضخمـة التـي تبلغ ٩٠ مليـون فرد تقطن في أهم وأغنـى وأخطر بقاع العالم قد أدركت أن التحدي الموجه لنا في بقعة من أرضنا .. لم يوجه الى بلد بذاته بل وجـه الى العرب جميعا .. ولم يوجه من اسرائيل وحدها .. بل من قوى كبرى وراءها على رأسها أمريكـا ..

تمثل مجموعة تملك نوعا من السيادة والسيطرة على هذا العالم وتحس بالتفوق والاستعلاء والسيطرة على مجموعة اخرى من هذا العالم بينها العرب .

ومواجهة تحديات هذه القوة .. التي أطلق عليها قوى الاستعمار ، لا تواجه .. بوسائل فردية بدائية .. ولكنها تواجه بقوة كبرى تملك الامكانيات لمواجهة هذه القوى المستعلية المعتدية .

ولا ينبغي ذلك بداهة .. مقاومة هذه التحديات .. بكل ما نملك من وسائل مهما كانت بدائية وفردية .. لحسر موجة عدوانها .. وصدها .. ولكن هذه المقاومة .. التي تحمي بها وجودنا ومصيرنا يجب أن يصحبها عمل مستمر دائب .. من أجل تشييد القوة الكبرى التي تستطيع أن تقهر جميع هذه التحديات بمجرد وجودها ..

وتشييد هذه القوة الكبرى في هذه المنطقة الحيوية التي تمتد من الخليج الى المحيط .. رغم انه يبدو لنا دائما كالحلم .. ورغم انه قد لاقى الكثير من العراقيل والمواقع .. كان أكبرها ولا شك — هو ما وضعته هذه القوى الاستعمارية المضادة .. التي تعودت ممارسة السيادة علينا والسيطرة على مواردنا .. واذلالنا بالاستعلاء والغرور .. والتحكم

ان حلم تشييد هذه القـــوة الكبرى .. التي يمكن أن تكون في الدولة العربية الكبرى .. قد أخذ يلح في نفوسنا .. وبدت خيوطه البيضاء تداعى عيوننا .. كأنها خيوط النهار تتسلل بين ظلمات ليل أوشك ينجلي ..

وفي هذا الوقت بالذات .. الذي يطبق فيـــه العدوان على حدودنا العربية .. حاملا معه .. ريحا خانقة .. تكتم الانفس .. وتشيع اليأس والمذلة في النفوس .. ليس عجيبا أن تشم ريح أمل تهب وسط سموم الضيق واليأس .. لاننا نملك من امكانيـات الامل والنمو والقوة على باطننا ما نستطيع به أن ندرأ كل خطر يهددنا ..

اننا نملك أن نحقق بأملنا في الحياة .. وبأمل الاجيال القادمة فينا .. القوة العربية الكبرى التـي نستطيع أن نتصدى بها .. لاولئك الذين حـاولوا اذلالنا .. واستعبادنا واغتصاب حقوقنا .

من هذا التجمع العربي الذي حدث في الخرطوم .. في أحلك أوقاتنا .. يمكن أن نحقق انطلاقة كبرى في هذه المنطقة الخطيرة من العالم .. بمجرد أن نشد هه الاجزاء المتناثرة في الوطن العربي لنجعل منهـــا .. الدولة العربية الكبرى . التي يمكن أن تذل ..

على مدى الايام .. كل من أذل العرب .. واستعلى عليهم .. من اسرائيل .. الى أمريكا .

واذا كان المؤتمر قد قرر الدعم العسكري .. لمواجهة العدوان .. فلتكن هذه بداية للجيش العربي الواحد .. بحيث توضع فيه كل امكانيات العرب .. وبحيث يصبح الجيش العربي مدافعا عن كل الوطن العربي .. بارادة عربية واحدة .. وخطة عربية موحدة ..

ان حشد امكانيات العمل العربي .. لازالة آثار العدوان .. يجب أن يكون أبعد مدى .. وأكبر قدرة .. لكي يقيم البناء العربي الموحد .. الذي يمكن أن يفرض السيادة العربية .. ويوقف كل عدوان .. .. ويأخذ للعرب في فلسطين ، وفي كل مكان من الوطن العربي حقوقهم من غاصبيها .

هل هي أحلام كاتب .. أن يرى الاقتصاد العربي كله في خدمة العرب .. وأن يرى تكاملا اقتصاديا .. يجعل أموال العرب تشيد صناعاتهم وتزهر أرضهم .. وتمنحهم الرخاء والكفاية والعدالة ..

هل هي أحلام كاتب أن يرى الجامعات الكبرى في عواصم العرب .. تضم كل العرب في ثقافة

موحدة .. وتخلق من القدرات العربية ، والكفاءات العربية والمدارك العربية تقدما يجعلنا نعوض مئات السنين من التخلف عن ركب الحضارة .

هل هي أحلام كاتب .. أن يتحرك المواطنون العرب بحرية كاملة داخل وطنهم العربي .. مستغلين كل الطاقات العربية في الاستثمارات العربية .

هل هي أحلام كاتب أن يجد العربي في وطنه العربي كل امكانيات العمل والعلم والثقافة والسياحة .. بغير قيود ولا حدود .

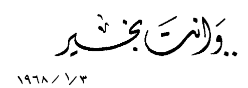
هل هي أحلام كاتب أن يبرز الوطن العربي عملاقا قويا غنيا قادرا .. في هذه المنطقة الخطيرة من العالم ..

ان اجتماع الخرطوم قد وضع خطى العرب على بداية الطريق والسير في الطريق يحتاج الى ثقة دائمة .. بقدرة العمل العربي الواحد .. على تحقيق المصير العربي المشرق .. يحتاج الى طول صبر وحسن فهم .. يحتاج الى وعي بكل ما يمكن أن يضعه طريقا من عقبات وما يمكن أن يبذله من أجل تفتيت وحدتنا .. والنفاد بين صفوفنا .

يجب أن نكون مخلصين في تنفيذ قرارات الخرطوم .. كخطوة اولى .. من خطوات طويلة ..

يجب أن نسير في طريق تشييد البناء العربي الواحد .. الذي يحقق الانتصار للعرب جميعا والذي يدفع عنهم كل عدوان .. والذي يقف قويا عملاقا بين دول العالم لتتكسر أمام أقدامه .. كل محاولة لاستعلاء .. أو غرور .. أو صلف .

انها أحلام كاتب .. قد بتنا في أشد الحاجة الى تحقيقها .. من أجل مصيرنا .. ومصير أبنائنا .. ومن أجل انهاء هذا الليل الحالك الذي يجثم على أنفاسنا .



١٩٦٨/١/٣

يا أخي في الوطن العربي ..
يا أخي في الضراء .. التي جثمت على صدورنا .. في عام غبر .

شد على يدي .. ففي قبضتنا الموثقة .. ما يرفع عنا المحنة .. وما يرد الضربة قاضية في قلب العـدو .

يا أخي في الوطن العربي .. لتكن لنا من فرقة عام النكسة عبرة نتزود بها كي نواجه الخصم عصبة واحدة تجعل من عامنا المقبل .. عام انتصار .. نرد فيه العدوان .. ونحق الحق .. ونقهر الباطل .

يا أخي في الوطن العربي .. كل عام وأنت قوي على المحنة .. راد للمعتدين .. قادر على فرض الحق ونشر العدل واقرار السلام ..

يا أخي في الوطن العربي ..
كل عام وأنت بخير .. فلن تستطيع قوى الشر

أن تفقدك صبرك وقوتك وايمانك .

يا أخي في الملمات وأخي في المحن .. جعل الله أيامك المقبلة خيرا عليك وعلى كل عربي فأنت أقوى بحقك على كل باطل وأغلب بايمانك ووحدتك لكل بغي وشر .

لم تعد مجرد قائد في معركة

١٩٦٨/١/١٧

أخي الرئيس جمال عبد الناصر ،

على حافة الخمسين عاما تقف لتقود أمتك في أحرج ساعات تاريخها الطويل بعد أعوام قضيتها في الكفاح من أجل تحطيم قيود الاستعمار والاستغلال والانطلاق في سبيل بناء مجتمع الكفاية والعدل .. وتحقيق الحرية والرخاء والمساواة لنا ولاجيالنا القادمة .

لقد قدت أمتك بشجاعة في معارك عديدة ضد القوى المضادة للتحرر والتقدم وحققت من الانتصارات ما لا يمكن أن تطفيء شعلته ظلمة نكسة طارئة من نكسات التاريخ التي تتعرض لها كل الامم وأولها هذا البناء الشامخ الذي يجيء عيده الثامن مع عيدك الخمسيني والذي تقدم به لامتك أكثر الاعمال ايجابية في سبيل بناء حياة جديدة تدفع بنا من وهدة الحاجة والتخلف الى آفاق الاكتفاء

والرخاء لنتخذ موضعنا بين الامم في ركب الحضارة الانسانية .

ولقد كنت دائما جزءا لا يتجـــزأ من الشعب المصري بمشاعره وأحاسيسه وآمـــاله وأمانيـه ونضاله من أجل التحرر وكفاحه في طريق البناء ..

كنت جزءا منه في السراء والضراء .

ولم يحدث في حياة الشعوب على مدى التاريخ أن وقف شعب متمسكا بقائده عقب هزيمة كمـا الشعب المصري متمسكا بك مصرا عليك عقب نكسة يونيو . لانه يعرف انك لم تعد مجرد قائد في معركة يمكن أن يكرم بالانتصار أو ينحى للهزيمة وانما أنت جزء منه في انتصاراته وهزيمته وفي كل مـا يحل به وأن قوى العدوان الصهيوني الاستعمـاري التي تربصت بنا لتفرض ارادتها علينا ولتردنا الى التخلف والتبعية ستجدنا أشد مقاومة بك واننـا سنكون معك أقدر على رد العدوان وازالة اثاره وعلى أن نواصل الكفاح ضد القوى التي تحاول أن تعوق تقدمنا نحو مستقبل مشرق مليء بالرخاء والعدل والكرامة والامان .

ان ثقة الشعب التي منحها لك الشعب في أشد

الساعات حلكة هي سندك في الحق .

ومن كل تجارب الماضي ، التي خضنا فيها المعارك العديدة .. من كل تجارب النصر والهزيمة .. من كل تجارب السنين التي قدت فيها هذا الشعب الذي منحته زهرة عمرك وجهدك وعرقك .. والذي منحك ثقته الكاملة بك وايمانه المطلق بقيادتك ..

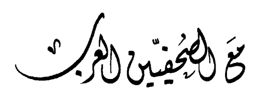
من كل تجارب السنين التي قدت فيها هذا الشعب بحلاوتها ومرارتها سنتعلم كيف نكون أقدر علي تجنب الخطأ وادراك الحق واتباع الصواب .. حتى نعبر ظلمة النكسة الى نور الانتصار . وحتى يواصل هذا الشعب العظيم مسيرته نحو مستقبل يحقق لكل المواطنين الامن من كل عدوان على الحرية والكرامة .. والوقاية من شر الحاجة والخوف والظلم .

سنجعل من تجارب ماضينا عظة لحاضرنا تقودنا الى مستقبلنا المشرق .

وفقك الله وسدد خطاك وزاد بصيرتك نورا وقلبك ايمانا ونفسك عدلا ورحمة ، وعزيمتك صلابة وحسما وقواك الله بالحق والشجاعة على انجاز ما حملت من عبء ومسئولية .. وأكرمك بنعمة الهداية وبصرك بكل مواطن الخطأ وأسباب

الزلل وأرشدك الى الصلاح والصواب .. قواك الله بشعب يثق فيك .. وقواه بقائد يؤمن به .. ويخلص له .

وكل عام وأنت ـ والامة العربية كلها بخير .. كل الخير .. فلن يكون أحدنا بخير .. اذا لم تكـــن الامة كلها بخير .



٢١ / ٢ / ١٩٦٨

حضرنا لقاء الرئيس عبد الناصر بالصحفيين العرب ..

واستمعنا الى الرئيس وهو يؤكد للصحفيين دورهم في مواجهة الحرب النفسية التي تحاول أن تشكك العرب في أنفسهم وفي مبادئهم وفي امكانية انتصارهم ..

ولقد كان حديث الرئيس عبد الناصر نفسه هو خير مواجهة لهذه الحرب النفسية عندما أوضح محاولات الاستعمار في تعطيل وحدة الامة العربية وعندما بدد الوهم الذي تحاول الحرب النفسية ترويجه بأن معركة ٥ يونيو كانت هزيمة مائة مليون عربي أمام ٢ مليون امرائيلي ، لأن العرب ووجهوا فرادى دون أن تجمع كل امكانياتهم وتحشد كل طاقاتهم ، والذي واجههم كانت قوى أكبر من امرائيل تساندها وتقف وراءها ..

وواجه عبد الناصر في شجاعة وصراحة مسئوليتنا عن حرب ٥ يونيو وأكد أننا قمنا بالواجب الذي تحتمه علينا مبادئنا واننا لم نكن نستطيع أن نقف جامدين واسرائيل تهدد بالزحف على سوريا وتستعد له .. واذا كنا هزمنا في القتال فالهزيمة ليست عيبا وانما العيب هو خذلان المبادىء والتقاعس عن واجبنا كجزء من الامة العربية .

وأكد الرئيس عبد الناصر ، اننا لسنا أول من هزم فعلى مدى التاريخ شعوب خسرت معارك. ولكن النصر كان دائما حليف أولئك الذين لا يستسلمون ولا تهزم ارادتهم .. ولقد واجهنا نحن الهزيمة بالصمود وبالتصميم على مواصلة النضال .

والصمود يحتاج الى الاستفادة من دروس الهزيمة والى مراجعة أسبابها في كل مجال سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو عسكريا ..

وفي المراجعة يجب أن نفرق بين مبادىء وأهداف النضال وبين أسباب القصور والانحراف فنحن لا نراجع في مبادئنا ولا أهدافنا فهي شيء يجب ألا يتطرق اليه الشك أو المراجعة وانما نراجع في اسلوب التطبيق . في الاخطاء وفي القصور . لقد قال الرئيس «ان المبادىء ثابتة والاهداف باقية ولكن

الخطأ موجود حيث يكون العمل والانحراف جائز حيث يكون البشر » ..

وضرب الرئيس مثلا للمراجعة بمحاكمات المتآمرين على الحكم مؤكدا بأن علنيتها قصد بها معنى سياسي يؤكد إن الثورة قادرة على تنقية نفسها من كل الشوائب وعلى تقويم الانحرافات وتصحيح الاخطاء . وأوضح الرئيس ان محكمة الثورة محكمة سياسية لمحاكمة مجموعة يعتقدون أنهم الورثة الطبيعيون للحكم باعتبار ان الثورة قام بها الجيش ونسوا أن الثورة قام بها الجيش من أجل الشعب وأن على الجيش ان يقوم بدوره الطبيعي في حماية مكاسب الشعب وأرض الوطن وأكد ان القوات المسلحة قد أصبحت اليوم تقف في موقفها الصحيح للدفاع عن الوطن ومبادئه ..

وتحدث الرئيس عن المستقبل ...

وأحسست من حديثه عن المستقبل عتابا على الصحفيين .

لقد قال الرئيس : « كنا في الماضي نتكلم عن المستقبل على أساس الاماني والاحلام . كنتم بتزقونا ومستعجلين . واليوم لا نستطيع أن نغمض أعيننا ونتكلم عن الاماني والاحلام . »

ولا جدال أننا سقنا الرأي العام .. الى مراتع واسعة من الاماني والاحلام ، ودفعناه وأخذنا نعدو وراءه وعندما حل وقت التطبيق وجدنا أننا نعدو واياه في فراغ مظلم وتلفتنا حولنا لنجـد ما يجسد أحلامنا وما يحقق آمالنا فاذا بنا لا نملك سـوى الكلمات الضخمة والاماني المعسولة .. ووجدنـا قدرات الامة العربية مبعثرة .. متفرقة عاجزة عن مواجهة العدو وحدة واحدة .

واليوم أصبح علينا أن نعرف ــ ويعرف الناس من حولنا ــ أن المستقبل كمـا قال الرئيس عبد الناصر هو عمل وتخطيط وتصحيح وتقويم ..

المستقبل يحتاج الى تجميع موارد الامة العربية وحشد قواها ، وتنسيق خططها .. يحتاج الى الصبر والصمود والعمل الجاد لـكي نجعل واجهة المائة مليون تعبر حقيقة عن قوة المائة مليون ..

لقد قال الرئيس :

« من أجل المستقبل يجب أن نعمل ويجب أن نخطط ويجب ان نجمع الامة العربية ونجمع قدراتها تجميع حقيقي . »

والسؤال الآن .. ما فعلنـا من أجل هذا وماذا يستطيع الصحفيون أن يفعلوا ..

لقد قال الرئيس : « كل واحد فيكم لما بيكتب العمود اللي بيكتبه لازم يفكر مين اللي حينفذ ويحط نفسه في موضع اللي حاينفذ .. حاينفذ ازاي وبأي وسيلة .. خصوصا في القضايا الوطنية والقضايا المصيرية » ..

ونحن نؤكد للرئيس ان هذا هو ما يجب أن يكون عليه اسلوب العمل الصحفي ونحن نواجه مشكلة المصير العربي ..

ونحن نؤكد أيضا اننا مع الرئيس عبد الناصر في أن المصير العربي يتوقف أولا وآخرا على التجمع الحقيقي لقدرات الامة العربية ..

وهناك اتفاقية وحدة اقتصادية ، يعوق تنفيذها الحاجة الى تنسيق الموارد .. ومن أجل هذا نقترح اجتماعا عاجلا على مستوى وزراء الزراعة والصناعة العرب لوضع تخطيط للتنسيق الزراعي والصناعي في الامة العربية كلها ..

واجتماعا آخر لدراسة كيفية ازالة العوائق التي يمكن ان يضعها اختلاف الفلسفات والنظم الاقتصادية في سبيل تحقيق الوحدة الاقتصادية .

ولعل مثل هذه التجمعات تقودنا الى عمل مشترك عاجل من أجل تحقيق التكامل الاقتصادي المنشود .

مع العمال

٦ / ٣ / ١٩٦٨

التقى الرئيس جمال عبد الناصر بجماهير العمال في حلوان ليلقي ضوءا على ملابسات الموقف بالنسبة للمظاهرات التي حدثت أخيرا ، ولقد أوضح اللقاء أولا وقبل كل شيء حقيقة مشاعر الجماهير للثورة وقائدها ، وأكد أن الانفعالات التي حدثت تعبيرا عن الرغبة في التنقية والتقويم استغلتها عناصر مضادة للثورة في تزييف نداءات يمكن أن تحولها الى مظهر معاد .. وتقودها الى عملية تدمير وتخريب ..

ولقد استعرض الرئيس جمال بوضوح أحداث المظاهرات ، وما حدث من سوء تفاهم ساعد على اطلاق الاشاعات المثيرة وعلى محاولة تحويل مجرى المظاهرات ..

وألقى الرئيس جمال نظرة عميقة مستوعبة لكل ما حدث وقال ان الثورة قد تخطىء وانها لم تبلغ حد الكمال وتساءل لمصلحة من تطلق

الشعارات التي تنادي بحل الاتحاد الاشتراكي .. ولماذا لا تكون المطالبة باصلاحه . اننا لا نستطيع أن نقف في فراغ ..

والميثاق قد نص على اتحاد اشتراكي يجمع تحالف قوى الشعب العاملة .. العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، والاتحاد الاشتراكي يسعى لتحقيق الديمقراطية الكاملة .

واذابة الفوارق بين الطبقات ..

وألا تنفرد طبقة بالحكم ..

وألا تكون هناك ديكتاتورية الطبقات ..

ان الثورة الاشتراكية تنادي بديمقراطية اشتراكية ..

وان مفهوم الحرية للعامل (العمل والترقي وعمل لاولاده وحماية من الفصل وتأمينات اجتماعية) ..

ومفهوم الحرية للطالب (المدرسة والعلم وتكافؤ الفرص) .

ومفهوم الحرية للفلاح (لا اقطاع ولا استغلال وتكافؤ في الفرص) .

وأكد الرئيس ان اذابة الفوارق التي يعمل على تحقيقها الاتحاد الاشتراكي تحمل مفهوم الحرية ..

وان هناك شعارات للحرية كانت تطلق قبل الثورة لمجرد التضليل وانها لم تطبق أبدا ..

وقال الرئيس ان الغاء الاتحاد الاشتراكي يعني ان يقوم حزب واحد (اما رجعي .. أو يمثل طبقة من الطبقات ونحن لا نريد ديكتاتورية الطبقة العاملة .. أو حزب كأحزاب ما قبل الثورة يمثل تحالف الرجعية والاقطاع) . أو تعدد الاحزاب ، وهذا لا يمكن ان نفكر فيه الا بعد ان ننتهي من التحول الاشتراكي .

وتحدث الرئيس عن شعار حل مجلس الامة وأكد ان وراءه إلغاء نسبة الـ ٥٠ ٪ عمال وفلاحين التي عملت لكيلا تستطيع قوى الثورة المضادة عن طريق مجلس الامة ان تنهي الثورة الاشتراكية بالتشريع ..

وأكد الرئيس ان الثورة لا بد أن تتصدى لاعداء الثورة سواء تلك التي تمثل الرجعية او أقصى اليمين أو أقصى اليسار .

ان الثورة لم تكن دموية عازلة .. بل ازالت فوارق الطبقات بالطرق السلمية ولقد قابلت في مرحلة التحول الاشتراكي مشاكل كثيرة ، ولكنها لم تحاول أن تستعمل العنف ، واذا كان اعداؤها

يعتبروا النكسة أرضا خصبة للعمل المضاد فيجب أن تستمر الثورة على فلسفتها وهي تجنب الصدام الدموي . بالديمقراطية السياسية والاجتماعية والاشتراكية ..

واذا كان التغيير حيويا فانه يجب ان يأخذ وقته ودراسته وتخطيطه ، فان الانفعالات معوقة والعمل العفوي غير مجدي ..

اننا نريد بالتغيير أن نتأكد أن مراكز القوة قد انتهت وان الجيش يقوم بواجبه الحقيقي نحو وطنه ونحو الشعب .

واذا كان غرض عدونا تمزيق التلاحم بين الجيش والشعب ..

وأن يضع في نفوسنا أسباب اليأس . ويخلخل الجبهة الداخلية حتى لا تشعر الجبهة أن ظهرها محمي ، فاننا يجب ألا نمنحه هذه الفرصة وأن نحقق الصمود بكل ما نملك من جهد ..

وأكد الرئيس ان التغيير يجب أن يحدث على أرض صلبة وواسعة ، لقد كان كل شيء يهتز من حولنا بعد النكسة ووقف الشعب صامدا لا يفرط في ارادته مصرا على الاستمرار في المقاومة .

ان ارادة الصمود ليست عاطفة وشعورا بل

امكانية صمود . ولقد إستطعنا بالصمود أن نحقق ما يلي :

١ ــ اعادة بناء القوات المسلحـــة بما يشبه المعجزات ..

٢ ــ توفير امكانية الصمـــود الاقتصادي .. ومواجهة فترة حرجة تبدأ من شهر ديسمبر الماضي واستطعنا ان نوصل كهربة السد الى القاهـــرة والاسكندرية ..

كما حشدنا موارد الانتاج لمعركة شاقة وطويلة لا نقبل بعدها ما هو أقل من نصر شريف عادل ..

واستطعنا توفير كل احتياجاتنا من الخارج .

كما حققنا بناء احتياطي نقدي نستند عليه .

واستطعنا تأمين مستقبلنا وصمودنا ..

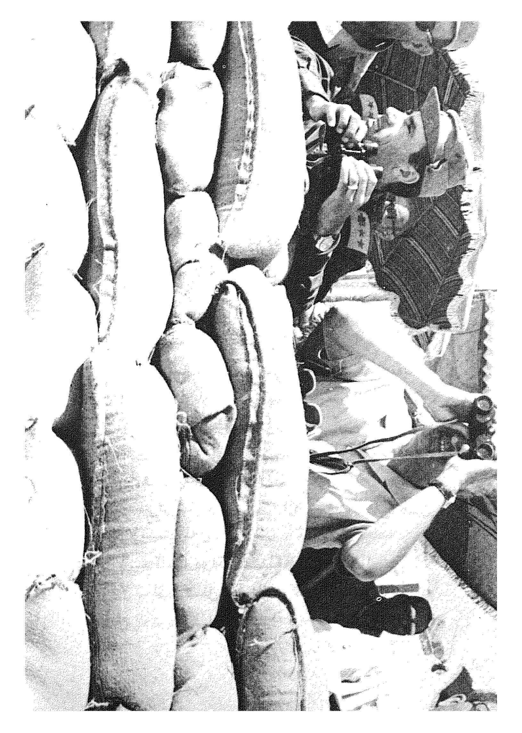
٣ ــ تنظيم الجبهة الداخلية ..

٤ ــ عاوننا في تدعيم جبهة المقاومة العربيـــة الشعبية والرسمية ..

٥ ــ تركنا اليمن وهو قادر على الدفاع عـــن أمانيه ومستقبله ..

٦ ــ قامت دولة مستقلة في الجنوب اليمني .

٧ ــ لم ننشغل عن المؤامرات التي تحاك ضـــد الخليج ..



٨ ـ قمنا بتشجيع قوى المقاومة في اسرائيل .

لقد خضنا معارك مزدوجة ..

معركة ازالة آثار العدوان ..

معركة العمل الداخلي ..

الى جانب معارك جانبية ضد مراكز القوى القديمة التي تشكلها طبقة من العسكريين السياسيين تجاوزت الثورة قدرتهم ومصالحهم واستعدادهم للتطور .

هذه الطبقة حاولت ان ترث الحكم واعتبرت ان الثورة هي الحكم والحكم مظاهر ومغانم وأدركت بعد النكسة انها تواجه حياة أو موتا .

وانها فقدت كل شيء . وفكرت في الاستيلاء على السلطة العليا للقيادة المسلحة .

وخضنا معركة جانبية مرهقة ضد القيادة العامة السالفة والمخابرات بأجهزتها القديمة ..

كان التحرك لضرب المؤامرة واعادة جهاز المخابرات الى عمله الطبيعي ضد اعداء الوطن وليس للسيطرة على الوطن واعتقال الافراد .

وتحدث الرئيس عن المحاكمات قائلا : انه كان من الممكن ان تكون سرية ..

ولكن كان المطلوب هو كشف مراكز القوى

السابقة . حتى لا يسمح بها مجتمعنا بعد ذلـــك وليتأكد أصحاب السلطة دائما ان حماية السلطة لا بد زائلة في يوم ما ..

وأن نؤكد أن الثورة قادرة على ان تطهر نفسها من كل انحراف ..

واننا عازمون على صيانة النقاء الثوري ..

كما أردنا أن تكون المحاكمات عملية نقد ذاتي للثورة ، وان يعلن ما بها رغم كل ما تثيره من حزن ومرارة ..

وأكد الرئيس ان التغيير بعد ذلك يحتاج الى وقت وجهد وبرنامج مخطط وأرض صلبة وانه لا بد من مجتمع مفتوح . ومن جمع شمل الــدولة بلا مراكــز قوى وان يكون التغيـــير في نطاق الثــورة الاشتراكية ، ويكون اوسع وأشمل ومحققا لاهداف ٩ و ١٠ يونية .

وبعد أن ألقى الرئيس هذه النظرة الشاملة على الموقف الداخلي .. واجه في ثقـــة بالشعب وايمان بقواته المسلحة التحدي الذي تواجهنا به اسرائيل في غرور وصلف ..

قائلا ان التصرف الاسرائيلي ازاء الاراضـي العربية المحتلة في الضفة الغربيـــة والمرتفعـات

السورية وصحراء سيناء لا يغير شيئا في الموقف بالنسبة لنا . لان هذه الارض تحت الاحتلال العسكري للعدو يجب تطهيرها مهما كانت الاوصاف القانونية للاحتلال .

● ان مهمتنا الاولى ليست أن ندخل في نزاع قانوني حول العدوان .

وانما هي مهمة تحرير وتطهير ..

وهذا ما نعاهد الله عليه ..

وأننا نقسم أننا سوف نخلص هذه الارض شبرا . شبرا ..

مهما كانت التكاليف ومهما كانت التضحيات إننا سنكون جبهة واحدة متراصة الجيش والشعب من أجل النضال والحرية والتحرير .

ان اسرائيل سوف تعرف ان هذا القرار سوف يكلفها الكثير ..

انها سوف تخطىء خطأ مروعا اذا هي تصورت ان الجبهة العربية القومية جبهة واهية .

أو تصورت ان الجبهات الداخلية لشعوب الامم العربية التي تعرضت للعدوان يمكن ان تهدأ أو تلين صلابتها ..

أو تصورت أن الامة العربية يخيفها الارهاب .

ان الارض تحت أقدامنا أصلب كما أن الافق أرحب وفي استطاعتنا ان نخطو بثورتنا خطوة عظيمة الى الامام تدعيما لانتصارنا الحتمي .

ومن هذا الخطاب الصريح الشجاع الذي ألقاه الرئيس في لقائه بعمال حلوان ..

وفي دوامة الاحداث التي نعيشها يتحتم علينا أن نضع أيدينا على الحقائق التي أثبتت هذه الاحداث وألا ندع حركة الدوامة تبعدنا عن السبيل القويم الذي يجب أن نسلكه حتى نخرج بوطننا سليما من هذه الاحداث التي تتقاذفه والتي يمكن أن تصيبه منها خبط عشواء تدمي جرحه .. الذي نحاول تضميده وتضاعف نكسته التي نحاول البرء منها والتغلب عليها . بحيث نجعل منها ضربة قاضية تهدم كل ما بنيناه وتبدد كل ما ربحناه وتضيع كل ما حققناه .

الحقيقة الاولى :

ان الثورة حققت للبلد مكاسب أضخم من أن تضيعها أحداث النكسة وما أعقبها من كشف الانحرافات وهي التحول الاشتراكي وبناء السد بما سنحققه من نتائج في الكهرباء والصناعة والزراعة .

الحقيقة الثانية :

اننا أصبنا بهزيمة عسكرية دمرت معظم قواتنا العسكرية وتسببت في احتلال جزء من أرضنا .

الحقيقة الثالثة :

ان الهزيمة كشفت عن أخطاء في اسلوب الحكم .. منها سيطرة دولة المخابرات ووجود مراكز للقوى في الحكم تتحكم في السلطة وهي في حماية من حساب مجلس الامة ونقد الصحافة .

الحقيقة الرابعة :

استطاعت القيادة بعد شهور من النكسة أن تعيد بناء القوات العسكرية بحيث أصبحت أقوى مما كانت وأصبحت مهمتها الحقيقية الدفاع عن الوطن . كما استطاعت أن تنهي دولة المخابرات وتزيل مراكز القوى وهي في سبيلها الى اجراء تنقية الثورة من الشوائب والانحرافات التي شابتها .

الحقيقة الخامسة :

ان الربط بين الشعب والقيادة الذي يجعل كلا منهما كتلة واحدة تتحرك باحساس واحد وتفكير واحد والذي كان مفروضا أن يتحقق بتنظيمات الاتحاد الاشتراكي لم يحدث كاملا في بعض المجالات بحيث أصبحت بعض هذه التنظيمات بدل أن تكون

أعصابا حساسة متحركة في جسد حي . تكون كتــلا منعزلة ــ قد تكون حساسة ومتحركــة ــ ولكن في نطاق نفسها بحيث باتت تعبر عن نفسها أو عمــا تراه مريحا أكثر مما تعبر عن المشاعر التي تحس بها نفوس الجماهير . وباتت قدرتها على ممارســة القيادة . محصورة في مجال محدود .

الحقيقة السادسة

انه نتج عن الحقيقتين الثانية والثالثة وهــي الهزيمة العسكرية وكشف مساوىء بعض السلطات التي تسلطت على الحكم في احدى المراحل وحاولت أن تستأثر به وتحتكــره ان امتــــلأت نفوس الناس بالقلق والشك . وكان لوجود الحقيقة الخامسةوهي عجز بعض تنظيمات الاتحـــاد الاشتراكي في بعض المجالات من الوجود الفعلي ــ المعبر تعبيرا صادقـــا والقائد قيادة فعلية ــ أثر واضح في تراكم الشكوك وتزايد القلق .. والاحساس بالحـــيرة والتساؤل يصاحب هذه التساؤلات شعور بالحظر على خروجها ودورانها في دائرة مغلقة لا تصل الى القيادة .

الحقيقة السابعة :

حدث سلسلة من سوء التفاهم عقب صدور أحكام الطيران وانفعال الجماهير نتيجة احساسهـــا

بأنها لم تكن بالقدر الذي يتوازى مع جسامة المصيبة التي أصبنا بها ومحاولتها التعبير عن مشاعرهـــا واستغلال بعض العناصر المضادة للثورة هذه العملية باطلاق الشائعات الكاذبة عن ضحايا الصدام بـين البوليس والجماهير في حلـوان ومحاولتها امتطـــاء صهوة مظاهرات الطلبة وتغيير شعاراتها وتوجيههـا اتجاها مدمرا واصرار القيادة على ألا تضع الثـورة وهي تمارس الحكم ضد الجماهـير في الشارع وأن تتجنب حدوث الصدام التي حاولت العناصر المضادة للثورة اشعال شرارته وتصعيده لوضع هوة بـين الثورة والجماهير وتحويل وضع الثورة من قيـادة الشعب الى التسلط عليه .

الحقيقة الثامنة :

وهي الاخيرة والخطيرة أن العدو يجثم على قنالنا ويحتل جزءا من الارض العربية وانه قد أعلـن في صلافة وعناد عدم اعتبارها أراضي للعدو ونحـن نواجهه عسكريا بمزيد من الاستعداد بمواصلـــة البناء العسكري والتدريب واننا في أشد الحاجـة لتقوية الجبهات الداخلية لنسند جبهـــات القتـال وتدعيم الجبهة العربية لنحقق العمل العربي الموحد .

ومن الحقيقة الاخـيرة ــ مستندة الى بقيـــة

الحقائق ـ يجب أن ينبع عملنا في مواجهة الخطر الذي يدهم امتنا العربية قائما على ثلاث دعائم :

١ ـ استمرار بناء القوات المسلحة وتدريبها حتى تصبح قادرة على تحرير أرضنا واستعادة حقوقنا .

٢ ـ تقوية الجبهات الداخلية .

٣ ـ تدعيم العمل العربي المشترك من أجل مواجهة العدو جبهة واحدة ومن أجل بناء أمةعربية قائمة على وحدة اقتصادية وعسكرية وثقافية .

أما بناء القوات العسكرية فيسير كما أكد الرئيس بطريقة تبعث على الثقة .

أما تدعيم الجبهة الداخلية فهو أمر واجب لسلامة القوات العسكرية معنويا وماديا ولاستمرار القدرة على الصمود والعمل حتى يمكننا تدعيم ارادتنا في المقاومة والاقتصاد واستمرار البناء من أجل حياة أفضل .

وما وقع من أحداث يجب أنيكون ظاهرة مفيدة لتدعيم الجبهة الداخلية .

وما ينادي به أبناؤنا الطلاب لا يمكن أنيختلف عما تسعى الثورة لتحقيقه . فهم أبناء الثورة ودعامتها .

والقرارات التي اتخذها الطلبة عقب اغـــلاق الجامعة والتي سألني بعضهم أن أرفعها للقيادة وأن أعلنها للجماهير لا يمكن أن تكون الا تدعيما للثورة وهي كما تقدم بها الطلاب .

١ ــ ايماننا المطلق واللامحدود بأهداف ثـــورة ٢٣ يوليو وبقائدها المناضل جمال عبد النـــاصر والاستعداد التام وتعبئة كل الامكانيات لاحـــراز النصر الحاسم .

٢ ــ المطالبة بتجديد الثـــورة والاستمرار في تطهيرها من كل الشوائب التي لحقت بها .

٣ ــ الافراج عن الطلاب والعمال المعتقلـــين بسبب الاحداث الاخيرة فورا .

٤ ــ محاكمة المسئولين عن النكسة بعدل الثورة لا بالقانون .

٥ ــ المطالبة بتوضيح التصرفـات الاخـــيرة وانتهاك حرمة الجامعة والتحقيق فيها والقضاء على العناصر المندسة في المظاهرات بقصد تشويهها .

٦ ــ اعادة بناء التنظيم السياسي بحيث يصبح تنظيما ثوريا وفعالا ليقود بحق مرحلة التحـــول الاشتراكي .

٧ ــ اطلاق الحريات داخل الجامعـــة بحيث لا

يكون الشباب الجامعي مهددا بأي أسلوب من أساليب الرقابة أو القهر من أجهزة الامن المختلفة بما يتفق والخط القومي الاشتراكي .

٨ ـ كفالة مسايرة وسائل الاعلام للتحول الاشتراكي بصدق وأمانة وأن تكون أداة فعالة للتعبير عن رأي القاعدة الجماهيرية وآمالها .

ولقد أجاب الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه في حلوان بما يؤكد التجاوب مع كل هذه المطالب والعمل على تحقيقها .

واذا كان لي أن أعلق على هذه المطالب فانـي أعتقد أن المطلب الرابع وهو محاكمة المسئولين عن النكسة بعدل الثورة لا بالقانون يستحق المراجعة .. لان عدل الثورة يجب أن يكون بالقانون . والا يكون هناك عدل للثورة غير عدل القانون . وأعتقد أن الطلبة يناقضون أنفسهم اذا طلبوا لانفسهم الحريات والا يكونوا مهددين بأي أسلوب من أساليب الرقابة والقهر من أجهزة الامن وتلك حقوق بلا جدال يضمنها القانون . وفي الوقت نفسه يحاولون أن يحرموا غيرهم ـ أيا كان ذنبه ـ من حماية القانون . موكلين محاكمته الى عدل الثورة . وكأن عدل الثورة .. يجب أن يكون بلا قانون .. أو

كأن القانون وهو الذي يعـامل على أساسه جميع المواطنين لا يستطيع أن يحقق العدل .. أو كأن عدل الثورة شيء .. وعدل القانون .. قانون جميـع المواطنين .. قانون الامة كلها .. شيء اخر .

بقي شيء هام يجب أن تحرص عليه الثورة من أجل تدعيم الجبهة الداخلية هو كيف نحقق أمـن الثورة من العناصر المضادة دون أن نفرض أساليب رقابة أو قهر .. تجعل المواطنين يشعرون بقيد على حريتهم في التعبير .. بغير مبرر .

لقد قال الرئيس جمال أن مكاتب الاتحـاد الاشتراكي تحولت الى اجتماعات للنقد .

وهذا بلا جدال شيء مفيد .. فان النقد يجب أن يطلق .. ليؤخذ بالصحيح منه ويرد على الخاطيء منه .. ونحن لا نخشى من أولئك الذين يشتموننا في وجوهنا .. لان الذي يشتم علنا .. لا يتآمر .. والذي يتآمر .. لا يشتم علنا .

ثم .. أليس الذين كان عملهم حماية الثـورة من المؤامرات .. واعتقال الناس وتعذيبهم .. هـم أخطر من تآمر عليها ..

وهل كان يمكن أن يبلغ ما يتهم الناس بقوله

بواسطة هذه الاجهزة أشد مما يقال الآن بواسطتهم في المحاكمات .

وشتيمة الناس لنا .. لا تخيف .. فهي كما قلت اما أن تجعلنا نصلح من أمرنا .. أو تجعلنا نصلح من سوء ظنهم بنا .

المهم أن يكونوا دائما .. منا .. وليسوا علينا

وأن يشعروا أنهم أصحاب حق .. في الثورة وفي الحكم .. وليسوا غرباء .

وتلك هي وظيفة الاتحاد الاشتراكي .. التي استطاع أن يحققها في بعض المجالات ولم يستطع في البعض الاخر .

أن يكون للناس .. وليس عليهم .

أو أن يكون هو الناس .. وليس كتلا تتحرك في دائرة منعزلة عنهم .

اننا يجب أن نستفيد من الاحداث التي وقعت أخيرا لقد قال الرئيس جمال ان الناس منفعلون وهذا حقيقي . فمن الطبيعي أن ينفعل الناس بعد كل ما وقع من أحداث في النكسة .. وفي المؤامرة والمحاكمات ..

ولكن من غير الطبيعي أن يكونوا منعزلين .. وألا يمنحوا الفرصة في المعرفة .. والتعبير ..

وأخيرا .. أن أمامنا من التحديات ما يحتم علينا التماسك .. والشعب يؤمن بثورته .. والثورة كما أكد الرئيس .. تؤمن بأنها أحرص على قيادة الشعب منها على حكمه .

ومن أجل هذا . نشعر رغم كل شيء .. أن الارض ـ كما قال الرئيس ـ أصلب .. والافق أرحب .

واننا بالجبهة الداخلية المتماسكة .. وبالعمل العربي المشترك سنحقق الانتصار على كل ما يواجهنا من تحديات ..



كلمات من أجل التغيير

(١٣/٣/١٩٦٨)

التغيير من أجل تحقيق القـــدرة على الصمود والنضال والانتصار قد بان الرغبة الملحة لجماهير الشعب ..

هتف العمال في لتائهم مع الرئيس في حلوان .. غير .. غير يا جمال ..

وكانت أحداث الجامعة ــ كما قــال الرئيس جمال ــ اذا ما وضعت في اطارها السليم « ظاهرة من ظواهر الاهتمام الشعبي الواســـع بالاحداث المصرية التي نعيش وسطها والتي يجب أن تؤخـذ كعلامة من علامات التصميم الشعبي على فتح الطريق أمام النضال الوطني لكي يصل الى غايته » ورغبــة التغيير اذا حللنا دوافعها وجدناها تنبع ــ بالنسبة لنا ــ من سببين أولهمــا سبب طبيعي قــائم هو أحاسيس الانسان الطبيعية بالرغبة في التغيير .. مما جعل مظهر الحياة نفسها يتغير من حوله سواء

بتتابع الليل والنهار أو بتتابع الفصول بكل ما يتبعها من تغير مظاهر الحياة من حولنا . أو بتتابع الاجيال بالموت والولادة بحيث نكون نحن أنفسنا أحد مظاهر التغيير في الحياة .

ونحن نمارس التغيير بارادتنا بكل ما تتيحه لنا امكانياتنا من قدرة على التغيير .. سواء فيمحيطنا الفردي أو محيط مجتمعنا .. بحيث نضع أنفسنا أو مجتمعنا بالتغيير في مكان أفضل .

والسبب الثاني الملح في رغبة التغيير .. هو ما أصابنا من هزيمة نتجت بالطبيعة عن علة اصيب بها جسدنا نتيجة أسلوب خاطيء للحياة فتحتم التغيير من أجل القضاء على العلة لكي نحشد قوانا ونستعيد قدرتنا على الحركة من أجل استرجاع حقنا الضائع ومواصلة السير في سبيل تحقيق حياة أفضل .

فرغبة التغيير بالنسبة لنا اذن هي رغبة طبيعية وضرورية .

ولكن السؤال الذي ينبت بعد ذلك .. هو كيف .. وأين .. ومتى ؟

كيف نجري التغيير .. وأين نجريه .. وأي الاوقات أنسب له ؟

ونحن لا نبدأ الخطو في التغيير من اليوم .. فلقد

اتخذنا فيه بعد النكسة بطريقة حتمية ..

ويتحتم علينا قبل الاجابة على السؤال المطروح .. أن نستعرض الظروف التي لابسته والخطوات التي اتخذت في سبيله .

ونستطيع أن نركز هذه الظروف والخطوات في النقط التالية .

١ ـ اعتبار يومي ٩ ، ١٠ يونيه ثورة من أجل تأكيد ارادة النضال والصمود وتفويضا للرئيس بالتغيير من أجل الحشد كمرحلة كفاح مقبلة تحقق ازالة آثار الهزيمة وتقود الى النصر .

٢ ـ قبول الرئيس للتفويض بالتغيير على الاسس التالية التي أكدها في حديثه للشعب يومي ٢٣ يولية و ٢٣ نوفمبر .

أ ـ العزم على النضال من أجل تحقيق النصر بكل السبل بحيث لا نقفز من غير تدبير .

ب ـ اقامة حياة ديمقراطية سليمة بالحل الاشتراكي واذابة الفوارق بين الطبقات بالطريق السلمي لتأكيد الحرية الاجتماعية التي تعتبر أساسا للحرية السياسية واعادة البناء الشعبي لقوى الوطن المصري وتوسيع نطاق القيادة في الاتحاد الاشتراكي .

جـ ــ وقوفه مع الشعب في المطالبة ببداية جادة وحازمة تتفق مع جدية ظروف الحرب التي نواجهها والعمل على وقف الاسراف ووضع حد لكل الامتيازات عدا امتياز الكفاءة في العمل وتحقيق النقاء الثوري والتمسك بقيم الدين .

د ــ تحقيق مجتمع مفتوح على أساس عـــدم الانحياز والسياسة الحرة المستقلة وعدم المساومة.

٣ ــ اتخاذ الخطوات العملية التالية من أجــل التغيير لتحقيق القدرة على النضال منذ النكسة حتى الآن .

أ ــ اعادة بناء القوات المسلحة بتنظيم الوحدات والتدريب واستيعاب السلاح بحيث قالت ما كانت عليه والتزمت بواجبهــا الحقيقي وهو الدفــاع عن أرض الوطن الذي أصبحت قادرة عليه تماما .

ب ــ القضاء على مراكز القوى القديمة التــي تتمثل في عناصر أدت دورهــا ولكنهــــا أصرت على التمسك بالسلطة رغم أن الثورة تجاوزت قدرتهــا ومصالحها واستعدادها للتطور .

جـ ــ اعادة جهاز المخابرات الى وضعه الطبيعي للعمل ضد أعداء الوطن وليس للسيطرة في الداخل واعتقال الافراد .

د ــ الغاء الامتيازات وتأكيد تكافؤ الفرص .

هـ ــ تحقيق المجتمع المفتوح بعلنية قضيــــة المؤامرة التي قصد بها صيانة النقاء الثوري والقضاء على الانحراف تحت حماية السلطة • وبوجود كتلة معارضة في مجلس الامة لها حق التعبير عن معارضتها وبحرية الصحافة في التعبير في حدود الميثاق مــــع الرقابة على النواحي العسكرية التي تحتمها ظروف الحرب . واصدار قانون الكسب غير المشروع واعادة بحث قانون الحريات العامة والغاء محاكمة المدنيين بقانون الاحكام العسكرية .

ذلك هو العرض الواقعي لظــروف التغيــــير وخطواته .

ولقد وعد الرئيس جمال الشعب في خطابه في حلوان بعرض خطة كاملة بعد عيد الاضحى ترسم خطوات العمل في المستقبل وتوضح أسلوب التغيير ووسائله وأسبابه وتقوم على أساس استمــرار الثورة الاشتراكية في مجتمع مفتــوح وبمؤسسات ثابتة تجمع شمل الدولة بدون مراكز للقوى وعلى أساس تغيــير أشمل وأوسع يــكون محققا لآمال الشعب الذي خرج في ٩ و ١٠ يونية ليبقي قائده في موضعه من قيادتــــه ويؤكد اصراره على الصمود

والنضال ويفوضه في التغيير حشدا لطاقة خالصة من الشوائب التي أدت الى النكسة ودافعا الى كفاح يزيل آثار النكسة ويسترد الحق الضائع ويمهد لانطلاقة جديدة من أجل البناء والرخاء والعدالة والسلام .

والتغيير كما قال الرئيس ليس مجرد نقل شيء من مكانه واحلال شيء آخر موضعه بل هو عملية تحتاج الى وقت وجهد وبرنامج وأرض صلبة واسعة نقف عليها ونمارس فوقها التغيير وهو ليس أيضا تغييرات خاصة تمارس من وجهات النظر الخاصة لتحقق لاصحابها فائدة ما . ولكنه تغيير أشمل لكل الامال وأسمى من مجرد تحقيق بعض وجهات النظر الخاصة .

الصورة التي تحدث عنها الرئيس .. والتي يمكن أن تكون محققة لآمال الشعب مدعمة لقوته على النضال .

فان على المرء أن يطرح أمام فكره .. الجسد المصاب .. ويتحسس مظاهر العلة ويتلمس أسبابها . بحيث يبني خطته في برء الجسد وسلامته واستعادته حيويته وقدرته.. على استئصال أسباب العلة وازالة مظاهرها ووضع أسلوب الحياة الذي

يضمن عدم عودة الاسباب المهيئة للداء وضمـــان استمرار سلامة الجسد وقوته .

وقد تكون أسباب الداء .. هي ذاتها أسلوب الرقابة في نشأة الجسد . جمد بحيث أضحى هــو نفسه أسلوبا لوقـاية العلة بدل أن يـكون وقاية للجسد فعندما تنبت الثورة لا بد أن يصاحبها نوع من الوقاية المحكمة التي تمنحها الفرصة في أن تعمق جذورها وتدعم نموها وتصلب عودها .. ويصبـح السؤال الحيوي بعد ذلك متى يمكن أن نوقف هذه الوقاية بحيث لا تتحول من وقاية المبادىء الى وقاية لاشخاص ·. بعد أن تأكدت مبادىء الثورة وثبتت دعائمها بحيث يصبح اقتلاعها لا يعني سوى اقتلاع شعب بأكمله .

ان الثورة المصرية ثبتت من صميم الاحساس المصري بالظلم وبالرغبة في التغيير ولكنها كانت ككل الثورات في حاجة الى حمـاية من العناصـر المضادة التي يمكن أن تقتلعها من منبتها .

وإتخذت الطليعة التي قامت بها كل الوسائـل الممكنة لحمايتها .

ومن هذه الحماية نبتت بالطبيعة عناصر الداء والتي يمكن حصرها في النقطتين التاليتين :

١ ـ خلق الاجهزة الواقية التي يمارس أصحابها الحماية كمهنة تعيش على وجود التهديد والتآمر .. بحيث يتحتم عليهم في بعض الاحيان خلق التآمـــر لممارسة مهنتهم . أو انتزاعه نزعا بالتجسس عـلى الناس وتمويه المجتمع بحيث تزداد مجالات نشاطهم وتزداد مظاهر نجاحهم وأهمية عملهم وحيويتـــه للثورة .. بحيث يتحولون مع الوقت بعد أن أصبحوا القوة الحامية للثورة الضامنة لوجودها الى أسيـاد للثورة وأصحاب للسلطان فيها ويجعلون من أنفسهم مراكز للقوى تتمتع بحماية السلطة بغير رقابة الا رقابة أجهزتهم .

٢ ـ الاعتمـــاد على العناصر المواليـــة ممن يسمونهم أهل الثقـــة لضمـان التطبيـق الثوري والمحافظة على الثورة واتجاهها ومبادئها وتجميـع المسئوليات في أيديهم بحيث تنأى عن الثورة مختلف العناصر من الكفاءات التي لم تسنح لها الفرصـــة بوضع ولائها للثورة وايمانها بها موضع الاختبار .

وما من شك هناك أن وجود الاتحاد الاشتراكي كتحالف لقوى الشعب العاملة كان هو المحاولـــة لنقل السلطة الى الشعب من أجل مصلحـة الشعب وتوسيع رقعة القيادات التي يمكـن أن تتنـــاول

المسئوليات الثورية ولكي يصبح الشعب نفسه وهو صاحب المصلحة فيما حققته الثورة من مكاسب هو نفسه حاميا لمكاسبه وبالتالي حاميا للثورة وبهذا تتسع مسئولية الثورة عن مجموعة محدودة من أصحاب الولاء للثورة من أهل الثقة الى القاعدة الشعبية العريضة بكل ما تملك من كفاءات وبحيث تتسع مسئولية حماية الثورة من جهاز معين يفرض سيادته بالحماية ويمارس السلطة بغير رقابة الا رقابته الى حماية الشعب كله للثورة ورقابته على أجهزتها .

تلك هي العلل الطبيعية التي انبتتها طبيعة الثورة وذلك هو العلاج الطبيعي الذي وضع للقضاء على تلك العلل وتحويل الثورة الى سلطة يتولاها الشعب .

والسؤال هنا : كيف حقق الاتحاد الاشتراكي المهمة التي وجد من أجلها والتي تتلخص في أمرين :

١ ــ تحمل الشعب مسئولية الثورة وممارسته لسلطانها .

٢ ــ تحمل الشعب عبء الدفاع عن الثورة وحماية مكاسبها بحيث تتحرك الثورة بالشعب وللشعب وبحيث يصبح الشعب صاحبها وحاميها .

ان الذين ينكرون ما حققه الاتحاد الاشتراكي من تنظيمات شعبية في كل أنحاء البلاد وماامستطاعت ان تحققه هذه التنظيمات في شتى المجالات . انما ينكرون حقيقة واقعه ويبدأون نقدهم على أساس من محاولة التدمير التي تضيع فرص النقد الحقيقية .

ولقد تساءل الرئيس عبد الناصر لماذا ينادي البعض بالغاء الاتحاد الاشتراكي ولا ينادون باصلاحه . وهو على حق . فنحن لا نريد أن نبني ثم نهدم . ونسير ثم نعود القهقرى . ونحن لا نريد أن نبدأ دائما من الصفر . ولكننا نريد أن نعرف حقيقة أخطائنا لكي نصلحها ونتجنب تكرارها .٠

وقبل أن نحاول البحث عن أخطاء الاتحاد الاشتراكي أو على الاصح بعض تنظيماته لان التعميم نوع من الظلم والتضليل يجب أن نعترف بالصعوبة البالغة فيطريقة تكوين الاتحادالاشتراكي والتأرجح بين الانتخاب والتعيين .

فأسلوب الانتخاب ، وهو الاسلوب الطبيعي الذي بدأ به تكوين الاتحاد لم يعط أفضل الثمار لاتاحته الفرصة لمحترفي الانتخابات ممن لا يكونون غالبا أفضل العناصر وممن يجعلون العمل الجماهيري

نوعا من التملق القائـــم على الاثـــارة واستجداء الشعبية على حساب المصلحة الحقيقية للوطن أكثر منه عملا جـــادا يقوم على الاحساس بالمسئوليـــة والتصدي لها .

واسلوب التعيين الذي أخذ به بعد ذلك لا يمكن أن يضمن الا تشويه الميـــول والامزجة والصـــلاة الشخصية في الاختيار ، وهو يؤدي بالطبيعـــة الى احساس بالولاء للسلطة صاحبة الحق في التعيـــين أكثر منه للجماهير وبذلك تصبح القيادة عنصر املاء من أعلى لأسفل أكثر مما تصبح عنصر تعبـــير من أسفل لاعلى وتكون النتيجة أن تصبح التنظيمـــات الجماهيرية أميل الى التعبير عما تريده القيادة بدل أن تلتقط القيادة من التنظيمات مـــا تجيش بـــه الجماهير .

وهكذا نبع أول الاخطاء التي يمكن أن تنزلق فيها تنظيمات الاتحاد الاشتراكي من صعوبة تكوينه ولا سيما وهو يكون بواسطة قيادة تدارس الحكـــم فعلا .. وحققت جزءا كبيرا من أهدافها وكاد ينتفي عند التكوين عنصر التضحية والكفاح منأجل تحقيق أهداف تكتنفها المخاطر والصعاب وهكذا .. ورغم وجود التنظيمات المحكمة في الاتحاد الاشتراكي على

شتى المستويات لم يكن الارتباط الذي يجعله جزءا من الجماهير أمرا سهلا وبات كالعضو الذي تحاول زرعه في جسد بدلا من أن يكون بالعضو الذي ينبت من جسد .

وزاد من صعوبة التصاقه بالجسد الاصلي ، وهو الجماهير . الاسلوب الذي اتبع في بعض تنظيماته في أداء الواجب الثاني وهو حماية الثورة .

فبدلا من أن تتحقق الحماية بطريقة طبيعية نابعة من الارتباط الوثيق الذي يجعل الثورة جزءا من الشعب ، أخذت بعض التنظيمات تمارس الحماية للثورة بنفس الطريقة التي تمارسها أجهزة الامن وهي الرقابة والتبليغ عن العناصر المضادة للثورة بدل النقاش معها واقناعها ومحاولة جذبها الى الثورة .

وما من شك انه يجب أن يكون هناك فارق كبير بين طريقة تعامل قيادة تنظيمات الاتحاد الاشتراكي مع العناصر المضادة للثورة وطريقة تعامل أجهزة الامن معهم لان وجود الاتحاد الاشتراكي لم يكن لضبط هذه العناصر وعقابها بل لمحاولة مقارعتها الحجة بالحجة وكسبها أو كشفها

للجماهير وعزلها عنها وسلبها أي قدرة على التأثير فيها ..

وعنصر آخر لا أدري ما مدى تأثيره في صلة تنظيمات الاتحاد الاشتراكي للجماهير وهو عنصر قد تكون انبتته الحاجة الى تعميق مفهوم الاشتراكية في مجالات الاتحاد الاشتراكي . وهو أن يتصدر لهذه المهمة ـ بدل عناصر كان يمكن أن تنبتها الثورة ـ هؤلاء الذين سبق أن نادوا بالاشتراكية الماركسية .. ثم قاموا بحل تنظيمهم ايمانا باشتراكية الثورة ومن حق هؤلاء جميعا كمواطنين شرفاء أكدوا ايمانهم بالثورة واخلاصهم للوطن أن يمارسوا حقهم في العمل وبقية المواطنين حسب ما تهيأه لهم كفاءتهم ولكن ليس من الصالح في شيء ـ صالحهم وصالح الثورة ـ أن يتكتلوا في أماكن بعينها ..

بحيث يوحي وجودهم في أذهان الجماهير باتجاه معين أو يبديهم وكأنهم يخططون لهدف معين ، مما يثير القلق في نفوس الجماهير .

والطبيعي أن يذوب هؤلاء المواطنين الصالحين في جماهير الشعب وان ينتشروا في مجالات العمل المختلفة ولكن ليس من الطبيعي أن يتركوا في مناطق بعينها الثقافة والاعلام والاتحاد الاشتراكي بحيث

يبدون وكأنهم يحتلون مناطق استراتيجية فيتخطيط معين . بحيث يصبح السؤال المحير كم منهم يعملون في هذه المجالات . وكم منهم يعملون في مجالات الخدمة الاخرى . كالصحة والصناعـــة والزراعة والــري والكهرباء والطرق والكباري والمباني .. الخ .

انهم كما قلت مواطنين شرفاء أكفاء .. ويجب أن يتمتعوا بكل ما يتمتع بـــه المواطنون الشرفاء الاكفاء.. من ممارسة لجميع الاعمال في كل المجالات .. وليس بالتمركز في مناطق عمل بعينها هذه بعض آراء تعن للمرء وهو يستعرض منابع الداء التـــي توجب عملية التغيير . وقد أكون لم أسلم في التعبير عنها من تهمة التعبير عن وجهة نظر خاصة .

ولكننا لا نملك بطبيعتنا الا أن نعبر عن آرائنا أولا : وقد تلتقي هذه الاراء بآراء الغير فتكون رأيا عاما له تأثير في المجال العام ،وقد تنعزل فتبقـــى مجرد رأي خاص لا يعبر الا عن صاحبه .

ولكن من حق الناس علينا .. أن يسمعوا كيف نفكر :. وماذا نريد أن نقول .

واذا كنت لم أقل شيئا مفيدا في ما هو جار من عملية التغيير فاني أكون على الاقل .. قد حققـت شيئا مما يريد التغيير أن يحققه وهو حرية التعبير

وبعد .. في كلمات قلائل أرجو أن ألخص رأيي فيما يمكن أن يكون التغيير محققا له ..

١ ـ أن يكون أولا وقبل كل شيء محققا للحشد الكامل لطاقاتنا في مواجهة العدو من أجل رده عن أرضنا واستردادنا لحقنا .

٢ ـ أن يقوم التغيير على أساس الثورة الاشتراكية بمفهومها غير المعقد الذي أكده الرئيس عبد الناصر والذي لا يضيعنا في متاهات فلسفية ولكنه يحقق البيت السعيد للقادرين على العمل والذي لا محظورات فيه سوى الاستغلال .

٣ ـ أن تتسع السلطة لجميع الكفاءات وأن ينفسح المجال أمامها بحيث تمنح الفرصة لكي تكون أهل ثقة .. ولا يعود قصر الثقة على مجموعة محدودة لا شك انها قد تصدت بنجاح لانجازات الثورة ولكن بات من حق الثورة بعد أن رست دعائمها أن توسع قاعدة قياداتها بحيث تشمل أكبر عدد ممكن من الكفاءات ..

٤ ـ أن تكون حماية الثورة بواسطة الشعب نفسه عن طريق المجتمع المفتوح الذي تمارس فيه حرية التعبير والمناقشة والمعارضة في حدود الميثاق ودون الاخلال بأمن الدولة .

نعم لتجاوز النكسة وتأكيد أسباب النصر

١٩٦٨/٤/٣

استمعت كما استمع الشعب العربي كله الى بيان ٣٠ مارس الذي قدمه الرئيس جمال عبد الناصر متضمنا برنامج العمل السياسي للمرحلة القادمة .

قدم الرئيس برنامج العمل السياسي تطلعا الى المستقبل وتخطيطا للعمل فيه بلوغا لاهدافنا في تحقيق النصر وتحقيق آمال ما بعد النصر في المجتمع الاشتراكي مجتمع الرخاء والعدل والامن .

ولقد قدم الرئيس برنامج العمل للمستقبل بعد أن تجاوز الوطن حافة الخطر ووقف الشعب بالتحولات التي حققها في أعقاب النكسة على أرض أصلب تتحمل ارتكازه .. وأمام أفق أرحب يتسع لوثبته ..

وقبل أن يقدم الرئيس برنامج العمل أبرز التحولات التي حققها الشعب في أعقاب النكسة

والتي أبعدته عن حافة الخطر وجعلته أقدر على التطلع الى المستقبل وهي اعادة بناء القوات المسلحة وتحقيق الصمود الاقتصادي وتصفية مراكز القوى والتطهر من انحرافات مرحلة سابقة بعملية بتر منقذة والجهد السياسي في الجبهات العربية والدولية .

كما أبرز أن برنامج التغيير استجابة للآمال العريضة لجماهير الشعب قد بدأ باعادة التشكيل الوزاري الذي جاء الى الحكم بصفوة من شباب الوطن لا يدين أحد منهم بمنصبه لاي اعتبار سوى اعتبار العلم والتجربة في العمل السياسي . كما أكد الرئيس أن هناك تغييرات أخرى قادمة في مختلف القيادات لتفسح المجال للاقدر والاجدر .

ولكن التغيير يبقى بعد ذلك أكبر من تغيير الاشخاص لانه يجب أن يكون فكرا أوضح وحشدا أقوى وتخطيطا أدق .

وقدم الرئيس بعد ذلك برنامج عمل يرتكز على جانبين أساسيين أولهما حشد كل القوى العسكرية والاقتصادية والفكرية لتحرير الارض وتحقيق النصر باعتبار أن المعركة لها الاولوية عن كل ما عداها والثاني تعبئة الجماهير بكل ما تملك من

امكانيات وطاقات من أجل واجبات التحرير والنصر ومن أجل تحقيق أمل ما بعد التحرير والنصر .

أما بالنسبة للجانب الاول وهو الحشد فلقد أكد الرئيس أن السبيل الذي نسلكه الى تحرير الارض وتحقيق النصر سواء أكان سياسيا أم عسكريا مرهونا باستعدادنا للمعركة وإننا على استعداد للعمل السياسي عن طريق الامم المتحدة أو غيره واننا نضع مع أشقائنا العرب كل وسائلنا ونتعاون مع كل القوى الشعبية العربية من أجل مقاومة العدو • . واننا نفتح قلوبنا وعقولنا للعالم كله نصادق من يصادقنا ونعادي من يعادينا . .ولكننا قبل ذلك كله يجب أن نكون مستعدين للمعركة مهما كلفتنا . . حتى لو وقفنا فيهــا وحدنا أما الجانب الثاني وهو التعبئة من أجل التحرير والنصر وآمال ما بعد التحرير والنصر فيقوم على أساس حشد القوى الشعبية بالديمقراطية من أجل تحقيق هذه الاهداف .

ونطاق الاتحاد الاشتراكي هو اكبر الصيغ ملاءمة لهـذا الحشد مع ازالة أسباب القصور في التطبيق باقامةالاتحاد الاشتراكي بواسطة الانتخاب الحر من القاعدة الى القمة .

وعلى هذا الاساس اقترح الرئيس برنامجا تنفيذيا يتدرج من إنتخابات الوحدات التأسيسية الى المؤتمر القومي الى اللجنة المركزية الى اللجنة التنفيذية العليا على أن يظل المؤتمر القومي قائما يعقد دورة كل ثلاثة شهور واللجنة المركزية في حالة انعقاد دائم الى ما بعد ازالة آثار العدوان حيث يكون الدستور الدائم قد أعد بحيث يمكن طرحه للاستفتاء الشعبي العام على أن تتلوه انتخابات مجلس أمة جديد وانتخابات لرئاسة الجمهورية .

على أن يوكل الى اللجنة المركزية مهمة بناء التنظيم السياسي لطلائع الاتحاد الاشتراكي وتحديد مهام العمل الوطني للمرحلة الجديدة والمشاركة في وضع الخطوط العريضة للدستور .

وبعد أن حدد الرئيس أساس العمل واقترح البرنامج التنفيذي له .. القى الضوء على طريق العمل لتوضيح معالمه ولتحديد بعض المهام الرئيسية في المرحلة القادمة للنضال في عشر نقاط هي تأكيد دور قوى الشعب العاملة في تحقيق سيطرتها بالديموقراطية على العمل الوطني وتدعيم عملية بناء الدولة الحديثة بالعلم والتكنولوجيا واعطاء التنمية الشاملة دفعة أكبر وتدعيم القيم الروحية والاهتمام بالشباب واتاحة فرصة التجربة أمامه

واطلاق القوى الخلاقة للحركـــة النقابية وتعميق التلاحم بين جماهير الشعب والقوات المسلحة وتوجيه جهد مركز نحو عمليات البحث عن البترول وتوفير الحافز الفردي ووضع الرجل المناسب في المكـــان المناسب وضمان حمايـــة الثورة في ظـــل سيادة القانون .

ثم اقترح الرئيس خطوطـا أساسية عامـــة تتضمنها مواد الدستور هي الانتمـاء المصري الى الامـــة العربية وحمايـــة المكاسب الاشتراكية وتدعيمها وتوفير كل الضمانات للحرية الشخصية والامن وحرية التفكير والتعبير والنشر والـــرأي والبحث العلمي والصحافة وقيام الـدولة العصرية وتحديد مؤسسات الدولـة واختصاصاتها بما في ذلك رئيس الدولة والهيئة التشريعية والتنفيذيـة وتأكيد أهمية العمل وضمانات حماية الملكية العامة والتعاونية والخاصة وحصانـــة القضاء وانشاء محكمة دستورية عليا لتقرير دستورية القوانـين ووضع حـــد زمني لتولي الوظائـــف السياسية والتنفيذية .

تلك هي خلاصة برنامج العمل الذي حـدده الرئيس في بيانـــه متضمنا الاساس والبرنامـج التنفيذي والنقاط الموضحة .

ولقد طرح الرئيس برنامج العمل للاستفتاء العام لكي يكون تمثيلا صحيحا لافكارنا جميعا ولكي يضع الشعب من النظام الثوري موضع الموجه والقائد .

وحدد الرئيس يوم ٢ مايو ١٩٦٨ موعدا للاستفتاء

ولقد استمعت الى البيان أكثر من مرة

وقرأته أكثر من مرة ..

وتمنيت أن نبدأ في تنفيذه فورا ..

وأن نوفر كل جهد من أجل التطبيق السليم الفعال لما جاء فيه ..

فأنا لا أجد فيه ما يمكن أن يقال له .. لا ..

اني أسبق موعد الاستفتاء وأقول نعم .. لاني أؤيد حشد كل القوى لتحرير الارض والاستعداد للمعركة دعما للعمل السياسي أو خوضا لقتال مصيري ليس منه بد .

ولاني مع تعبئة الجماهير وتأكيد دور قوى الشعب العاملة في تحقيق سيطرتها بالديموقراطية .

ومع تدعيم بناء الدولة العصرية ..

ومع دفع التنمية الشاملة ..

ومع تدعيم القيم الروحية واتاحة فرص التجربة للشباب .

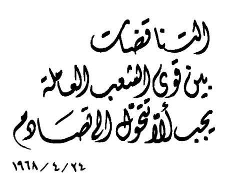
ومع اطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية .
ومع تعميق التلاحم بين الشعب وقواته المسلحة
مع توجيه أكبر جهد للبحث عن البترول .
مع توفير الحافز الفردي .
ومع ضمان حماية الثورة في ظل القانون .
ومع الانتماء المصري الى الامة العربية .
ومع حماية المكاسب الاشتراكية ودعمها .
ومع ضمان الحريات بكافة أنواعها .
ومع حماية الملكيات العامة والتعاونية والخاصة
ومع حصانة القضاء .

أقول نعم . لاني مع كل هذه الحوافز والضمانات التي تمكننا من تجاوز النكسة وتحقيق النصر وتحقيق آمال ما بعد النصر في مجتمع الرخاء والعدل والامن .

لنبدأ في وضعها موضع التنفيذ ولنحذر من سوء التطبيق .. لان تلك هي العلة .. وتلك هي التي كانت جذور النكسة .

اننا نقول نعم بملء أفواهنا ..

ونقول بملء أفواهنا أيضا .. يجب أن نبذل كل ما نملك من امكانيات لضمان سلامة التطبيق من أجل ألا تتكرر النكسة .. لان الشعوب كما قال الرئيس — لا تحتمل — في تاريخها أكثر من نكسة ..



٢٤/٤/١٩٦٨

غدا يلتقي الرئيس جمال عبد الناصر مـــع المثقفين في لقائه الثاني مع قوى الشعب العاملة .

وفي لقائه الاول مع الفلاحين في المنصورة أوضح الرئيس في جلاء معالم المستقبل القريب الذي وضع أسسه ومهد له بيان ٣٠ مارس الذي أكد الرئيس انه حصيلة الآراء والمناقشات التي أشعلت النكسة شرارتها والتي بدأت مقدماتها فيما قبلها وانه يعتبر اتفاقا على نقطة بداية وأسلوب لقاء يدفع الى التغيير الذي بلورت المناقشات الجماهيرية حاجـة الشعب اليه . وهو لا يعتبر نصا جامدا وانما هو وثيقة تملك سلطة الشعب الممثلة في المؤتمر الاضافـة اليـــه والتعديل فيه .

ولقد لخص الرئيس برنامج العمل الذي جـاء في بيان ٣٠ مارس في نقطتين رئيسيتين :

الاولى : المعركة والاستعداد لها وحشد كل القوى العسكرية والوطنية والقوى العربية على مستوى الشعوب والحكومات ..

الثانية : تحقيق سيطرة الشعب بالديمقراطية على العمل الوطني وقيادته وتوجيهه بخلق سلطة قوى الشعب العاملة عن طريق بناء الاتحاد الاشتراكي بالانتخابات من القاعدة الى القمة .

وكان من أبرز ما أوضحه الرئيس أن سلامة الجبهة الداخلية أمر ضروري لتحقيق النصر في معركتنا مع العدو . وان البناء العسكري لا بد أن يدعمه ويسنده البناء السياسي ، الذي يجب أن ترتبط فيه الحرية السياسية بالحرية الاجتماعية مؤكدا أن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية لان حرية التصويت في الانتخابات لا يمكن أن تتحقق بغير تحرر من الاستغلال ..

وتحدث الرئيس عن ضرورة سيادة القانون وكفالة استمرار الثورة مؤكدا أن سيادة القانون هي أول ضمان للديمقراطية وان الديمقراطية هي التي تضع قوى الشعب العاملة في موضعها كصاحبة السلطة الحقيقية والموجهة للعمل الوطني والضامنة

لكفالة استمرار الثورة ..

ومن أهم ما أوضحه الرئيس في لقائه الاول مع قوى الشعب العاملة تأكيده انه قد يكون هنـــاك تناقضات بين قوة الثورة نفسهـــا .. قوى الشعب العاملة كلها وانه لا يمكــن أن ينشأ بين النظـــام الثوري تصادم مع أية قوة من قوى الشعب العاملة وأن المظاهرات التي حدثت تعتبر تعبيرا عن نفـاد الصبر ولكن لا يمكن اعتبارها عملا معاديا . واننا يجب ألا نسكت عن التصادم مع الثورة المضادة واننا قادرون على ضربها وتصفيتها ولكن الحوار الخلاق بين قوى الثورة لا يمكن أن يسمى تصادما ولا يمكن أن يواجه بالقوة ..

والشيء الذي لا جدال فيه .. هو أن محاولـة خلق التصادم بين قوى الشعب العاملة أو تضخيم التناقض بينها بحيث يتحول الى صدام شيء قـــد يكون أخطر على الثورة من الثورة المضادة .

وفي مرحلة نفاد الصبر .. نكون في أمس الحاجة الى أولئك الذين لا ينفد صبرهم .. من نفاد الصبر .. فيعتبرون تصادما ما اعتبره الرئيس نوعا مـن الحوار الخلاق الـــذي يجب ألا يعتبر تصادما أو مواجهة بالقوة .. ويحاولون بذلك عزل احدى قوى

الشعب العاملة عن بقيـة تحالف قـوى الشعب ، محاولين أن يفتتوا التحالف بعزل هذه القوة ودفعها لكي ترتمي في أحضان الثورة المضـادة ، أو لكي تكون هي نفسها .. برغمها ثورة مضادة ..

واذا كانت المذاهب التي تؤمن بدكتاتوريةطبقة من الطبقات وبحتمية الصراع الدموي من أجـل تصفية بقية الطبقات فان الثورة المصرية البيضاء لم تؤمن قط بهذا ، بل قامت على تذويب الفـوارق بين الطبقات وتحالف قوى الشعب العاملة ..

ولقد نجحت ثورتنا في هذا ولم تحتج الى صراع دموي لتصفية طبقة من الطبقات لان مجموع الشعب المصري أو تحالف قوى الشعب العاملة يمكن اعتباره كله طبقة واحدة ولم يكن من العسير عزل الفئـة المستغلـة من الرأسماليين والاقطاعيـين دون أن يشكلوا في مجموعهم طبقة تحتاج الى صراع دموي .

والشعب المصري في مجموعه تنبت فئاته (التي لا يمكن أن نسميها طبقـات) بعضها من البعض ، فمن الفـلاح والعامل تنبت الملكيـة الصغيرة ، والرأسمالية الوطنية ومن ابنهما الناجـح ينبت الطالب الجامعي والمدرس والطبيب والمهندس ومن الناجح من هؤلاء ينبت المديـر والوزير ورئيس الجمهورية .

فالفرد يشكل في شتى مراحل حياته عدة فئات فابن الفلاح الذي نبت في القرية وابن العامل الذي نشأ في الحارة ، هو نفسه التلميذ والطالب والموظف والمدير والوزير ..

والاسرة المصرية تشكل في داخلها خليطا من هذه الفئات كلها .. فالاب فلاح وأبناؤه قد يكون أحدهم في القرية والآخر في الجامعة والثالث في الجيش والرابع طبيبا .. وقد يكون بين الاسرة الواحدة تناقضات .. ولكن ــ كما قال الرئيس ــ لا يمكن أن يكون هناك صدام ..

وعندما حدثت مظاهرات الطلبة سمعت البعض يقولون في عصبية .. ان شباب الفلاحين والعمال كانوا شيئا آخر غير شباب الطلبة .

والذين يقولون هذا يسيئون الى الثورة .. لان شباب الطلبة .. لا يمكن أن يكونوا غير أبناء العمال والفلاحين والموظفين والتجار .. واننا اذا كنا نسلم ببساطة بأن الطلبة فئة منعزلة عن الفلاحين والعمال فمعنى هذا أننا نلغى كل ما أعطته الثورة من تكافؤ وفرص .. ومجانية تعليم . أتاحت الفرصة لابناء الفلاحين والعمال أن يسلكوا سبيلهم الى الجامعة وأن يشكلوا هم أنفسهم الطلبة الجامعيين .

يجب ألا ننسى أبدا أن المثقفين هم الناجحون

من أبناء الفلاحين والعمال . وأن أسر الفلاحين والعمال تنبت المثقفين طلابا كانوا أم أساتذة أم مهنيين . وأن الشعب المصري ـ بعد استبعاد القلة المستغلة ـ يشكل أسرة كبيرة قد تكون فيها تناقضات ولكن لا يمكن أن يكون فيها تصادم .. وأن أولئك الذين يحاولون عزل فئة من فئاته وتحويل التناقض فيها الى تصادم يفتتون تحالف قوى الشعب العاملة . ويعزلون عنها احدى قواها .. محاولين أن يخلقوا منها ثورة مضادة .

ولقد أوضح الرئيس في لقائه مع الفلاحين في المنصورة الدور الذي قام به الاتحاد الاشتراكي وما اضطلع به أعضاء الامانة العامة من مسؤوليات كبيرة وما تحملوه من أعباء ضخمة مؤكدا أن الاتحاد الاشتراكي أدى دوره في النضال وأنه وان كان هناك أخطاء فان الذي يعمل لا بد أن يخطيء ولكن الكثير من قيادات الاتحاد الاشتراكي قاموا بعمل بناء وأدوا دورهم بأمانة ولكن الظروف تحتم أن ننتقل بالاتحاد خطوة للامام شعبية وتقدمية .

ومن الخطأ البين أن يسلب الاتحاد الاشتراكي ما استطاع أن يحققه خلال المرحلة السابقة من كل ما أداه من عمل ايجابي .. سواء في التنظيم أو في الرقابة أو في المساهمة في العمل البناء وفي النضال

ولا يمكن أن ينسى الـــدور الذي أداه الاتحـــاد الاشتراكي في انقاذ محصول القطـــن أو في خلال المعركة في الدفاع المدني والمقاومة الشعبية .

ومن أخطر ما أبرزه الرئيس في لقائه الاول هو أننا سرنا في طريق حشد كـل الطاقات العربيـــة الرسمية والشعبية من أجل المعركة .. ولكننا حتى الان لم نصل الى خطة سياسية للامة العربية كلها .. وبذلك لم تحشد طاقات الامة العربية كلها .

وهذا هو الامر الخطير ..

حتى الآن لم نصل الى خطـة سياسيـة للامة العربية .

وحتى الآن لم تحشد طاقات الامة العربية .

والعدو في أراضينا .. يهدد وجودنا .. ويهدد حضارتنا ..

لقد قال الرئيس متفائلا .. أن هناك أملا ..

ترى متى يحقق الله هذا الامل ؟

لقد أكد الرئيس أننا ندعم حركات المقاومـــة ونؤيدها ونساندها .. فلعل المقاومـــة تكون رأس حربة لحشد كبير يجمع كل طاقات العرب ويوحدهم في عمل موحد يحققون به النصر وينقذون به المصير العربي ..

لماذا الاستفتاء ؟
ولماذا نعم ؟

١٩٦٨/٥/١

غدا يقول الشعب رأيه في بيان ٣٠ مارس
غدا يتقدم الشعب كله للاستفتاء .. ليقول نعم

وبعد خروج الشعب يومي ٩، ١٠ يونية مؤكدا في انفعاله الجارف ، تصميمه على ابقاء عبد الناصر .. وعلى عدم الاستسلام .. والاستمرار في النضال

وفي خلال الفترة بين يونية ومارس وقع نوعان من الاحداث النوع الاول بناء من أجل الصمود يشمل اعادة بناء القوات المسلحة والدعم الاقتصادي والقضاء على مراكز القوى وتطهير الانحرافات .

والنوع الثاني انفعالات جاشت بها صدور الشعب رغبة في تصحيح أخطاء وتقويم أوضاع من أجل دعم الثورة وحشد القوى الوطنية لتحقيق النصر وتحقيق آمال ما بعد النصر .

ولقد تمت عمليات البناء التي حققت لنا أرضا أصلب نقف عليها .. وفتحت أمامنا أفقا أرحب ننطلق منه وأصبح لزاما أن تتبلور انفعالات الشعب ورغبته في التصحيح والتغيير في برنامج عمل يقره الشعب ويضعه موضع التنفيذ .

ومن انفعالات الشعب يتبلور برنامج ٣٠ مارس وكان عرضه للاستفتاء ضرورة لكي يكون البرنامج تعبيرا جماعيا عن الامة يحقق لها الوحدة الوطنية الصلبة مقدما مقياسا واضحا للتصميم الشعبي مؤكدا استعداد الشعب للسير في شوط النضال حتى آخره .

لهذا وضع البيان للاستفتاء ..

لكي يؤكد الشعب رغبته في الصمود وفي النضال بطريق العقل في اقراره لبيان ٣٠ مارس بعد أن أكدها بطريق القلب يومي ٩، ١٠ يونية .

لكي يجعل من تأييده الذي منحه مطلقا يومي ٩، ١٠ يونية تأييدا مفصلا مفسرا .

لكي يحول امضاءه الذي أعطاه في ثقة مطلقة يومي ٩، ١٠ يونية على بياض الى امضاء على شيء محدد والتزام بعمل واضح .

أما لماذا نقول نعم

فالاسباب صريحة واضحة جاءت في بيان ٣٠ مارس ولمفاهيم شارحة للاسباب مستخلصة من أحاديث ما بعد البيان وقبله .. مفاهيم ترقى في الحيوية الى الاسباب التي جاءت في البيان نفسه .

أما الاسباب التي نقول من أجلها نعم فهي :

١ ــ لاننا نؤيد حشد كل القوى لتحرير الارض والاستعداد للمعركة دعما للعمل السياسي أو خوضا لقتال مصيري ليس منه بد .

٢ ــ لاننا نؤيد تعبئة الجماهير وتأكيد دور قوى الشعب العاملة في تحقيق سيطرتها بالديمقراطية .

٣ ــ لاننا نؤيد بناء الدولة العصرية ودفع التنمية الشاملة .

٤ ــ لاننا نؤيد تدعيم القوى الروحية واتاحة فرص التجربة للشباب .

٥ ــ لاننا نؤيد اطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية .

٦ ــ لاننا نؤيد تعميق التلاحم بين الشعب وقواته المسلحة .

٧ ــ لاننا نؤيد توجيه أكبر جهد للبحث عن البترول .

٨ ــ لاننا نؤيد توفير الحافز الفردي .

٩ ــ لاننا نؤيد ضمان حماية الثورة في ظل القانون .

١٠ ــ لاننا نؤيد الانتماء المصري الى الامة العربية .

١١ ــ لاننا نؤيد حماية المكاسب الاشتراكية ودعمها .

١٢ ــ لاننا نؤيد ضمان الحريات بكافةأنواعها

١٣ ــ لاننا نؤيد حماية الملكيات العامة والتعاونية والخاصة .

١٤ ــ لاننا نؤيد حصانة القضاء .

تلك هي المبررات الواضحة الصريحة التي من أجلها نقول نعم أما المفاهيم الشارحة والتي نؤيدها بقدر ما نؤيد البيان ونربطها به كجزء منه فهي :

١ ــ أن الدين أساس المجتمع

وان الاشتراكية بيت سعيد لكل أسرة يقوم على عمل القادرين مفتوح للعلم والثقافة والصحة . مظللا بالامان الاجتماعي ضد مفاجآت الحياة وان لا محظورات في الاشتراكية سوى الاستغلال .

وان الانتاج هو الاداة الفعالة لتحقيق الاشتراكية . وان خدمة الانتاج هي معيار الاخلاص للاشتراكية .

٢ ـ الاتحاد الاشتراكي يجمع تحالف قوى الشعب العاملة ويسعى لتحقيق الديمقراطية الكاملة واذابة الفوارق بين الطبقات والا تنفرد طبقة بالحكم وألا تكون هناك ديكتاتورية الطبقات

الغاء الاتحاد الاشتراكي يعني اما أن يقوم حزب واحد (اما رجعي أن يمثل طبقة من الطبقات) .. ونحن لا نريد ديكتاتورية الطبقة العاملة أو حزبا كأحزاب ما قبل الثورة يمثل تحالف الاقطاع والرجعية . أو تعدد الاحزاب وهذا لا نفكر فيه الا بعد أن ننتهي من التحول الاشتراكي .

ان الثورة لم تكن دموية عازلة بل أزالت فوارق الطبقات بالطرق السلمية ولم تحاول أن تستعمل العنف . ويجب أن تستمر الثورة على فلسفتها وهي تجنب الصدام الدموي بالديمقراطية السياسية والاجتماعية والاشتراكية .

٣ ـ ان تقنين الثورة حصانة أكيدة للتطور الدستوري السليم ليظل القانون دائما أكبر من مراكز القوى وأعلى من ارادات الافراد .

٤ ـ ان التزام المثقف هو التزام بالارتقاء للمجتمع والارتقاء بالحياة عن طريق المشاركة في العمل والتوجيه السياسي والفكري .

وليس معنى العلم الملتزم أن نطلب الى العلماء ترديد الشعارات أو أن يتركوا أماكنهم في الجامعات والمعامل لالقاء الخطب ..

ان العلم الملتزم في أي وطن من الاوطان هو العلم الذي يتسع لآمال هذا الوطن .

٥ ــ لا وصاية على الشباب والممارسة وحدها كفيلة بأن تعطيهم ما يحتاجون اليه من التجربة .

٦ ــ ان دور التنظيمات النقابية هو السهر على تطبيق التشريعات العمالية والاشتراك في رفع مستوى الكفاية والمهارة الفنية ورعاية النشاط الاجتماعي والثقافي والمساهمة باقتراحات لزيادة الانتاج .

تلك هي الاسباب والمفاهيم التي من أجلها نقول نعم .

وبعد أن نقول نعم

تصبح قوى الشعب اليقظة الواعية هي الضامنة للتنفيذ ، هي الضامنة لتحويل برنامج ٣٠ مارس بكل المفاهيم الشارحة له الى حقيقة واقعة ..

١٠ يونيو يوم وجد العدو نفسه يواجه شعبًا يصر على أنه أكبر من الهزيمة العسكرية

١٩٦٨/٦/١١

يوم ١٠ يونيو يوم مولدي

أتممت نصف قرن على هذه الارض في ١٠ يونيو ١٩٦٧

ولم يذكرني أحد في هذا اليوم .. ولا استطعت أن أذكر فيه نفسي ..

كان الناس يتدفقون في الطرقات كالسيول منذ الليلة السابقة .. ليس في مصر وحدها .. بل في كل مكان من الوطن العربي ..

أصابت العرب ضربة الهزيمة .. أعلنها الرئيس عبد الناصر .. وأعلن بعدها التنحي ..

وابتلعت الجماهير مرارة الهزيمة .. ولكنها لم تقبل التنحي ..

لم تشعر أن الهزيمة .. يمكن أن تقضي على وجودها .. أو تمحي ارادتها ..

ولكنها أحست أن في قبول التنحي .. قبـــولا للاستسلام .. وخضوعا لارادة العدو ..

وكنت أجلس في صبيحة اليوم المشهود مـــع الصديق محمد أحمد في مكتبه .. وصمت رهيب يخيم على رؤوسنا لا تقطعه الا دقات التليفــون .. وصوت محمد يرد في هدوء

ــ حاضر يا فندم ..

ثم يحول الخط قائلا في صوت خافت ..

ــ الرئيس اسماعيل الازهري يا فندم ..

ويزيد بنا الصمت والانصات وكأننا نود لو سمعنا ما تحمله أسلاك التليفون ..

وتنتهي المكالمة وبعد لحظات يدق التليفون مرة أخرى .. ويحول محمد الخط قائلا في صوته الخافت الرقيق ..

ــ الرئيس عارف يا فندم ..

وفي الخارج تهدر الجماهير ..

الطرق أغلقت ، وما زالــت آلاف الجماهـــير تتدفق من المحافظات .. والاحساس بالقلق يشتد .. والشعور بالضياع يتزايد .. الى أين يذهب بنا القدر ؟!

لقد قرر الشعب أن يقف في وجه الهزيمة ..

ولكنه في أشد الحاجة الى قيادته .. ليلم شعثـه .. ويصلب عوده ..

وكان مجلس الامـــة في انتظـــار الرئيس .. ليستمع الى بيانه ..

ولكن الرئيس كـان قد أصر على التنحي .. وكانت الجماهير قد سدت الطرقات بحشودها .

وأصر أعضاء مجلس الامة على لقاء الرئيس ..

وأكدوا اذا لم يحضر هو اليهم .. فسيذهبون اليه ..

وطلب منهم أن يحضر وفد منهم للقاء الرئيس

ولكنهم أصروا جميعا على لقائه ..

وحاول محمد أحمد أن يدبر الامر .. ولم يجد هناك من حل سوى أن يعقد في بيت الرئيس اجتماعا لمجلس الامة ..

وبالفعل أحضرت المقاعد .. وبدأ في اعـــداد مكان الاجتماع ..

ووجد الرئيس قاعة اجتماع لمجلس الامة تعد في داره ..

.. فطلب من محمد أحمد أن يلغي كل ما فعل من ترتيبات ..

وزاد الاحساس بالقلق ..

وبدأ الطريق قاتما .. لا شيء فيــــه ينبيء بالامل ..

ومضى الوقت ثقيلا بطيئا .. لا يقطعه الا رنين التليفون .. وكلمــات محمــد أحمــد الخافتـــة الهادئة ..

وقبل الواحدة أعلنت رسالة الرئيس الى مجلس الامة بقبول البقاء ..

وأحست جماهير الشعب العربـــي .. انهـــا تستطيع أن تقف متوازنة لتواجه الضربة ..

خرجت الجماهير يومها في وحدة تلقائية .. لا يربطها سوى الاصرار على الصمود .. والاصرار على تحدي الهزيمة ..

وقلبت الجماهير منطق الامور الطبيعية بالنسبة للعدو ..

كان ينتظر .. بعد أن حقق انتصارا عسكريا لم يكن يحلم به .. وبعد أن دمر قواتنا المسلحة أن يفرض ارادتـــه .. على خصم بلا حـــول ولا قوة عسكرية ..

ولكنه وجد نفسه يواجه قوة أعظم من القوة العسكرية .. قوة معنوية لشعب يصر على انه أكبر من الهزيمة العسكرية ..

وأخذت موازين الامور تنقلب ..

واذا بالعام الذي مر بعد وقفة الشعب التي أصر بها على الصمود والمقاومة .. قد غيرت الصورة تغييرا كاملا ..

وعندما نحاول أن ندرس الصورة الكاملة للموقف يتحتم علينا أن ندرس جوانبها الثلاثة المتداخلة وهي الجانب العسكري والجانب السياسي والجانب الاقتصادي في اطار التضامن العربي ..

أما عن الجانب العسكري ..

فاذكر أن ليفي أشكول قد طار بعد المعركة الى شرق القناة .. وفي حديث له قال في ثقة : « بعد أن رأيت حطام القوات المصرية في سيناء اقتنعت أن أمام مصر عشر سنوات على الاقل .. لتعيد بناء قواتها العسكرية وتستطيع أن توجه لنا أي تهديد »

ولست أظن قادة اسرائيل العسكريين يرون نفس الرأي الذي رآه أشكول منذ عام ، بل لقد أعلنوا عدة مرات أن القوات العسكرية العربية قد استعادت بناءها وباتت أقوى مما كانت ..

وكانت اعادة بناء القوات العسكرية هي أخطر ما تم خلال العام الذي تلا الهزيمة وتلا وقفة الشعب التي أصر فيها على الصمود ..



فمن غير بناء القوات العسكرية .. كانت الارض ستستمر رخوة تحت أقدامنا .. وقيود العجز تكبل قدرتنا على الحركة . ولم نكن نملك أن نتحرك في ثقة .. في أي من المجالين الآخرين .

وكما وقف الشعب وقفته التلقائية التي رفض بها الهزيمة ، كان يجب أن نهيء له القـــوة التي تمكنه من الصمود أمامها وازالة آثارهـــا والتي تؤمنه في عمله الدائب للانتاج من أجـــل الصمود الاقتصادي الذي بغـيره لا يمكن تدعيم الجبهـــة العسكرية ، وتأمين الجبهة الداخلية ..

لقد أكد بيان ٣٠ مارس الذي أجمع عليـــه الشعب بأن المعركة لها الاولوية على كل ما عداها وانه مهما كان السبيل الذي نسلكه الى تحرير الارض وتحقيق النصر فانه يصبح سبيلا مسدودا بغـير استعداد للمعركة سواء قبلنا طريق العمل السياسي وسرنا فيه الى مداه أو يئسنا منه وتركناه وواجهنا أقدارنا في ميدان القتال فان النتيجة معلقـــة على استعدادنا للمعركة ..

ومن غير مبالغة أو تهويل يمكن القـــول بأن التطور الذي حدث في بناء القوات المسلحة المصرية في نوع المقاتل وأسلوب تدريبه تطور جذري ..وان

درس النكسة لم يذهب سدى .. وان دماء الشهداء لم ترق عبثا ، وان الفرد في القوات المسلحة يعرف جيدا خطورة تدريبه وأهمية كفاءته .. وانه يخوض معركة بقاء أو فناء .. لوحدته ولامته .٠ وانخصمه لا يستمد قيمته الا من قدرة مقاتله .. وكفـــاءة سلاحه ..

.. ولقاؤه في الجولــة القادمة .. سيفصل فيها .. التفوق في قدرة القتال وكفاءة السلاح .

ولقد سجلت الاعمال الشجاعــة الباسلة التي قامت بها القوات المسلحة الاردنية أعمالا باهرة في ضرب العدو وصد هجماته الغادرة .

وفي الجانب العسكري دخل عنصر وان لم يكن جديدا في وجــوده الا أنه يعتبر جديــدا في تطوره وفعاليته وهو عنصر القــوة الفلسطينية المسلحــة والنضـــال المجيــد للجماهير الفلسطينية في الارض المحتلة ، لقد نما العمل الفلسطيني المسلحللفدائيين بحيث أصبح رأس حربة تقض مضاجع العدو وتثير قلقه الدائم وأكد الوجود الفلسطيني فيوجهه الباهر كما وضع العنصر الفلسطيني في موضعه الصحيح مؤديا دوره الفعال في النضال الشامل للامة العربية كلهـــا ..

ذلك عن الجانب العسكري ، أما عن الجانب السياسي ، فلقد أكد العام الذي أعقب النكسة ووقفة الصمود ، سلامة الجبهة الداخلية ووحدتها رغم كل ما مر بنا من ظروف قاسية مريرة كما أكد بيان ٣٠ مارس تثبيت دور قوى الشعب العاملة وتحالفها وقيادتها فيتحقيق سيطرتها بالديموقراطية على العمل الوطني في كافة مجالاته ..

وفي المجال العربي .. رغم عدم التوصل الى وحدة عمل توثق الوطن العربي في جبهة واحدة أمام قوى العدوان فان الامة العربية كما أكد الرئيس عبد الناصر في حديثه يوم ٥ يونيو باتت تدرك بالاجماع أنها سوف تواجه معركة يتقرر فيها المصير العربي الى عشرات السنين وربما مئات السنين ومن هذا الادراك الاجماعي فان الامة العربية تملك من ارادة التصميم ما لم تكن تملكه في يوم من الايام ..

وفي الجبهة الخارجية حدث تحول واضح في الرأي العالمي بعد أن كشفت اسرائيل عن وجهها العدواني وطبيعتها العنصرية التوسعية ، وكذبت دعوتها التي مضت السنين الطوال في ترويجها ، والقائمة على الاستضعاف والمسكنة وبأنها دولة مسالمة تحاول أن تعيش وتبني وسط شعوب

متخلفة تكشر عن أنيابها بغية تدميرها والقائها في البحر ،وانها لا تنشد سوى الامان والسلام ..

لقد ظهر غرورها وصلفها بعدما احرزته من انتصار عسكري ، وبدت أطماعها وهي تحاول ضم الاراضي العربية ضاربة بقرارات الامم المتحدة عرض الحائط متحدية العالم كله في نشوة انتصارها ..

ولقد بدأ التحول واضحا في ادراك الشعوب - حتى التي لم تكن تقف معنا - لكثير من حقائق القضية الفلسطينية ، وكذلك بدأ التحول في المؤتمرات الدولية ، كما حدث في مؤتمر القمة الافريقي في كينشاسا الذي أصدر قرارا بالاجماع بادانة العدوان الاسرائيلي وضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية ..

أما عن الجانب الاقتصادي فقد استطاعت مصر أن تصمد برغم كل ما تحملته من خسائر وبرغم كل ما فقدته من دخل القناة ومن السياحة وتمكنت من اعادة بناء قواتها المسلحة ومن الوقوف في اصرار لتحشد كل قواها من أجل المعركة بفضل صمود الجبهة الداخلية وحشد كل الامكانيات منأجل زيادة الانتاج وبفضل تضافر الدول العربية في الاسهام لتمكين الدول العربية التي تعرضت للعدوان من

الصمود الاقتصادي والالتـــزام بهذا الاسهام حتى ازالة آثار العدوان ..

كما تحقق انشاء صندوق الانماء الاقتصادي العربي برأس مال قدره ١٠٠ مليون دينار .

تلك هي الصورة الشاملة بكل جوانبها في اطار من التضامن العربي الذي يزداد يوما بعد يوم .

صورة استطاعت وقفة الشعب العربي في يوم الصمود أن تحققها .. وتحقق بها أرضا أصلــب للانطلاق ، وافقا أرحب للعمل ..

عندما نذكر التاسع من يونيو .. والطريــق مظلم .. واحساس الضياع يملؤ النفوس ، نشعر أن وقفة الشعب وقتذاك .. قد منحتنا ضوءا على الطريق ٠ خطونا على هديه الى أمام .. وسرنا بخطى ثابتة.. الى هدف قد لا يكون اليوم ملء يدنا.. ولكننا نعرف الطريق اليه .. ونستشعر الثقة في بلوغه ..

١٠ يونيو .. يوم مولدي الذي نسيته ونسيت فيه نفسي ..

لقد بات الشعب العربي يذكرك .. كاشراقة في حياته .. هدت خطاه وأضاءت طريقه .. الى نصر سيحققه بفضل الله على كل عاد على أرضه مغتصب لحقوقه ..

بعد ١٦ سنة من الثورة المصرية
لم تستطع النكسة ان توقف انطلاقة الشعب
المصري البناءة

١٤/٧/١٩٦٨

في العيد السادس عشر من الثورة يبدو اننا نقف في احدى مراحل التحول في حياتنا

لقد حققت الثورة خلال الخمسة عشر عامـــا الاولى من الانجازات الضخمة ما غير وجه المجتمع المصري وأرسى دعائم التنمية والتقدم والانطلاق نحو مستقبل افضل يتوفر فيه الرخاء وتتحقق فيه العدالة .

ولم تستطع نكسة يونيو . رغم ما فقدناه من دخل القناة ورغم خسارتنا لحقول البترول في سيناء ورغم تضاؤل مواردنا السياحية أن توقف انطلاقة الشعب البناءة من الدعائم الراسخة التي أرست قواعدها ثورة ٢٣ يولية .

فلقد أضحى مقررا اتمام الاعمال الباقية من

السد العالي في بضعة شهور . حيث سيتم بناء جسم السد كاملا في شهر اكتوبر القادم وستتم أعمال التاكسيات والميول في نهاية هذا العام .. وكذلك عمليات الحقن التي تجرى لاستكمال الستارة التي تمتد الى عمق ٢٠٠ متر تحت قاع النيل لتمنع تسرب الماء من تحت جسم السد .

وكذلك أصبح ممكنا أن تحجز مياه الفيضان المقبل بأكملها في بحيرة ناصر أمام السد وتدور الان التوربينات الاربعة بصفة دائمـــة لتعطي طاقـــة كهربائية تزيد عن ..٤ الف كيلوات وهي طاقة تكفي لاضاءة ٨ ملايين لمبة .٥ وات اضاءة مستمرة .

وسيتم في أوائــل اغسطس القــادم تشغيــل التوربين الخامس .

أما بالنسبة للتنمية الزراعية ...

فلقد تم استصلاح ٧٤٠ ألف فدان كما تم تحويل ٧٠٠ ألف فدان من ري الحياض الى الري الدائم . كما سيتم استصلاح ٤٦ ألف فدان في العام القادم وكذلك ستنتهي عملية استزراع ٢٨٠ ألف فدان واعداد ١٢٠ ألفا أخــــرى خلاف المشروعات الزراعية الاخرى كالتوسع الرأسي في الزراعـــة ومشروعات الري والصرف بانشاء ٢٩ محطة صرف

وسيصل حجم الانتاج الزراعي الى ٩٠٢ مليـــون جنيه في العام القادم .

أما بالنسبة للبترول ...

فلقد كان انتاجنا من البترول سنة ١٩٥٢ لا يتعدى مليون طن وفي ١٩٦٥ بلغ انتاجنا ٦ر٥ مليون طن وفي يونيو ١٩٦٧ انخفض انتاج البترول نتيجة وقوع آبار بترول سيناء في يد العدو .

ولكن عام الصمود حقق زيادة ضخمة في انتاج البترول .. ففي يوليو ١٩٦٨ بلغ انتاجنا عشرة ملايين طن نتيجة اكتشـافات البترول الجديدة . فلقد بدأ الانتاج في حقول البترول في منطقة مرجان في خليج السويس . وفي شهر أغسطس سيبدأ انتاج البترول من حقل أم اليسر وقد قامت الشركة العامة للبترول باكتشافه دون الاستعانة بأية خبرة اجنبية. وفي نفس الشهر ايضا سيبدأ انتاج بترول منطقة العلمين . وينتظر ان يصل دخل الدولة من البترول الى ٦٠ مليون دولار بالعملة الصعبة .

وينتظر قبل نهاية العام الحـــالي ان يصـــل انتاجنا الى ٥ر١٢ مليون طن وفي سنة ١٩٧٠ يتوقع الخبراء أن يصل انتاجنا الى ٣٠ مليون طن .

وفي مجال الصناعة بلغ مجموع ما استثمر منها

حتى العام الماضي ١١٤٩٫٥ مليون جنيه وبعـــد النكسة استمر دعم طاقة الانتاج ولم يكن هناك غير انخفاض قليل في بعض المؤسسات الصناعية يقابله زيادة في نواح أخرى وقد بلغت الصادرات الصناعية في العام الماضي ٨٢٫٣ مليون جنيه وستصل في العام القادم الى ١١١٫٦ مليون جنيه .

ولقد حققنا في عام الصمود نجاحـا حيويا في معركة التصدير ساهم في تثبيت دعائم اقتصادنـــا الوطني حيث استطعنا ان نوجد اسواقا بديـــــلة وأسواقا جديدة أمام منتجاتنا ، وفوتنا بذلك على العدو أية محاولة لفرض ارادته عن طريق الضغط الاقتصادي .

لقد تحقق تحسن كبير في الميزان التجـاري اذ انخفض العجز انخفاضا واضحا يزيد على النصف كما امكننا في الوقت نفسه القيام بسداد جميـــع التزاماتنا المستحقة لبنوك العالم في مواعيدها . كما استطعنا ان نوفر معظم الاحتياجات الاساسية للبلاد ولا سيما الخامات والسلع الوسيطة .

استطعنا اذن في كل مجـال من المجـــالات ان نواصــــل انطلاقتنا البنـــاءة . واستمرت ارادة الصمود قوية فعـــالة .. لم ينل منها بالهزيمـــة

العسكرية أو الضغط الاقتصادي .

ولقد كان لنا أخطاء واضحة خلال الخمسة عشر عاما التي أرست فيها الثورة دعائم التنمية والعدالة الاجتماعية . وحددت طريقة الاشتراكية لانطلاقتنا في سبيل تحقيق آمال المستقبل ولقد كان علينا أن نتعلم من تجربة النكسة دروسا مستفادة . أظهرت لنا العلل التي أدت الى النكسة لكي نستأصلها من جذورها .

ولقد استطعنا في خلال العام السادس عشر للثورة أن نقوم بعمل ايجابي في سبيل القضاء على هذه العلل فأعيد تنظيم القوات العسكرية على أسس علمية سليمة . وضعت القوات العسكرية في مكانها الصحيح للدفاع عن الوطن . كما تم القضاء على مراكز القوى وانهاء دولة المخابرات . ووضع الضمانات الكافية لمنع الانحراف تحت ستار السلطة . وبعيدا عن الرقابة الشعبية ..

ولقد قدم الرئيس جمال عبد الناصر برنامج عمل سياسي تطلعا الى المستقبل وتخطيطا للعمل فيه بلوغا لاهدافنا في تحقيق النصر وتحقيق آمال ما بعد النصر في المجتمع الاشتراكي مجتمع الرخاء والعدل والامن .

وكان برنامج العمل استجابة للآمال العريضة للجماهير يحمل فكرا أوضح وحشدا أقوى وتخطيطا أدق .

وارتكز برنامج العمل على جانبين أساسيين أولهما حشد كل القوى العسكرية والاقتصادية والفكرية لتحرير الارض وتحقيق النصر باعتبار ان المعركة لها الاولوية على ما عداها . والثاني تعبئة الجماهير بكل ما تملك من امكانيات وطاقات من أجل واجبات التحرير والنصر ومن أجل تحقيق آمال ما بعد التحرير والنصر .

ولقد أكد الرئيس في برنامج العمل ان السبيل الذي نسلكه الى تحرير الارض وتحقيق النصر سواء كان سياسيا أم عسكريا مرهون باستعدادنا للمعركة .

وان التعبئة من أجل التحرير والنصر وآمال ما بعدهما تقوم على أساس حشد القوى الشعبية بالديمقراطية من أجل تحقيق هذه الاهداف . وان نطاق الاتحاد الاشتراكي هو أكبر الصيغ ملاءمة لهذا الحشد بالانتخاب الحر من القاعدة الى القمة .
وفي عيد الثورة السادس عشر اجتمع المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي .. ليؤكد دور قوى

الشعب العاملة في تحقيق سيطرتها بالديمقراطية على العمل الوطني وليمارس عن الشعب وللشعب سلطته في تحديد مهام العمل الوطني للمرحلة الجديدة وللمشاركة في وضع الخطوط العريضة للدستور .

والشعب الذي انتخب هذا المؤتمر ينتظر منه أن يعمل بعد أن وضع له الدعائم والاسس التي يمكن أن ينطلق منها لتحقيق ارادته .

وضعها له في ميثاق العمل الوطني .

وضعها له في برنامج العمل الذي نص عليه بيان ٣٠ مارس والذي وافق عليه الشعب بالاجماع وأضحى على المؤتمر وعلى تشكيلاته المنتخبة ان يحقق عمليا كل ما يطلبه الشعب الذي وضع فيه ثقته بناء على الاسس الواضحة التي وافق عليها ..

يطلب الشعب حشد كل القوى لتحرير الارض والاستعداد للمعركة دعما للعمل السياسي أو خوضا لقتال مصيري ليس منه بد .

يطلب الشعب تأكيد دوره في تحقيق السيطرة على العمل الوطني بالديموقراطية .

يطلب الشعب تدعيم بناء الدولة المصرية .

يطلب الشعب دفع التنمية الشاملة .

يطلب الشعب تدعيم القيمة الروحية واتاحة فرصة التجربة لشبابه .

يطلب الشعب اطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية .

يطلب الشعب توجيه اكبر جهد للبحث عن البترول .

يطلب الشعب توفير الحافز الفردي .

يطلب الشعب ضمان حماية الثورة في ظل القانون .

يطلب الشعب حماية المكاسب الاشتراكية ودعمها .

يطلب الشعب ضمان الحريات بكافة انواعها .

يطلب الشعب حماية الملكيات العامة والتعاونية والخاصة .

يطلب الشعب حصانة القضاء .

هذا هو ما يطلبه الشعب .. لكي يصبح ما جاء بالميثاق الوطني وبيان ٣٠ مارس حقيقة فعالة ملموسة ..

انه يطلب التطبيق العملي السليم لكل ما جاء في الميثاق وفي البيان ..

ويطلب الشعب ايضا .. ألا تمنح فرصة أخرى

لكي تنبت بذور اخطاء النكسة ثانية .

يطلب أن تكون عملية الجراحة التي أجريت اجتثاثا للعلة من جذورها ..

يطلب ألا تمنح فرصة أخرى لمراكز قوى جديدة أن تنبت .

يطلب ألا تمنح فرصة أخرى لدولة مخابرات جديدة أن تسيطر .

يطلب ألا تعطى فرصة لنكسة أخرى ..

لان الشعوب .. كما قال الرئيس جمال عبد الناصر لا تحتمل اكثر من نكسة واحدة ..



أمل الناس فيك
لا بديل له ولا حد له ...

٢١ أغسطس سنة ١٩٦٨

أخي الرئيس جمال عبد الناصر ..

أهلا بك في بلدك .. وبين أهلك .. منحك الله الصحة والعافية .. ومدد على طريق النصر خطاك .. وهيأ لك القوة .. لتواصل قيادة الشعب العربي في معركة التحرير والخلاص .. والانطلاق نحو أفق أرحب وأشرق .. لتحـــقق آمالا .. كبـــارا .. في الحرية .. والامان .. والكرامة .. والرخاء والعدالة .. والاستقرار والسلام .. ان أمل الناس فيك .. لا بديل له .. لا حد له .. فليمنحك الله القدرة على النضال من أجله .. والوفاء به .

من اجل معركتنا القادمة يجب ربط الجبهة الداخلية بجبهة القتال

١٩٦٨/٩/١٨ ١

بدأت اجتماعات الدورة الاولى للمؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي في هذا الاسبوع .

وقد افتتحها الرئيس جمال عبد الناصر بكلمة مركزة عرض فيها لتطور الاحداث في المرحلة الاخيرة بدأها بالاشادة بصلابة قواتنا المسلحة ومقدرتها المتزايدة على الوفاء بمسئولياتها مؤكدا ان تحرير الارض واجب مقدس لا يمكن التهاون فيه ولا يمكن لاحد أن ينكر حقنا فيه .

وقد تحدث الرئيس عن حيوية الترابط بين جبهة القتال والجبهة الداخلية واننا عبرنا مرحلة الصمود الى مرحلة الردع وان علينا أن نحشد قوانا في كل مجال من أجل مرحلة التحرير .

ولقد تناول الرئيس الاعمال الايجابية التي تحققت في الشهرين الاخيرين . سواء في جبهة القتال

على خط النار وسط الرمال حيث استطاعت قواتنا المسلحة ردع العدو أو في مختلف الميادين الداخلية كالتحضير للدراسات الجامعية لتمكين أكبر عدد من الالتحاق بالجامعات والمعاهد ومقاومة الدودة في الحقول لتحقيق وفرة في المحصول الزراعي والبحث في الصحراء عن البترول وتحقيق نتائج مرضية .

ولقد وضعت معركة التحرير في مكانها الحيوي من المؤتمر سواء في حديث الرئيس عبد الناصر أو في المناقشات التي دارت في الجلسة .

ولا جدال هناك أنه لا شيء يمكن أن يشغل الجماهير العربية كمعركة التحرير .. بهذا العبء الجاثم على حدودنا وعلى صدورنا .. وبهذا التحدي المتواصل لمشاعرنا ولسيادتنا القومية ومحاولة تحطيم ارادتنا بالعدوان المستمر وفرض ارادة علينا بالقوة المسلحة .

ومن مبدأ فرض الامر الواقع بالقوة الذي استمرأته اسرائيل وجعلت منه أساسا لوجودها وتوسعها وتعاملها مع العرب .. من هذا المبدأ الذي أقر به بن جوريون ببساطة بأن وجود اسرائيل قام على القوة وبقاءها وأمنها يجب أن يستمرا بالقوة .. من هذا المبدأ الذي أعلنه عدونا يجب أن يكون

تحركنا للدفاع عن كياننا ووجودنا وبقائنا وأمننا .

واذا كنا نرغب في السلام . ونسعى الى ارساء دعائمه بكل ما نملك من وسائل .. فمن غير ما شك اننا قد استنفدنا الوسائل السلمية .. ولقد طرقنا سبيلها مع كل ما يبديه العدو من صلافة وتحد واعتزاز بالقوة .. لكي نؤكد للعالم أن طريقنا الى السلام بغير الحرب طريق مسدود . ولكي نعزز قدرتنا على طرق سبيل القوة .. بعد أن أضحى السبيل الذي لا بديل له لتحرير الوطن العربي ولاستعادة الحق المهدر لشعب فلسطين .

وطريقنا الى القوة .. يجب أن يبدأ من العمل .. العمل الجاد المخلص في كل الميادين .. في جبهة المعركة . بالتدريب الشاق ودراسة أساليب الحرب دراسة علمية حديثة .. والمهارة الكاملة في استعمال السلاح .. وفي الحقول بالعمل الشاق لاخراج أكبر غلة لمحصول الارض . وفي المصانع بالجهد المتواصل لانتاج متقن ممتاز وفي الصحراء بالبحث المضني الجاد عن ثروتنا البترولية ..

تلك بداية الطريق .. وتلك هي الخطوة التي بغيرها نصبح كالحارثين في الماء أو السائرين في الهواء ..

وكما قال الرئيس عبد الناصر « لا بد أن نعمل في كل الميادين ونزيد الانتاج لان المال هو عصب الحرب والمال هو الذي يمكننا من أن نعطي القوات المسلحة ما تحتاج اليه من معدات » .

والمال أيضا يمكننا من اعداد الجبهة الداخلية للقتال . ولتقوية الدفاع المدني .. ولربط الشعب كله كوحدة مقاتلة في القاعدة بالقوات المسلحة الرابضة على خط النار .

ان طريق الحرب .. بعد كل ما رأيناه من صلافة اسرائيل .. واصرارها على مبدأ .. ان وجودها قائم على القوة المسلحة .. وبقاءها لا يضمنه الا التفوق في السلاح .. وتوسعها لا يمكن فرضه الا بالعدوان .

بعد أن تأكد لنا كل ذلك .. وبعد أن عززنا القوة المسلحة على جبهة القتال .. وبعد أن عبرنا مرحلة الصمود الى مرحلة الردع وبتنا نتطلع في اصرار الى مرحلة التحرر ..

بعد هذا أضحى القتال قاب قوسين منا .. اما بأن يفرض علينا من العدو .. وهو يرى إننا نسير الى التعزيز العسكري بخطوات حثيثة .. وأما أن نصل فعلا الى التفوق العسكري المطلوب لضرب العدو في معركة التحرير ..

بعد أن أضحت ساعة القتال .. آتية لا ريب فيهـا ..

وبعد أن أعلـن المؤتمر القومي ضرورة ربط الجبهة الداخلية بجبهــة القتال وضرورة ترابط الشعب مع القوات المسلحة من أجل وحدة الصمود ثم وحدة التحرير ..

بعد كل هذا يجب أن نسائل أنفسنا .. جادين ماذا يمكن أن يفعل العدو بنا لو حلت الساعــة .. وكيف يمكن أن نقابل عدوانه ونصمد له .. ونرده .. ثم نردعه .

ويمكن للعدو أن يضرب مدننا بكل ما فيهـا من احياء آهلة بالسكان لينشر الذعر ويحطم المقاومة .

يمكن أن يضرب المناطق الحيوية .. كمحطات المياه والكهرباء والمجاري .. والكباري والمصانـع وغيرها من المرافق . حتى يشيع الفوضى واليأس .

ومن أجل هذا يجب أن توضع خطة لمواجهــة هذا العدوان .. يجب أن نجند الشعب للدفاع عن البلد ضد كل أنواع العدوان الذي يراد به تحطيم المعنويات واشاعة الدمار والخراب قضاء على ارادة الشعب وتحقيقا لاستسلامه .

والشعب واع بما يحيط به من أحداث .. قادر على مواجهة كل ما يمكن أن يوجه اليه من عـدوان

وعلى الصمود له والصبر على مكارهه .

ولكن اعداد الجبهة الداخلية للقتال في حاجة الى تخطيط وتنظيم وتدريب شاق جاد .

لقد قال الرئيس في الجلسة السابقة للمؤتمر أن هذه المرحلة لا تحتمل الا ما هو جـاد ومخلص وأمين .. والمرحلة التي نمر بها تضعنـا في مفترق طرق .. اما أن نحقق ارادتنا في النصر وفي كل ما نرجوه لانفسنا من آمـال في مستقبل مشرق .. أو نستسلم .. فنضيع في متاهات المذلة والاستعباد .

والشعب الواعي بما حوله من الاحداث القادر على مواجهة كل عدوان ورده وردعه ..

يؤيد في اصرار ما قاله الدكتور فوزي في خطابه الذي وجهه الى الرئيس جمال عن تقرير المؤتمـر الذي وضعته لجنة المائة .

« لقد تأكد للجنة ما كانت تعلمـه من أنه لا احتكار للحكمة ولا للوطنية في هذا البلد .

« كذلك تأكد أن الشدائد لم توهنه بل زادته صلابة بالحق وعزما على قهر الباطـل . كما زادت بنيه يقظة بحقوقهم وتبيينا لما عليهم من واجبات .

« انهم كما علمتهم وكما علموا يريدون وطنا عزيزا منيعا . ويريدون كما تريد عنايـة أوفى بوضوح الاهداف وتوفير الوسائـل قدر طاقتنـا

وباختيار من يصلحون للعمل حتى يتولى أمورنـــا خيارنا لا سواهم .

« كذلك يريد منك أبناء هذا الوطن مزيدا من العلم والتحضر وسلاح الحرب والسلام . ويريدون سياجا للحرية أثبت ودروعا أقوى وسيادة للقانون أمتن نصونها جميعا من الفوضى والعبث ونحميها من الطغيان .

« نريد أن نستفيد من تجاربنا وندعم الناجح منها ونستزيد ولا نتردى في أخطـاء وقعنا فيهـــا وأساليب غير موفقة مارسناها وأوضاع غير سليمة اتخذناها من قبل » .

ان الشعب يريد أن يتحقق بيان ٣٠ مارس بكل ما فيه من تفاصيل أيدها ووقف الى جانبها .

واذا كانت قـــوى الشعب هي وحدهـا التي تستطيع توفير كل ضرورات النصر وحشد كـــل الطاقات اللازمة لتحقيقه واعطاء أكبر قدر من ارادة الصمود لجبهة ميدان القتال .

فان قوى الشعب تؤكد تمسكها بكل ما جاء في بيان ٣٠ مارس من أجل ان تتحقق لها القدرة على توفير ضرورات النصر وحشد كل الطاقات من أجل تحقيقه وان تحقــق سيطرتها بالديمقراطية عــلى العمل الوطني في كافة مجالاته .

مشكلة شباب العصر ..

١٦/١٠/١٩٦٨

نخطىء عندما نتعامل مع مرحلة من السن على أن أصحابها يشكلون نوعا .. أو طبقة .. أو شيئا محددا جامدا مستديما .. وننسى انها مجرد فترة يمر بها البشر لينتقلوا الى مرحلة غيرها • والمشكلة الحقيقية لنا في مختلف مراحل السن .. ناتجة أصلا عن انها مجرد مرحلة .. وان أصحابها وهم يمرون بها لا يقدرون انهم سيعبرونها غدا الى مرحلة جديدة .. وانهم عندما يصلون الى المرحلة الجديدة سينسون أنفسهم في المرحلة السابقة .. ولا يعودون يذكرون الا المرحلة التي يمرون بها .. ويتعاملون مع أصحاب المراحل السابقة واللاحقة وكأنهم قد جمدوا في هذه المرحلة • وكأنها هي العمر كله يتحتم على المراحل كلها أن تفكر بتفكيرها وتعمل بأسلوبها .

الطفولة المراهقة والشباب والرجولة والكهولة

والشيخوخة مراحل محتم علينا المرور بها اذا مـد الله في أعمارنا . وأطفال اليوم هم مراهقو الغـد وكهول اليوم هم شباب أمس . ولكننا نعزل أنفسنا في كل مرحلة نمر بها وكأننا سنخلد فيها .. نسخر من المراهقين وكأننا لم نكن مراهقين ونهـزأ بالشيوخ وكأننا لن نصبح شيوخا .

ولكل مرحلة مشاكلها . ولكن المشكلة تتعقـد أكثر عندما يتجمد الناس في المراحـل المختلفـة . وينعزل أصحاب كل مرحلة في المرحلة التي يمرون بها فتقطع روابط الثقة والمحبة .. والتعـاون .. ويصبح التعامل بين المراحل المختلفة مبنيا على الشك .. وسوء الفهم .. وسوء الظن .. ويشوب العلاقة بين المراحل .. أو الاجيال احساس من الصغار بأن الكبار لا يفهمونهم وانهم يقفون عقبة في طـريق تقدمهم .. وانهم يسدون الطريق الى المستقبل .. واحساس من الكبار بأن الصغار جيل عاجز أحمق لا يعتمد عليه .

من هنا تتمزق أواصر العلاقة بين الاجيال .. وتنشأ بينها فجوة ثقة واحترام وحب .. لا بد منها لوصل الاجيال بعضها بالبعض الآخر .. من أجـل الامتداد الطبيعي السليم للحياة .. وتزداد مشاكل

الاجيال تعقيدا . بعد أن ينعزل كل جيل في المرحلة المؤقتة التي يمر بها . ويفقد الارتباط الطبيعي الواجب بين الاجيال السابقة له واللاحقة به .

ومشاكل الشباب من أعقد المشاكل التي تمسك بخناق العصر الذي نمر به . وجزء من هذه المشاكل طبيعي .. تتميز بها مرحلة الشباب في كل جيل .. فهي مشاكل سن .. أو مشاكل مرحلة .. ناتجة عن احتياجات السن وانفعالاتها وهي مشاكل عامة انسانية مزمنة عانتها الاجيال عبر العصور المختلفة في جميع بقاع العالم .. واختلف التعامل معها .. والقدرة على علاجها حسب طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه أصحاب المشكلة . وما يمكن أن يقدمه من امكانيات لعلاجها وهي مشاكل بدنية وروحية ٠ . مشاكل اللقمة والجنس والعاطفة وآمال المستقبل .. من طبيعة الشباب ان يعانيها .. ومن حقه أن يطلب خلالها .. ومن واجب الجيل الاكبر ان يعاونه في حقها .

وغير المشاكل الطبيعية المزمنة .. توجدمشاكل العصر التي يتميز بها عصر بذاته .. وقد تختلف من مجتمع الى مجتمع ومن بيئة الى بيئة في نفس العصر .
والشيء الذي يميز مشاكل عصرنا .. هو أزمة

الثقة وفجوة الايمان والمحبة التي تواجه الشباب .. والتي تدفعه الى أن يكفر بالجيل الاكبر بقدرته على حل مشاكله ويتقدم هو لحلها محطما كـل القيـم والتقاليد .

والجيل الاكبر في عصرنا .. وهو الجيل المتهم بالجمود وعدم الفهم .. لطبيعة الشباب ومشاكلهم قد يكون غير مذنب في كثـــير من التهم التفصيلية الصغرى التي توجه اليه من الشباب والتي تفرضها ثورة الشباب وانفعاله وطموحه وطبيعته وتبرعـه بتلكؤ الجيل السابق له أمامه .. يسد عليه الطريق الى التقدم .. محـاولا التشبث بمواطيء أقدامه في الحياة الى آخر لحظة ممكنة في عمره .. هذه التهـم التقليدية التي وجهها الشباب الى الشيوخ في كـل عصر .. قد يكون الجيل الاكبـــر غير مذنب فيها . ولكنه في يقيني مذنب في التهمة الكبرى التي يمكن أن يوجهها الشباب اليه .. وهو انه فشل في أن يقدم اليه برغم كل التطور العلمي عالما أفضل ..ومستقبلا أكثر رخاء وأمنا .. وسلاما ومحبة .. هذه التهمة .. قد شارك فيها الجيل الاكبر مع غيره من الاجيـال السابقة .. ولكن المشاركة لا تعفيه من الذنب .. ومن تحمل وزره أمام الاجيال اللاحقة له .

هذه هي التهمة الكبرى التي تدين الجيـــل الاكبر الذي قاسى في مرحلة الشباب تعاسة القلق وذاق مرارة الحرب والدمار .. ومع ذلك تقدم الى مرحلة المسئولية وكاد يعبرها .. دون أن يفلـح في أن يخطو بالعالم خطـــوة واحدة .. نحو الهـــدوء والاستقرار . ودون أن يرفع عن كاهل الشباب .. وما أثقل ظهره هو .. بل ربما .. حمل الشبـــاب المزيد من اعباء التوتر والقلق .

تلك هي التهمة الكبرى .. التي تدين الجيــل الذي تحمل مسئولية هذا العصر .. في العالم كله .. ادانة قاطعة تزعزع ثقة الجيـل الاصغر منـــه .. وتخلخل الايمان به وبقدرته على أن يقدم لهم أرضا أصلب وأرحب يمكن أن يوطدوا أقدامهم عليها .. وأفقا أوسع وأشرف .. يمكن أن ينطلقوا فيه .. لممارسة حياتهم في أمان وسلام ..

تبقى بعد ذلك التهم الصغرى المتبادلـــة بين الاجيال . تهمة الجمود وعدم الفهم التي يتهم بهـا الجيل الاكبر وتهمة الطيش وعدم النضج التي يتهم بها الجيل الاصغر بالاضافة الى احساس الشباب بوقوف الشيوخ عقبـــة في سبيلهـم . واحساس

الشيوخ بتعجل الشباب قطف ثمار المستقبل قبل نضجها .

ويضاعف من أثر التهمة في عصرنا أزمة الثقة وفجوة الايمان والمحبة .. التي كانت فيما مضى يمكن أن تشد الاجيال بعضها الى بعض وتدفع فيها الاحساس بالترابط الذي يشعر كل جيل أنه امتداد للجيل الذي سبقه وان الاجيال بترابطها تكون الوضع الطبيعي المتماسك للحياة .

ان اسوأ ما يمكن أن يصيب جيل الشباب هو فقده الايمان بقدرة الجيل السابق له وثقته فيه واحترامه له .. وان تتحكم فيه اللهفة على الخلاص منه من أجل أن يحل محله .. لان هذه المشاعر .. لا شك سيورثها للجيل اللاحق له .. وسيعاني منها هو .. ويصبح بعد بضع سنوات .. في وضع الجيل السابق له .. بلا ثقة ولا محبة .. من الجيل الذي يليه .. وتصبح الحياة أجيالا مفرقة .. ممزقة معزولة واسوأ ما يفعله الجيل الاكبر .. هو أن يتعالى على الجيل الاصغر .. أو يحاول أن يفكر له .. بطريقة تفكيره هو .. بعد أن تعدى الشباب وجاوز انفعالاته ومشاعره .. ويفرض عليهأسلوب

أيام شبابه هو .. بعد أن تطور المجتمع .. وتغير أسلوب العيش فيه .

يجب ألا يفرض الجيل الاكبر .. نفسه على الجيل الاصغر وان خير ما يمكن ان يهتدى به هو حديث الرئيس جمال عبد الناصر في الجلسةالثانية عشرة لمجلس الامة يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٦٥ في عهده الذي قبل به ترشيح مجلس الامة له لرئاسة الجمهورية .

لقد أكد الرئيس جمال ان المهمة الاساسية التي يجب أن نضعها (نحن الجيل الاكبر) — نصب عيوننا في المرحلة القادمة . هي أن نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة في جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية . ولسنا نستطيع القول بأن هذا الجيل قد أدى واجبه إلا اذا كنا نستطيع — قبل كل المنجزات وبعدها — أن نطمئن الى استمرار التقدم والا فان كل ما صنعناه مهدد بأن يتحول — مهما كانت روعته . الى ثورة لمعت ثم انطفأت . الى بداية تقدمت ثم توقفت .

وقال الرئيس جمال ان الامل الحقيقي هو في استمرار النضال ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك — في كل وقت — جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ولحمل الامانة ومواصلة التقدم .. أكثر

وعيا وصلابة وطموحا من جيل سبق .

وينبغي أن ندرك .. أن التمهيد لهذا الجيل وانتا نستطيع ــ وبالتعالي والجمود ــ أن نصده ونعقده ــ وبالتالي نعرقل تقدمه وتقدم أمتنا .

ان علينا ــ بالصبر أن نستكشفه دون من عليه ولا وصاية ــ علينا ــ بالفهم ــ أن نقدم له تجاربنا دون أن نضيع حقه في تجربته الذاتية . وعلينا ــ في رضا ــ أن نفسح الطريق له دون أنانية . نتصور غرورا انما قادرة على شد وثاق المستقبل باغلال الحاضر . وعلينا أن نتيح له ــ بفكره الحر ــ أن يكشف عصره دون أن نفرض عليه ــ قسرا ــ أن ينظر الى عالمه بعيون الماضي .

. هذا هو ما وضعه الرئيس جمال عبد الناصر أسلوبا للتعامل مع الجيل الاصغر .. لا تعلل ولا جمود ..

وبقي على الجيل الاصغر .. أن يثق في الجيل الاكبر .. فلا يمكن أن يكون وضعه الطبيعي الا امتدادا طبيعيا للجيل الذي سبقه .. كما كان الجيل الاكبر .. امتدادا طبيعيا للجيل السابق له .. وهو واجبنا واننا نستطيع ــ وبالتعالي والجمود ــ أن أصل يثق فيه ويؤمن به .. لكي يكون هو ذاته قاعدة لجيل لاحق .. يمنحه نفس الثقة والايمان اللذين

منحها هو للجيل الذي قبله ..

يجب أن نقضي على أزمة الثقة ونملأ فجوة المحبة والايمان المتبادلة بين الاجيال .. والا انتهى العالم .. الى أجيال ممزقة حاقدة .. حانقة .. لا يمكن أن تقدم للحياة .. محبة ولا رخاء .. ولا سلاما ..

ان شباب مجتمعنا المصري .. ما زال يحمل في قرارة نفسه هذه الثقة والمحبة .. التي افتقدها الشباب في معظم أنحاء العالم ..

ومن أجل هذا يجب أن يعمل الجيل الاكبر على الاحتفاظ بهذه الثقة وأن يضع كلمات الرئيس جمال موضع التنفيذ الفعلي من كل جيلنا ..

يجب الا نتعالى عليه .. ويجب الا نتجمد أمامه .. ويجب أن نقدم له بأسلوب عصره .. الحل لكل مشاكله التقليدية .. أو التي خلقها العصر ..

يجب أن نمهد له الطريق .. ونمنحه كل ما نملك من تجربة .. ونترك له الحرية في أن يختار طريقه ويصنع تجربته وأن نمد أيدينا اليه لنجذبه .. لا لنصده .. حتى نكون أهلا لثقته وحبه وحتى نجعل من الثقة والحب والايمان أواصر متينة تربط الاجيال لتصنع التطور الطبيعي للحياة والحضارة .

وسائل المواجهة السياسية في معركتنا مع اسرائيل

١٩٦٩/٤/٩

معركة المصير مــع العــدو تتصاعــد في شتى الجبهات

ففي الجبهــة العسكريــة بشطريهــا الشرقي والغربي تتوطد دعائم المواجهة بحيث تضطر العدو ــ كما اعترف موشى دايان ــ الى دفع ثمن بقائه في الاراضي المحتلة غاليا من الارواح والموارد .وبحيث تحول دون تدعيمه لخطوطه التكتيكية الاولى بمواصلة عملية الدفاع الوقائي المستمر .

كما أخذت الضربات التي توجهها المقاومـــة الفلسطينية الى العدو تشتد في كل مكان وثــورة الشعب الفلسطيني تتسع رقعتها حتى بلغت الارض المحتلة قبل العدوان ، وتزداد قوتها الى الحد الذي رفض فيه زعماء نابلس سحب القوات الاسرائيلية مقابل وقف المقاومة والى الحد الذي أثار دايان فهدد بتدمير المدينــة مواصلــة لسياسة نسف المنــازل

والاعتقالات بالجملة قائلا « ان النار سوف تلتهم الهشيم » وأنذر بدفع الموقف في نابلس الى الفوضى والدمار .

وفي حديث الرئيس عبد الناصر الى المؤتمر القومي في ختام جلساته أشار الى التحولات الخطيرة التي طرأت على الموقف بعد العدوان مؤكدا اننا أصبحنا بنمو قوتنا وتعاظمها قادرين على الرد .. وأن العدو اذا كان قادرا على الضرب بعنف فاننا قادرون على الرد بعنف .. وان النصر على مشقة الطريق اليه .. قد بات ممكنا .. بل هو الممكن الوحيد ..

وفي الجبهة السياسية تتصاعد المواجهة ، حيث تحاول اسرائيل بكل ما تملك من قدرة على التأثير في الرأي العام العالمي وبكل ما تملكه من سيطرة على أجهزة الاعلام ووسائل الدعاية الغربية ، أن تستعيد ما فقدته من أرض عقب ظهور نواياها التوسعية العدوانية واضحة للعالم وعقب ادانة تحديها المستمر لقرارات الامم المتحدة ومجلس الامن ..

كما تحاول اسرائيل بكل ما تملك من وسائل افساد المباحثات الرباعية التي تدور بين الدول

الاربع الكبرى حول أزمة الشرق الاوسط فيمحاولة لايجاد حل للازمة قبل أن يبلغ الموقف حد الانفجار، وقبل أن يدفع بالعالم الى صدام نووي يودي بسلام العالم كله .

ان اسرائيل تحاول بكل ما تملك افساد هذه المباحثات التي تتركز فيها الجهود السياسية لايجاد حل سلمي للازمة ، بعد أن أعلن المسئولون في اسرائيل قلقهم مما يمكن أن تؤدي اليه هذه المباحثات وبعدما أعلنوا سلفا عدم التزامهم بأي قرار يصدر من الاجتماع الرباعي .

ونحن نحاول أن نواجه اسرائيل في الميدان السياسي بكل ما نملك من قدرة .

ولكننا ــ رغم ما قد حققناه من نجاح نسبي ــ لا نستطيع تدعيم وسائلنا في المجابهة السياسية .. بذلك الدعم الذي حققناه في المواجهة العسكرية اعدادا وتدريبا .

والمجابهة السياسية تتحقق بواسطة العمل على عدة مستويات أولها المستوى السياسي الرسمي بواسطة المسئولين السياسيين في المحافل الدولية .. والمستوى الدبلوماسي بأجهزتنا الدبلوماسية العربية المنتشرة في كل أنحاء العالم والتي تشكل

في مناطق هامة مجموعات من السفارات العربية بكل أجهزتها تربو على العشر . ومستوى أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون . والمستوى الشعبي بالمبعوثين وبالجاليات العربية المنتشرة في شتى أنحاء العالم والاجتماعات التي تعقدها المنظمات الدولية الشعبية الموالية للعرب والتي تستقطب فيها عناصر عالمية يمكن أن تكون ذات تأثير على الرأي العام العالمي ..

واذا حاولنا تقييم دور كل مستوى في المشاركة في المجابهة السياسية للعدو في معركة المصير التي نخوضها ومدى ما استطاع أن يواجه تحديات امتداد المعركة الى النطاق الدولي بفعل قدرة الصهيونية على تضليل الرأي العام العالمي .

اذا حاولنا أن نقوم بهذا التقويم

كان علينا أن نعترف بأن الدور الاول في نجاحنا النسبي في مجابهة اسرائيل عالميا يرجع الفضل فيه أولا لاسرائيل ذاتها .. فبرغم ما قد يكون عدوان يونيو العسكري قد دق لها الطبول والاجراس وبهر الرأي العام العالمي بما حققه من انتصار عسكري مريع فانه بغير جدال ـ ومع مرور الايام التي أظهرت النوايا التوسعية ـ كشف القناع الزائف

عن وجهها الذي طالما خدعت به العالم .. وجه البلد الخائف من بطش جيرانه والــذي لا يطلب سوى الامان والسلام . ووضـــع اسرائيل في شكلهـــا الحقيقي .. قوة عسكرية باطشة تسعى الى تحقيق أحلام توسعية لامبراطورية اسرائيلية .

ويأتي بعد ذلك دور العمل السياسي الرسمي في المحافل الدولية . فلقد استطاع الى حد كبير بحكم كفاءته المكتسبة من طول الاحتراف والممارسة أن يؤدي دوره في المواجهـــة السياسية وان يحاصر اسرائيل ويكشف مناورتها السياسيــة ويكتسب مزيدا من فهم الــرأي العـــام لموقفهـــا العدواني التوسعي .

أما المستوى الدبلوماسي فلا نظــن دوره في المواجهة يمكن أن يقاس بحجمه وبسعة الرقعة التي يعمــــل فيها .. اذا وضعنا في الحساب مجموعـــة السفارات العربيــة ككــل وأضفنا اليها مكاتــب الجامعة العربية في البلاد التي تعمل بها .

والقصور الــذي يمكن أن ينسب الى العمــل الدبلوماسي العربي في المجابهة السياسية للعــدو يرجـــع في حد كبــير الى عدم التنسيق بــين مختلف السفارات العربية الموجودة في بلد واحد، واعتبارها

بالنسبة لمعركة المصير التي تخوضها الامة العربية وحدة واحدة تتمم احداها الاخرى بحيث يمكن أن تقدم كل منها الامكانيات التي قد تعوض النقص في الاخرى .. بحيث تتكون من مجموعة السفارات العربية في كل بلد جبهة للمواجهة السياسية للنفوذ الصهيوني في هذا البلد على أن تستغل جميع الوسائل والقدرات العربية الموجودة في هذا البلد سواء كانت بشرية أو مادية أو فنية . باستقطاب كل العناصر الصالحة من الجالية العربية والبعثات الدراسية . وبحيث تجهز لهم كل ما يمكن من وسائل العمل سواء بالكتب أو بالافلام أو بشتى الامكانيات الثقافية التي تدعو للعرب بطريقة غير مباشرة وتعرف الرأي العام بنواحيهم المشرقة بحيث يكون هناك استعداد للتعاطف معهم وفهم قضيتهم والاقتناع بموقفهم .

والعمل السياسي بواسطة السفارات العربية يجب أن يستند الى قاعدة من الود المتبادل والاحساس الطيب للعرب . والاحساس الطيب يحتاج الى عمل هادىء طويل في شتى المجالات ومن مختلف العناصر فنية وأدبية ورياضية وعلمية .

ان فهم الناس في بلد ما لموقف العرب واقتناعهم

بقضيتهم ينبع أولا من الصورة المشرفة التي يمكن للسفارات العربية التي ترسمها للعرب في أذهان أهل البلد الذي تعمل به باستعمال كل الوسائل العربية الموجودةفي البلد . أو بتبادل زيارات بين عناصر عربية لها تأثير طيب على الرأي العام فيالبلد وبين المواطنين ذوي التأثير من هذا البلد الى البلاد العربية المختلفة .

ويقودنا دور العمل الدبلوماسي في المجابهة السياسية الى الدور الذي يمكن أن يقوم به المبعوثون العرب في مختلف البلاد . وهم تواقون الى أن يؤدوا واجبهم كاملا في المواجهة السياسية وهم قادرون عليه بكل ما يملكون من ايمان بعروبتهم وحماس وحيوية للعمل ولكنهم كما لمست في كثير من البلاد تعوزهم الوسائل .

بل ان معظم من لاقيت في هذه البلاد يعوزهم مجرد الاطلاع على الصحافة العربية وعلى مداومة الاتصال بمصادر الثقافة من آداب وفنون مما يمكن أن تزود بها مكتبات السفارات أو المراكز الثقافية أو النوادي العربية في هذه البلاد .

وتستطيع الخطوط الجوية العربية بالاتفاق مع دور الصحف ودور النشر عمل خدمة صحفية ثقافية

مستمرة لكل البلاد التي تصل اليها هذه الخطوط ، مع استبعاد العنصر التجاري من العملية واعتبارها تكليفا وطنيا عربيا للمساهمة في تزويد العواصم المختلفة بأكبر قدر من الصحف والكتب التي يمكن أن تسهم في تقديم المعلومات للمبعوثين والجاليات العربية حتى يستطيعوا أن يقوموا بدورهم في المجابهة السياسية .

ويأتي بعد ذلك دور أجهزة الاعلام بما فيها الصحافة ..

ان قصور الاعلام عندنا يتمثل في أن معظمه يدور في دائرة عربية . واننا في عملنا فيها أشبه بالذي يسميه المثل العامي « يهب في عبه » أي أننا نحادث أنفسنا فنحن ــ في معظم ما نكتب ــ وبكل ما نملك من منطق وقدرة على الاقناع وعلى المجابهة السياسية .. لا تكاد تتعدى دائرة اقناعنا النطاق العربي . فيما عدا ما يخرج منه وهو قلة ضئيلة الى النطاق العالمي سواء عن طريق بعض الشخصيات أو عن طريق مؤتمرات المنظمات الشعبية الصديقة للعرب والتي تستقطب عناصر ذات وزن عالمي .

ولا بد لنا من الاقرار بعجزنا عن مجابهة السيطرة الصهيونية على أجهزة الاعلام والصحافة

العالمية . ولكننا مع ذلك نملك الاستفادة بأهم ما ينشر من آراء وبحوث ودراسات في الصحافة والكتب العربية وترجمتها الى مختلف اللغات العالمية واصدارها في نشرات متتالية وتزويد السفارات العربية بمجموعات من اللغة المطلوبة في البلاد التي تعمل بها واستخدامها بواسطة المبعوثين والجاليات أو تزويد الشخصيات الصديقة لنا في هذه البلاد بما تحتاج اليه من معلومات تفيدها في المناقشة والاقناع .

ولقد رأيت في نيودلهي مع الصديق كلوفيس مقصود بعض لوحات لفنانين فلسطينيين تعبر عن الشعب الفلسطيني مطبوعة طباعة ممتازة وقد أرسلت من منظمة فتح لاهدائها الى السيدة انديرا غاندي والى بعض الشخصيات في الهند .

وأنا أعتقد أن مثل تلك اللوحات يمكن اذا وزعت على نطاق أوسع أن تكون ذات أثر فعال في اكتساب الجماهير العالمية الى جانب العرب وتعاطفهم مع الكفاح الفلسطيني .

ان المواجهة السياسية في معركة المصير مع العدو الاسرائيلي تمتد على النطاق العالمي .. وهي تحتاج الى استغلال كل عربي يعيش خارج وطنه

سواء كان في النطاق الدبلوماسي أو الدراسي أو الجاليات المقيمة .

والمواجهة السياسية لا تقل قيمة عن المواجهة العسكرية ..

فمعركتنا مع اسرائيل ليست مجرد معركة عسكرية .. بل هي معركة في المدى الطويل بين حضارتين ..

ونحن لا نستطيع أن نكسب المعركة الا اذا دعمنا حضارتنا بالبناء المستمر والعمل الدائب .. ولا نستطيع أن نواجه بها اسرائيل في النطاق العالمي الا اذا عرفنا كيف نؤكد وجودها للعالم كله .. وكيف ندحض محاولات اسرائيل في تشويه وجهها .



بين نبرة الأمل .. ورنة التحذير

٧/٥/١٩٦٩

أكد الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه في عيد العمال عاملين حيويين من عوامل الامل في النصر والثقة في امكانياته ..

أولهما تزايد قوتنا العسكرية .. وبروز الظواهر التالية مؤكدة لهذا التزايد فيما يلي :

١ ــ يقظة القوات المسلحة وقوات الجيش الشعبي في صد الغارات الاسرائيلية على أراضينا ومنعها من تحقيق أهدافها .

٢ ــ القدرة على رد ضربات العدو لاهدافنا المدنية بضربات مضادة لاهدافه المدنية .

٣ ــ عدم السماح لاسرائيل بتحويل خط وقف اطلاق النار الى خط ثابت تهدأ فيه اسرائيل وهدم كل تحصينات تحاول اقامتها لتحقيق هذا الغرض .

٤ ــ وقوف الجيش على الجبهة بتخطيط للهجوم من أجل تحرير الوطن .

وثاني هذين العاملين وان كان يعتبر أسبق من الاول لانه أساس له هو تزايد قدرتنا البنائية التي أكدت زيادة في الانتاج تعتبر كما قال الرئيس عبد الناصر « السند الاكيد والسند الحقيقي لصمودنا العسكري » ولتحقيق أي تزايد في القوة العسكرية .

ولقد أوضح الرئيس بالارقام تحقيقا في زيادة الانتاج الصناعي والزراعي تجاوز ما قدرناه وما كنا نطمح اليه بحساب كل طاقاتنا . وكان انتاج مصنع الدرفلة وهو جزء من مشروع مجمع الحديد والصلب الذي يعتبر أساس الصناعات الثقيلة تأكيدا لاصرارنا على المضي في البناء رغم كل التحديات .

ومن أهم ما يؤكده بروز هذين العاملين في مرحلة الكفاح الذي نخوضه وهما تزايد قدرتنا العسكرية واستمرار نمو قدرتنا البنائية . انعنصر الوقت في فترة المواجهة لا يذهب سدى .. بل هو يحمل في مصيره اتجاها لصالحنا .

وطبيعي أن تحاول اسرائيل ــ كما صرح بعض قادتها ــ أن تثبت أقدامها في المناطق التي احتلتها . وأن تجعل من الخطوط التي وصلت اليها خطوطا

ثابتة آمنـــة والا تتورط في قتـــال جديد .. الا اذا أحست أنها مهددة في مواقعها .. وان الخطوط التي تحاول أن تجعلها ثابتة تميد تحت أقدامها .

وفي معركة المواجهة .. أو معركة الصبر التي نخوضها الآن .. تحاول اسرائيل أن تصل بالثبات الى أحد أمرين :

أولهما هو أن تضيق البلاد العربية بالموقف وأن تتحطم جبهاتها الداخليـــة .. فتضطر الى الخضوع لارادة اسرائيل وقبول شروطها .

والثاني هو تجميد الموقف وتحولـــه بمضي الوقت الى موقف بارد واقع .. لا يشكل خطرا ولا يوحي بانفجار .. وتتحول خطوط وقف اطلاق النار الى حدود جديدة لاسرائيل ..

هذا هو ما تحاول اسرائيل أن تفرضه ..

وهذا هو ما لا يجب أن يحدث ..

وهذا هو ما يشكل العاملين الحيويين اللذيـن أبرزهما الرئيس عبد الناصر عنصرا هاما يقـف في سبيله ويحول دون حدوثه .

ان التزايد المستمر لقواتنا العسكرية بكل ما يحمله هذا التزايد من مظاهر . في درء الضربـات وردها وفي هدم التحصينات . وفي وضـع القـوات

الاسرائيلية على ظهر صفيح ساخن حتى لا تستريح ولا تقبع هادئة خلف تحصيناتها .

هذا التزايد بكل مظاهره يحول مرحلة الصبر بالنسبة لاسرائيل الى مرحلة قلق وقلة راحة .

ويدفعها اما الى قبول الانسحاب حسب قرار مجلس الامن .. أو التورط في هجـوم جديد .. لا جدال في أنه سيكون في غير صالحها .

أما المضي في زيادة الانتاج وزيادة القـــوة البنائية الاقتصادية فهو بالاضافة الى حيويته لدعم بناء القوات المسلحة وتحقيق الصمود العسكري . فهو يعني اننا نحيا حياة طبيعية تواصل نموهـــا وتقدمها .. واننا بالتالي قادرون على مواصلة معركة الصبر . وان الزمن لا يقلقنا ولا يفت في عضدنا .. بل هو يضيف الينا نموا جديدا يوما بعد يوم .

وفي هذا السبيل تبدو حيوية عمـــل الانسان العادي في عمله الطبيعي ومدى ما يمكن أن تحققـه اجادته لعمله واتقانه له من قدرة على الصمود وعلى تحقيق الانتصار .. فان اتقان أي انسان لعملـــه يصل في الحيوية على المدى الطويل للمعركة الى مـا تصل اليه حيوية اتقان الجندي في استعمال سلاحه في أرض القتال .

وكما أكد الرئيس بنبراته المفعمة بالامـــل تحقيق هذين العاملين الحيويين في كفاحنا من أجل النصر .. قرع دقات الانذار عندما قال « ان أمامنا طريقا طويلا وصعبا حتى نخلع من الارض العربية عدوا لن يرحل منها الا اذا خلعناه » .

وعاد يدقها بطريقة أعنف وأشد ، عندما قال ان عنصرا من أكبر العناصر حيوية في قطع هـــذا الطريق الشاق الطويل لم يتحقق بعد وهو حشــد العرب لقواهم .

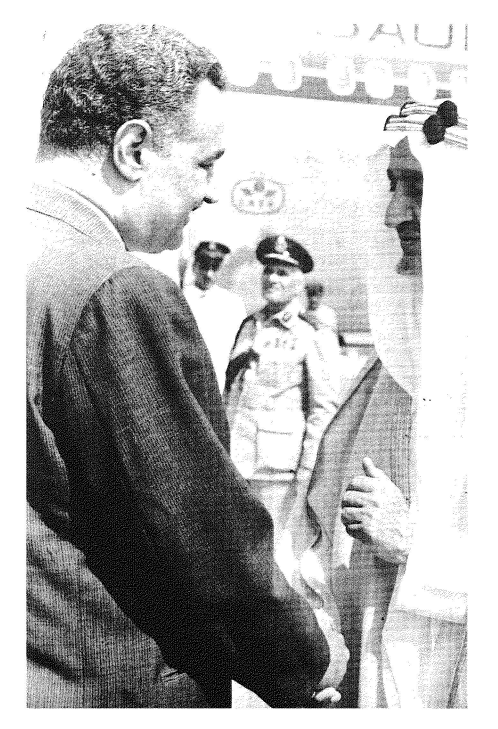
قال الرئيس بمنتهى الصراحة :

« حتى الان لم يعبىء العرب كـل قواهـم أو نصف قواهم أو حتى ربعها ولا بد أن تقوم جبهة شرقية من كل الدول العربية في الشرق وجبهة غربية من كل الدول العربية في الغرب » .

وأمر عجيب أن يتحدث العرب كلهم عن معركتهم مع اسرائيل .. بأنها معركة العرب كلهم .. وأن يواجهوها بالفعل بالطريقة التي يواجهونها بها .

والذي يحدث حتى الآن في جبهات القتال .. هو التنسيق بين ما هو كائن .

بينما الذي يجب أن يحدث .. هو حشد ما يجب أن يكون .



وفارق كبير بين الامرين ..

فالمفروض في مواجهتنا لاسرائيل .. كخصم يواجه العرب جميعا .. أن توضع خطة كاملة لهذه المواجهة .. وتدرس كل امكانيات العدو .. وتدرس كل الجبهات التي نستطيع أن نواجهه فيها .. وتدرس كل الامكانيات التي نستطيع أن نواجهه بها .. ثم توضع هذه الامكانيات حسب احتياجات الخطة المتكاملة التي نواجه بها العدو .. وعلى كل البلاد العربية أن توفر للخطة كل ما تحتاج اليه من كل بلد ..

والمفروض على كل دولة أن تعلن التعبئة وان تنشىء القوات المسلحة المطلوبة منها وأن تزودها بالسلاح وتقوم بتدريبها ثم تأخذ مكانها في الجبهة التي ستوضع فيها وتقوم بعمل التدريب المشترك مع غيرها من القوات وتوضع جميع المطارات العربية تحت أمر قيادة موحدة .. وأن تعمل كل الجبهات لتنفيذ خطة واحدة لمواجهة العدو الاسرائيلي .

ان العرب يواجهون عدوا يهدد مصيرهم بقوة السلاح . فيجب على كل بلد عربي أن يضع انشاء قوته العربية المسلحة في قمة أهدافه .. وأن يشارك بها مشاركة تامة في مواجهة العدو الذي يفرض

وجوده وتوسعه بالقوة .

يجب أن تكون هناك قوة عربية مسلحة واحدة .. واذا كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد عملا كقوة مسلحة واحدة لمواجهة النازي أمن المعقول الا يفعل العرب كذلك . وهل يمكن أن يكون بينهم من الخلاف ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

لقد قاد مونتجومري قوات الحلفاء كلها في قيادة واحدة .. من العلمين الى نهر سنجرو . وقاد ايزنهاور قواتهم من نورماندي الى بحر البلطيق . واندفع الجيش السوفياتي حتى وصل الى برلين والى فينا . حتى قضوا على النازية .

فلماذا لا يعبيء العرب قواتهم المسلحة ولماذا لا يحشدونها تحت قيادة واحدة لتنفيذ خطة مشتركة .

وحتى قوات الكفاح الفلسطينية ـ رغم استبعاد وجود أية وصاية عليها ـ يجب أن تكون جزءا من هذا الجيش ويجب أن تعمل من أجل تحقيق هذه الخطة الكبيرة .

بل ان العمل الدبلوماسي يجب أن يجري في نطاق خطة واحدة متفق عليها من كل البلاد العربية

بما فيها الثورة الفلسطينية .

فاذا كان الرئيس عبد الناصر قد حدد قبول قرار مجلس الامن بأنه مبني على الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية وعلى استعادة الشعب الفلسطيني لحقه حسب قرارات الامم المتحدة .

واذا كانت البلاد العربية قد اتفقت على الاتقبل أي حل مفرد .

فكيف يمكن أن يكون هناك عمل عربي واحد . اذا كان مفهوم قرار مجلس الامن مختلفا عليه .

ان العمل العربي الموحد يجب أن يبنى على فهم واحد للقضية العربية واتفاق على أسلوب معالجتها دبلوماسيا وعسكريا .

يجب أن يرجأ كل خلاف بين العرب حتى ننتهي من مواجهة اسرائيل .

ان مجرد الخلاف على وضع العمل الفدائي الفلسطيني في بعض البلاد العربية يبين مدى العجز عن الحشد العربي الكامل .

بل ان ما قيل من أن بعض الدوائر قر عرضت على منظمة فتح عشرة ملايين دولار في مسبيل تجميد قواعد المقاومة في جنوب لبنان والذي رفضتهالمنظمة

على الفور ولم تقبل مناقشته أمر يدعو الى الذهول لان الخطر الاسرائيلي يبدو انــــه غير مفهوم على حقيقته والمواجهة العربية لاسرائيل تبدو كأنهــــا شيء مطلوب تجنبه لا إلتجمع من أجله .

لقد كان المفروض أن تعرض عشرة ملايـين دولار لاي قوة عربية للمعاونة في الدفاع الى جانب الجيش اللبناني عن لبنان لا لتجميد العمل العسكري هناك .

يبدو ان بعضنا ما زال نائما أو هو يتعلـــق بأحلام اليقظة التي تبدى له الامن والسلامة بمجرد اغلاق عينيه .

وأخيرا لقد فتح الرئيس بنبرة الامل اشراقة على الطريق .

ولكن دقاته لناقوس الخطر كانت أشد رنينا فلعلها تفلح في ايقاظ المستغرقين في أحلام اليقظـة ممن يحاربـون بالخطب أو يدفعـون الدولارات . شراء لامان كاذب مؤقت ..

٩ و ١٠ يونيو عندما رفض الشعب الهزيمة

١١/٦/١٩٦٩

في مثل هذا اليوم قال الرئيس جمال عبد الناصر للشعب العربي الذي خرج يعلن رفضه للهزيمة ، واصراره على الصمود وعلى التمسك بالرئيس جمال قائدا لنضاله ضد العدوان الصهيوني الاستعماري.

« ان الكلمات تضيع مني وسط زحـــام من المشاعر تملك علي كل جوارحي . وأقول بكل أمانة أني مقتنع بالاسباب التي بنيت عليها قراري وفي نفس الوقت فان صوت جماهير شعبنا لي أمر لا يرد ولذلـــك فقد استقر رأيي أن أبقى في مكاني وفي الموضع الذي يريد الشعب مني أن أبقى فيه » .

رفض الشعب الهزيمة وأصر على الصمود .. رغم الحقائق المريرة التي تكشفت عنها الايـام .. حيث كنا نواجه العدو .. شبه « عزل » لا نملك

أمام قواته المسلحة من دبابات وطائرات سوى خمسة آلاف بندقية .

وقف الشعب الاعزل الصامد ليقول لا .. ان ارادتنا .. أقوى من كل ما يملك العدو من سلاح .. ولن تعني هزيمة قواتنا المسلحة .. هزيمة الشعب .. أو ركوعه أمام ضربة العدو التي أنزلها بنا في الخامس من يونيو .

ووقف العدو مختالا على شاطىء القناة .. تسبح مجنداته في مياهها .. ويطلب الماء نظير الاسرى .. ويكرهنا على أن نرسل له .. صنادل البطيخ امعانا في أذلالنا .. كل بطيخة برأس أسير .

وكان يتصور أن التسليم لارادته .. بات قاب قوسين أو أدنى .. بعد أن دمرت قواتنا المسلحة .. وخلا الطريق أمامه الى القاهرة ..

وبدا تنحي الرئيس جمال .. ايذانا بالتسليم وبأن الثمرة قد حان قطافها ..

ولكن الناس .. كل الناس .. خرجت تزأر .. تطلب من الرئيس أن يبقى .. لانهم لا يقبلون التسليم .. بل يصرون على الصمود .. وعلى أن يكون هو قائدا للصمود .. ورمزا له .

وظنها العدو .. حلاوة الروح ..

ولكن الايام كذبت ظنه ..

فاذا بالمعجزة .. تحدث

واذا بقواتنا التي لم يكن يتصور أحد أن اعادة بنائها سيتم في أقل من عشر سنوات . قد عـادت أقوى مما كانت . في سنتين .

واذا بقواتنا التي أذاقها العدو مرارة الهزيمة وشردها في الرمال ..

قد عادت لتحتل مكانها أمامه في ثقة وقوة ..

واذا بأولادنا ينزلون به الضربة تلو الضربة .. وهم يتلهفون شوقا الى الثأر ويتلهفون الى جولـــة أخرى ترد لهم الاعتبار ..

لقد رأيتهم في شرق القناة .. في مواقعهم التي تمتد على الساحل داخل الصحراء .. يملأ نفوسهم الامل .. واللهفة على الثأر ..

قال لي أحدهم :

ـ اننا ننزل بالعدو ضربات شديدة وهو يكذب في بلاغاته الى درجة مثيرة .. تدفع الفدائيين الذين يخرجون لضربه .. أن يعرضوا حياتهم للخطـــر لاصرارهم على احضار عينات مما دمروه حتى يثبتوا كذب العدو .

قلبت وقفة الشعب يومـــي ٩، ١٠ يونيو ،

واصراره على الصمود .. كفة الميزان .. وأعـادت الثقة الى قواتنا المسلحة .. ومنحتها فرصة اعـادة البناء .. والوقفة مرة أخرى متحفزة من أجل الثأر ورد الاعتبار وتحرير الارض .

ان قواتنا تقف في ثقة على خط النـــار .. لان الشعب رفض لها الهزيمة .. وأصر على اعادة بنائها .. وعلى أن يقف وراءهـــا بالدعم والمساندة حتى يتحقق النصر .. وآمال ما بعد النصر .



من أجل الخلاص من القيود التي تثقل حركتنا

١٩٦٩/٧/٢٢

١٧ عاما مرت من عمر الثورة

ولعل نظرة سريعة شاملة الى الوراء .. نختطفها من وسط الاحداث المتزاحمة حولنا .. ومن بين الحشد الذي نحشده في كافة المجالات من أجل تحرير أرضنا والخلاص من آثار نكسة يونيو .. واعادة خطانا الى طريق الانطلاق نحو مستقبل أفضل لشعبنا العربي .

لعل نظرة شاملة يمكن أن تمنحنا رؤية أوضح للموقف كله .. والمقارنة بين ما كنا نهدف اليه .. وما بلغناه .. وما نريد أن نحققه .

في كلمات قلائل .. يمكن أن نجتاز بها .. الكثير من الشرح . يمكن تلخيص ما كنا نهدف اليه .. في تحقيق رفاهية الشعب العربي وأمنه .

ولقد كان الطريق الى ذلك هو أولا تحريره من القيد الخارجي وهو الاستعمار بشتى أشكاله ..

العسكري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتحريره من القيد الداخلي وهو الاستغلال في شتى مجالاته .. الرأسمالي والاقطاعي والرجعي .

وثانيا بتحقيق التنمية والبناء في مختلف الميادين .. واقامة عدالة اجتماعية تضمن المشاركة العادلة لكل أبناء الشعب .. في نتاج ثمار جهودهم .. وتمنع استئثار فئة أو طبقة بهذه الثمار .

ولقد حققت الثورة تحطيم القيد الخارجي ووصلنا الى درجة كاملة من التحرر المطلق لارادتنا . سواء كان ذلك في المجال السياسي أو الاقتصادي أو غيرهما من الميادين كما حققت تحطيم القيد الداخلي أيضا بطريقة حاسمة فقضت على كل قوى الاستغلال الداخلية .. مع مواصلة تتبعها والقضاء عليها كلما حاولت أن تبرز في شكل من الاشكال .

وفي عملية التنمية والبناء . كان سبيلنا الطبيعي الى ذلك هو التصنيع وزيادة مواردنا الزراعية أفقيا ورأسيا بزيادة رقعة الارض المزروعة وزيادة كمية المحصول وتحسين نوعه . وكان السد العالي من أهم المنجزات التي أقيمت لتحقيق هدف التنمية ..

وكان التطبيق الاشتراكي المستمد من واقعنا

.. هو الاسلوب الحتمي لتحقيق العدالة الاجتماعية

ولقد لقيت عملية التنميـة والبناء .. بعض العقبات التي حدت من بلوغها القدر المأمول ..ولعل أهمها زيادة معدل النسل التي أدت بجانب الحرص الكبير على تحقيق سريع للعدالة الاجتماعية .. الى ابتلاع فائض الانتاج المقرر أن يستغل في عمليـة البناء ذاتها . كما كان لتسرب بيروقراطية الجهـاز الحكومي وفقدان الحافز الفردي في الاجهزة العاملة في قطاع حيوي من قطاعات العمـل في التطبيـق الاشتراكي .. أثره الواضح في قصور عملية التنمية عن المعدل الموضوع .

وكان ركب الثورة يتحرك.. بما فيه من عناصر مفيدة وعناصر ضارة .. وبحصيلة ما ينتج عنه من منجزات تقربنا من الهدف الاصلي وهو رفاهيـة الشعب وأمنه .. وما ينخر فيه من معوقات تعرقـل تقدمنا في هذا السبيل .

وحدثت نكسة يونيو ..

وكانت صدمة هزتنا جميعا .. ونفضت عنـا جمود الواقع .. بما فيه من خير وشر .. وكشفت عن السوء الذي ينخر فينا والذي لا تكمن خطورته في مجرد عرقلتنا عن الانطلاق في سبيل تحقيـق

هدفنا .. بل في القضاء على ما استطعنا تحقيقــه في هذا السبيل .. وفي حرماننا من كل ما استطعنا أن نبلغه بجهودنا وجهود الذين سبقونا

وموقفنا الآن لا يحتاج الى اسهاب في الشرح ..

ففي مسيرتنا الطويلة نحو هدفنا الاصيل وهو رخاء الشعب ورفاهيته وأمنه .. يعرقل مسيرتنـا قيـدان .. القيـد الخارجي المتمثـل في العدوان الاسرائيلي الجاثم في أرضنا ، والذي يشكل خطرا توسعيا دائما علينا وتهديدا لامننا وتحديا لوجودنا وحضارتنا . والقيد الداخلي المتمثل في القصـور الذي يثقل خطانا والنابع من شتى العلل العاطفية الكامنة في مجتمعنا والذي يعرقل تقدمنا بطريقة لا تقل خطورة عن أي عرقلة يمكن أن يسببها لنا عدو من خارجنا ..

والقيد الخارجي .. قد أضحى بغير جدال أخف وطأة وأقل خطورة مما كان عقب النكسة مباشرة .. بكل ما حققناه من دعم للقوى المسلحة في الجبهـات المختلفة . ومن نمو في حركـة المقاومة المسلحـة للفدائيين وفي المقاومة الشعبية في الاراضي المحتلة .. ومن كسب للرأي العام العالمي .

ومع ذلك فالقيد جاثم على صدورنا .. وتحاول

اسرائيل أن تتعجل فرضه كأمر واقع .. يدفعها الى ذلك التنافس بين زعمائها على الانتخابات من ناحية والخوف من فرض حل سلمي من جانب الـــدول الكبرى يحرمها من ثمرة عدوانها من ناحية أخرى وأسلوبها في فرض الامر الواقع هو تعزيز خطــوط وقف اطلاق النار وبناء المستعمرات الاسرائيليــة واخضاع سكان الاراضي المحتلة لحكم اسرائيـــل وادماجهم فيها . وفي الوقت نفسه محاولـــة ضرب المقاومة والانتقام من عمليات الردع التي توجههــا اليها قواتنا المسلحة العربية .. حتى تخفف مـــا استطاعت من عمليات الازعاج الدائمة التي تسببها لهـــا .

ويصبح أمامنا أزاء ذلك واجبان .. واجــب وقائي .. وهو وقف محاولة اسرائيل في فرض الامر الواقع .. باستمرار ضربها في جبهات القتال لمنعها من تحصين خطوطها وتدعيم قواها . وباستمرار ضربها في الداخل حتى لا تشعر لحظة بأنهااستطاعت أن تصل الى حالة من الاستقرار تساعدها على فرض أمر واقع . وان نواجه عملياتها المضادة بكل ما نملك من يقظة وصبر وقوة على الردع .

والواجب الثاني .. هو العمل الايجابي من أجل

تحرير الارض المحتلــة بوحدة العمـــل العسكري العربي .. الذي توضع فيه كل امكانيات الامـــة العربية .. والذي تطوى أمامه كل أنواع الخلافات .. من أجل تحقيق النصر في معركة المصير العربي .

ويصبح أمامنا بعد هذا .. وقبل هذا .. القيد الداخلي .. الكائن في القصور الذي ينقل خطانا .. ويعرقل مسيرتنا نحو التقدم .

وهذا القيد من أثقل القيود وأخطرها .. فهو لا يتمثل في عدو يمكن قتاله في معركة .. أو في فئة يمكن القضاء عليها .. ولكنه يتمثل فينا جميعا .. في كل هذا الشعب الكبير الطويل العريض .. يشله في سباق التقدم الحضاري .. ويهدر معظم طاقته .. أو يوجهها في الاتجاه المضاد للتقدم .

والعلل التي تسبب القيد علل قديمة متوارثة أو علل منقولة مستحدثة .. ويحتاج القضاء عليها الى انضباط للمجتمع يمكن أن يفرض أسلوبا جادا في العمل .

ومظاهر هذا القيد الثقيل من العلل موجودة في كل مكان من مجتمعنا .. وفي كل موقع من مواقـــع العمل .. ونحن نواجهها في كل لحظة .

ومن أبسط أمثلتها ما نشرته جريدة الاهـــرام

بعد تحقيق عن نقطة الماء التي لا تهم أحدا والتـي أثبتت فيه أن القاهرة تفقد سنويا ٥٠ مليون متر مكعب من الماء (أي مليون من الجنيهات) في مواقع العمل .. التي لا يختلف الاستهلاك فيها في أيـــام العمل عنه في أيام العطلات .. لانه يتسرب لغير حاجة .. لان الافراد لا يأبهون لخسارة المجموع .. ولان بعضهم يسرق الحنفيات .. والمكان الوحيد الـــذي حافظ على معدل استهلاكه الحقيقي . هما مسجدان من أكبر مساجد القاهرة .. ليس لان الوازع الديني يحتم على الافراد حماية بيوت الله .. بل لان الحنفيات موضوعة في قالب حديدي حتى لا تسرق .

انها تشكل قيدا على حركتنا .. أخطر مما يمكن أن تسود جميع الميادين فيه .. لتعوق تقدمنا نحو هدفنا الحقيقي .. وهو تحقيق الرخاء والرفاهية .. انها تشكل قيدا على حركتنا .. أخطر مما يمكن أن يصنعه أي عدو من خارجنا أو أي فئـــة مضادة للشعب .

ومهما استطعنا ان نحقق من انتصارات عـلى عدونا الخارجي .. وعلى الفئات المضادة . فسيبقى هذا القيد الثقيل الذي نضعه نحن على أنفسنــــا معرقلا لتقدمنا حتى نتخلص منه ..

وبعد ١٧ عاما من ثورتنا التي قادها الرئيس جمال عبد الناصر يجب أن نؤكـــد المكاسب التي حققتها الثورة .. وأن نكافح من أجل الخلاص من القيود التي ما زالت تعرقل حركتنا نحو بلـــوغ هدفها الاصيل في تحقيق الرفاهيـــة والامن لشعبنا العربي .. وفي اللحــاق بركب الحضارة العالمية في عصر الفضاء .

اننا نخوض معركة حضارة .. ومن أجل تحقيق الانتصار فيها يجب أن نتخلص .. من كل القيــود التي تعرقل حركتنا .. قيد العدوان الخارجي .. وقيد العناصر المضادة .. وقيد العلل الباطنة التي تشلنا .. وتشكل عرقلة لتقدمنا أكبر من كل عرقلة تضعها بقية القيود ..

يجب أن يفهم العالم كله ما في الخطاب من صدق وأمانة

٦ / ٥ / ١٩٧٠

كان خطاب الرئيس عبد الناصر في أول مايو خطابا حاسما في مرحلة حاسمة . ومن المتعذر على أي كاتب التعليق على الخطاب فقد كان من الدقة والصدق والوضوح والشمول والتدرج المنطقي بالاسباب الجذرية الى النتائج الحتمية ما يجعل أي تعليق ترديدا لما جاء في الخطاب .

والخطاب بغير جدال قد أثار اهتمام الرأي العام العالمي كله .. فقد تلقاه في مرحلة وصلت فيها المشكلة المتفجرة الى النقطة الحرجة أو الى حافة الهاوية .. بعد أن جأرت اسرائيل بالصياح تطلب النجدة الامريكية من أجل اعادة قدرتها على العدوان الوحشي بعد أن ملك العرب القدرة على دفعه وعلى رده .

وطبيعي ألا يتلقى العالم كله الخطاب الحاسم

بطريقة واحدة .. فلكل جانب منه وجهة نظره في القضية .. وطبيعي ألا يفهمه بنفس الطريقة .. وألا يكون رد فعله في العالم كله واحدا .

ومع ذلك فلا يتمنى الانسان المخلص .. الا أن يفهم العالم كله الخطاب جيدا .. يفهم ما فيه من أمانة وصدق .. وأن يكون رد الفعل .. أيا كان مبنيا على الثقة بأمانة الخطاب وصدقه ..

ورغم أن أخطر ما في الخطاب هو النداء الموجه الى الرئيس الامريكي نيكسون .. ورغم أنه من الحيوية أن يؤمن نيكسون بما في الخطاب من أمانة وصدق .. وأن يرد عليه قولا وفعلا ، بما يتطلبه الموقف من أمانة وصدق .

ورغم أن أخطر من ذلك كله .. هو وحده التصرف العربي ازاء النقطة الحرجة التي دفع الخطاب بالمشكلة اليها .. ورد الفعل الحاسم الموحد ازاء الموقف الامريكي من الخطاب .

فاني أتمنى – ولعله حسن ظن لا يحتمله طبيعة الوجود الاسرائيلي – أن يدرك الرأي العام في اسرائيل نفسها ما في هذا الخطاب من خطورة وأمانة وصدق .. وأن يعرف حقيقة الموقف من خلاله .. وأن يكشف الى أي هاوية تقودهم اليها العصبة

العسكرية التي أثمل رأسها انتصار عسكري ...
والتي يدفعهم اليها خرافات وأحلام عنصرية تجيء متأخرة عن عصرهم بآلاف السنين ويؤدي التمسك بها والجري وراءها الى الضياع الذي طالما عانوه على مر العصور .

واذا كان ثمة قدرة على النظرة الموضوعية الى الخطاب وثمة قدرة على التفكير السليم من وجهة نظر الرأي العام في اسرائيل تدرك الحماقات التي يدفعهم اليها قادتهم .

واذا كان الرأي العام في اسرائيل .. يسلم ويطلب من العالم أن يسلم بأنه شعب مضطهد عانى الضياع آلاف السنين ويطلب وطنا يستقر فيه .. وانه يطلب الامان .. وحسن الجوار من جيرانه ..

اذا كان يريد العالم أن يسلم له بهذا الحق .. فلعله يدرك أنه من أشد السخريات أن يأخذ لنفسه هذا الحق على حساب حرمان شعب آخر من نفس الحق بل على حساب سلبه منه بكل ما يملك من أنواع الدمار والقتل والتشريد والتعذيب ..

ولعله يدرك أن أشد من هذا سخرية أن يسعى الى الامان وحسن الجوار بالعدوان على الجيران واحتلال أراضيهم وتقتيل عمالهم وتلاميذهم .

ولعله يدرك بعد هذا أن أكبر السخريات ..
والذي لم يحدث له في العالم مثيل من قبل .. ولا أظن أنه سيحدث من بعد .. أن يصرخ مناديا بالشكوى لان هؤلاء الجيران .. يحاولون أن يقوا أنفسهم .. وأولادهم .. وعمالهم .. ضد الدمار الذي يوقعونه بهم .

لعل الرأي العام الاسرائيلي يدرك أن هـــذا حقيقة .. ويدرك من خطاب الرئيس عبـد الناصر الصادق الامين .. أن كل ما هو مطلوب منهم .. هو أن يدعوا جيرانهم في حالهم .. أن يتركوا أراضيهم المحتلة .. أن يحققوا لهم الامان الذي يطلبونـــه لانفسهم .. أن يعطوهم حقوقهم في الحياة .

لقد أكد الرئيس عبد الناصر في خطابـــه أن العرب ليسوا دعاة حرب .. وأكـــد قبولهم لقرار مجلس الامن الذي يحقق السلام لكل دول المنطقة .

ومن قبل أكدت المقاومة الفلسطينية أنها تقبل تعايش كل المسلمين والمسيحيين واليهود في المنطقة بنفس الحقوق .

وتصبح أمام هؤلاء الذين يسعون في اسرائيل الى الامان وحسن الجوار فرصة العمر في البقاء الآن وفي السلام .

ويصبح عليهم أن يقاوموا أحلام الانتصارات العسكرية والغزو العسكري والتوسع بالدماء والعدوان البربري . يصبح عليهم أن يقاوموا خرافات العنصرية التي لا يقبلها عالمنا المعاصر .

وأن يصدقوا ما قاله الرئيس في خطابه من أن الذي يعمل من أجل الحياة . ومن أجل البناء لا يمكن أن يعمل من أجل التوسع وانه لا يمكن أن يكون هناك سلام وتوسع في نفس الوقت .

ويصبح عليهم أن يؤمنوا بأن العرب لن يسلموا في أرضهم وأنهم سيقاومون كل محاولة للتوسع.

وانها فرصة العمر لهم عندما يقول عبدالناصر لقد قبلنا تنفيذ ما جاء في قرار مجلس الامن ونقبل كل ترتيبات السلام التي نص عليها قرار مجلس الامن .. ويصبح عليهم أن يفرضوا على قادتهم الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة كما نص قرار مجلس الامن وان ينفذوا قرارات الامم المتحدة الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني كما نص على هذا قرار مجلس الامن .

ان الحياة الآمنة في اسرائيل لن تحققها الفانتوم ولا السكاي هوك .. ولكن يحققها تفهم وجهة النظر العربية .. والايمان بالحقوق العربية الطبيعية

والسعي الى تحقيـــق سلام عـــادل لا على فرض الاستسلام بالقوة .

ويصبح على الرئيس الامريكي أن يؤمن بصدق خطاب الرئيس عبد الناصر وأمانته .. والا يترك التاريخ يحكم عليه بأنه فقد صداقة العرب بالاصرار على دعم احتلال أراضيهم ومساندة العدوان البربري عليهم .. وانه لم يفهم قيمة النداء الذي وجه اليه ليفتح صفحة جديدة مـــع العرب بأمر اسرائيل بالانسحاب وهو حق واضح للعرب .. او بالكف عن مساندة اسرائيل لتصعيد العدوان على العرب وهو واجب واضح على أمريكا .

وأخيرا يبقى على العرب وحدهم مسئولية تقييم هذا الخطاب الحاسم .. ووضع القـــوة العربية في موضع اليد العليا .. التي تملك المبادأة .. والتي تستطيع أن تجعل من القدرة العربية .. حركـــة ايجابية فعالة في توجيه المعركة .. اما لتحقيق السلام العادل .. أو لفرض الحق بالقوة ..

ويصبح علينـــا أن نعبر بعرفان عن دعـــم أصدقائنا .. وأن نرد بحزم على ضربات خصومنا .

.. آخر عسكري مصري !!

١٢/ ٨/ ١٩٧٠

مصر عربية .. والشعب المصري .. شعب عربي .

هذا واقع لا يقبل المناقشة .

وهو كما قال الرئيس عبد الناصر .. قدر • .

والانتماء العربي شرف يعتز به الشعب المصري

ولقد شهد التاريخ .. مصر .. جزءا من الامة العربية .. يشد شعبها الى الشعب العربي .. روابط وثيقة من الاصول والمقومات التي تشد الامة الواحدة بكل مشاعرها وآلامها وآمالها وتطلعاتها نحو المستقبل . والشعب المصري يؤمن بقيمة الامة العربية الموحدة وقيمته كجزء من أمة عربية كبرى • . هو من أجل ذلك يدرك جيدا التزاماته نحو وطنه الكبير .. في الدفاع عن سلامته وحريته ووحدته .. والعمل على نهضته ورخائه .

ورغم ان عروبة مصر .. أمر واقع .. ينبت

من أعماق التاريخ .. ورغم ان احساس الشعب المصري بعروبته احساس أصيل عميق • . فلا جدال أن الشعور بالانتماء العربي قد ازداد في مصر خلال الفترة الاخيرة وفترة ما بعد الثـــورة ــ ولا جدال أيضا .. ان الرئيس جمال عبد الناصر أكبر الفضل في تقوية الانتماء العربي في النفس المصرية .. وفي توجيه هذا الانتماء بطريقة ايجابية نحو تحقيــق الكيان العربي الموحد .. وفي أداء الالتزام الـــذي يفرضه الوجـــود العربي والمصير العربي .. وفي تحويل الانتماء العربي .. من مجرد شعور الى عمل فعال نحو تحقيق الكيان العربي الموحد .

وكلام معاد • أن يحاول المرء سرد ما قام به الشعب المصري كالتزام نابع من أعماقه .. نحــو وطنه العربي الكبير .. وبشعور تلقائي بأنه يقوم بدوره الطبيعي الذي يحتمه عليه انتماؤه العربي .. دور مارسه كما قال الرئيس عبد الناصر « في وضح النهار وتحت النور وفي ميادين الخطر بكل أعبائه ومشاقه المادية والمعنوية » .

ورغم ذلك كله .. تعلو اليوم نبرة .. من بعض القيادات العربية .. أخطر ما فيها .. هو ما يمكن أن تتركه في نفس الشعب المصري .. من مرارة ..ومن

احساس بالحيرة .. في انتمائه العربي .

والشعب المصري .. لا يجب أن يمتن .. على وطنه العربي الكبير ما قدمه اليه من فداء – وفي مقدمته خمسة عشر ألفا من أبنائه .. لانه يشعر ان الدفاع عن الوطن العربي واجب مقدس .. بل هو دفاع عن الذات والوجود .. ولكنه يتساءل فيحيرة .. عن سبب كل هذا الهجوم على مصر .. لانهااتخذت حركة تعتبر أنها واجبة ضمن تحركاتها للدفاع عن الكيان العربي .

ولقد شرح الرئيس المصري العربي جمال عبد الناصر لماذاتحركت مصر نحو قبول المبادرة الامريكية – التي تعرض تنفيذ قرار مجلس الامن – مع تحديد هدفها بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية واعادة الحقوق الشرعية الى شعب فلسطين .

وبمنتهى سلامة المنطق قال الرئيس عبدالناصر « حين تلوح أمامنا فرصة للتحرك فاننا لا نملك حق التغافل عنها خصوصا وأن هناك أجزاء كبيرة من الارض العربية تتعرض لمهانة الاحتلال كما ان مئات الالوف من أبناء أمتنا العربية يرغمون على العيش تحت وطأته كذلك فان هناك عشرات الشهداء الابطال يسقطون في صفوفنا كل يوم » .

ان الشعب المصري يشعر بحيرة وهو يتساءل مع الرئيس عبد الناصر .

« اذا كان في امكاننا تخليص القدس العربيـة وغزة والضفة الغربية والمرتفعات السورية وسيناء من المحنة الرهيبة التي تعيش فيها الآن فلست أدري لماذا لا نتحرك » .

ولقد يعـــذر الشعب المصري هؤلاء الذيـن يرفضون التحرك السياسي ــ المبني على تحقيـق القوة العربية لفرض الارادة العربية على العدو ــ اذا كان هؤلاء يمارسون القتال .. ويخشون النتائج التي قد يسببها التحرك السياسي .. رغم كل مـا وضح من أن هذا التحرك لن يؤثر اطلاقا على العمل الفدائي أو الحشد للقتال .

ولكن ما يثير العجب .. هو انهـــم يرفضون التحـــرك السياسي المصري .. لانهـــم يريدون استمرار الحرب بالقوة العسكرية المصرية ..

والشعب المصري يشعر انه يقوم بواجبالقتال المقدس .. ليس لهوايته للقتال .. ولكن من أجل تحقيق أهداف واضحة .. فاذا أمكـــن أن يفرض بقوته العسكرية تحقيق الهدف .. خلال التحـــرك السياسي .. فان من الامور غير المعقولة أن يفرض

عليه غيره ــ ممن لا يحارب ــ أسلوب الحرب وحده.. لتحقيق الهدف .

والشعب المصري يثير حيرته أن يخسر خمسة عشر الف قتيل من أجل قضية .. يقال له .. عندما يحاول البت فيها .. بالاسلوب الذي يراه صالحا .. انه غير مسئول عن هذه القضية .. وانـــه ليس صاحبها .

أحد أمرين ..

اما ان الشعب المصري .. مسؤول عن القضية الفلسطينية .. أو غير مسئول .

اذا كان مسؤولا باعتبارها قضيــة عربية .. وباعتبار الصراع صراعا عربيا صهيونيا فمن حقه أن يشارك في الحل .. وفي أسلوب الحل ..

واذا كان غير مسؤول ..

فلماذا يطلبون منه أن يحارب ..

ان هناك نكتة أطلقت خلال الحرب العالميـــة الثانية .. عندما اجتمع قادة الحلفاء .. ستالـين وروزفلت وتشرشل .. عقب أن اكتسح الالمـان أوروبا .. وبعد أن بحث القادة الموقف أصروا على مواصلة القتال بكل ما يملكون من جهد .

قال ستالين ان الروس سيحاربون لاخر طلقة ولآخر عسكري .

وقال روزفلت ان الامريكان سيحاربون لآخر طلقة ولاخر عسكري .

وقال تشرشل .. ان الانجليز سيحاربون لاخر طلقة .. ولآخر .. عسكري .. هندي .

فهل يريد أصحاب الضجة .. أن يحارب العرب .. لآخر طلقة .. ولآخر عسكري .. مصري .

لقد كانت الهند .. مستعمرة انجليزية ..

ولكن مصر .. جزء من الوطن العربي .. وهي قطعا ليست مستعمرة .. لهؤلاء .. الذين يريدون أن يفرضوا عليها أسلوب العمل .. ويريدون أن يفرضوا على جيشها أن يحارب في سيناء .. وفي الجبهة الشرقية .. ويبقوا هم ليتفرجوا عليه .

إن الشعب المصري عندما يحارب من أجل الوطن العربي .. فهو يحارب بشعور الملتزم .. بالانتماء العربي .. والمدافع عن الوجود العربي .. ولكن يكره أن يفرض عليه أسلوب العمل . ويكره أن يشكك في تضحياته .

ان الشعب المصري يعرف ما قدمه .. ويعرف ما قدمته قيادته ..

انه يعرف ما قدمه عبد الناصر للقضية العربية

يعرف صلابته .. وقدرته على تحقيق الصمود .. في أعقاب النكسة .

يعرف جهده .. في اعادة بناء القوات المسلحة المصرية .

يعرف جهده في قيادة معركة المواجهة مع امرائيل في السنوات التي أعقبت النكسة .

جهده في تحويل الصمود الى ردع .. الى استنزاف .

جهده في تحقيق الوقاية للسماء المصرية وجهده في سلب اسرائيل حرية الحركة في الجو وهي ميزتها الكبرى .. التي بغرها أحست باختلال ميزان القوى .

الشعب المصري .. والشعب العربي كله يعرف ان عبد الناصر رفض الحل السلمي عندما كان امتسلاما .. عندما كنا لا نملك جيشا .. عندما بدا للبعض انه لم يكن هناك بديل لذلك . ولا مفر منه .

الشعب العربي كله يعرف أن عبد الناصر .. رفض الحل السلمي .. وفضل أن يخوض حربا مريرة .. شبه يائسة .. حتى أوصل العدو الى حد

الخضوع لارادتنا .. والى حد أن يعلن .. ان عبد الناصر يملي شروطه .

ومع ذلك يحلو للبعض أن يثير ضجة التشكيك .. ومزايدة الكلام .. وأن يصروا على القتال .. لاخر كلمة من أفواههم .. ولاخر عسكري مصري .

وهم يريدون للشعب المصري أن يحارب من أجل قضية لا يملك البت فيها .. لانهـــا قضيـــة الفلسطينيين وحدهم .

وهم يريدون له أن يحارب في كل جبهة ..ولكن ليس له الحق .. في أن يختار أسلوب العمل .. ولا في أن يبت في متى .. يقاتل .. ولا متى يوقـــف القتال ..

انهم يريدون للشعب المصري أن يحـارب .. بأوامرهم ..

كالعسكري الهندي .. عندما كانت الهنــــد مستعمرة بريطانية .

لماذا يريدون .. أن يدفعوا بالمرارة في نفس الشعب المصري .. وهو يشعر بأنه جزء من الكيان العربي وبانه يعتز بالانتماء العربي .. وبأنهملتزم بما يحتمه هذا الانتماء من واجبات وتضحيات .

لصالح من يدفعون بالمرارة .. في نفس الشعب

المصري .. هم يعرفون عن قدرته وقيمته .. مـــا يجعلهم يطلبون منه أن يحارب في كل الجبهات .

لصالح من يقولون له حارب من أجل القضيـــة الفلسطينية .. ولكنك لست مسؤولا عنها .. ولا عن البت فيها .. ولا عن أسلوب حلها .

قطعا ليس لصالح العرب

ولا لصالح القضية الفلسطينية .

الرسالة الأخيرة :
بين الوجيعة .. وبين المصاب

٣٠/٩/١٩٧٠

يا أخي جمال ..

رحيلك عنا موجع مذهل ..

فمن المستحيل على المرء أن يتصور مصر بدونك .. لقد بت جزءا من الشعب المصري .. بمشاعره وأحاسيسه .. وآماله وآلامه .. ونضاله من أجل التحرر وكفاحه في طريق البناء .

بات صوتك وأنت تخاطبه وكأنه جزء من طبيعة هذا العصر الذي نعيش فيه ..

كنا ننصت اليك الساعات الطوال .. في لهفة وشغف .. يخرج صوتك من قلبك ليستقر في قلوبنا .. نلتقط نبرتك تعلو في حماس .. أو تنخفض في حزن .. أو تنطلق بالمزاح .. وكنا نحس انك بت بيننا شيئا له صفة الدوام .. غير قابل ان ينتزع من حياتنا .

كنا نحس انك منجانا في الشدة .. وملاذنا في الضيق وانك تحمل في وجودك بيننا ضمانا بالامان والاستقرار .

كلنا نضع فيك آمالنا .. ونحملك آلامنا ومتاعبنا .. وكنا نحس فيك البقاء .. ويملؤنا هذا الاحساس بالطمأنينة والثقة .. وبأن كل شيء ممكن لانك معنا ولانك تحبنا .. وتحس بنا .. وتخشى علينا .. ولانك قادر وشجاع .. وصادق وأمين .

كنا نشعر بأنك قد تتعب .. وقد تمرض .. ولكنا لم نشعر قط .. بأنك قد تذهب .

ووقفت بنا في أحلك الساعات تناضل منأجلنا في صبر .. قد يفرغ من صدورنا .. ولكنه :. لا ينفد من صدرك .. وفي اصرار .. قد نضيق به .. ولكنك لا تيأس منه ..

وفجأة يا جمال ..

وبعد أيام .. من نضال من أجل العرب جميعا .. أيام شاقة كنت فيها ملء عيوننا وأفئدتنا .. وأنت تحاول أن توقف كارثة تترك الشهداء بغير قبور ، والجرحى بغير ضماد أو دواء والاطفال يتامى والامهات ثكالى بغير لقمة عيش أو قطرة ماء .

بعد أن حققت وحدة تكفل حقن الدماء العربية وتصونها مما تتعرض له من محن وآلام وتحقــــق استقرارا في بلد عربي مزقته طعنات الصراع .

بعد كل هذا يا أخي .. وأنت كبير .. عظيم .. شجاع .. تملأ الابصار والاسماع والافئدة ..ترحل فجأة .. لتترك لنا الوجيعة .. والفجيعة .. والدموع والآلام .

رحلت لتترك شعبا بأكمله يشعر بالضياع ..

كانت حياتك مذهلة ..

وكان رحيلك مذهلا ..

لم تترك لنا فرصة التمالك والتماسك ..

فاجأتنا بالفجيعة .

وبات علينا أن نبذل الجهد .. لنلتقط أنفاسنا .. ونبتلع دموعنا .. ونفكر فيما نحن مقدمون عليه من بعدك ..

شيء مرير .. مرير .. ولكنه قضاء الله يا أخي ..

فليرحمك بقدر ما رحمت الجرحى الملقين بغير ضماد .. وليكرمك بقدر ما أكرمت اليتامى بغير لقمة عيش أو قطرة ماء ..

وليقونا على رحيلك .. وعلى مواجهة كل مــا

يحيط بنا من أخطار .. بدونك ..
غفر الله لك ..

كنت درعنا من الوجيعة .. وحامينا .. من المصاب .. فبت برحيلك ـ وجيعتنا .. وبت الفجيعة وبت المصاب ..



وداع عبد الناصر :
كان الناس موكبه
.. وكانوا حراسه

القاهرة .. في فجر أول أكتوبر
أنا أعرف مدينتي الحبيبة ..
أعرف دروبها وبيوتها وحجارة جدرها .. وأشجار طرقاتها .. وتراب شوارعها ..
رائحة دكاكينها في أنفي .. وصوت باعتها في أذني ..
أعرفها كما أعرف نفسي .. مدينتي العريقة الحبيبة ..
أعرف نسمة صباحها ، وأعرف لسعة ظهيرتها .. أعرف عصرها ومغربها وليلها ..
وفي فجر هذا اليوم .. مررت في المدينة ..
نسمة الخريف تهب رطبة تمسح وجهها .. وتبعث بأوراق أشجارها .. والمارة يستحثون الخطا في عجلة من أمرهم .. يحاولون أن يلحقوا بشيء .

والدروب هي الدروب .. والدور هي الدور ..
والناس هم الناس ..
وأنا هو أنا ..

ولكن المدينة .. لم تكن المدينة
شيء ما يبدو غريبا بها ..

شيء ما ينقصها .. أو يزيد عليها .. فلا يجعل بها طعم مدينتي .
فقدت شيئا كبيرا .. غير وجهها
أو هبط عليها شيء ثقيل .. طمس معالمها .
وانحدرت من تلال زينهم الى القصر العيني .
الناس يهرولون في لهفة .. كأنما يخشون أن يفقدوا هذا الشيء الذي يودون اللحاق به ..
ونسمة الخريف تهب ..
نسمتي الحبيبة .. في مدينتي الحبيبة .. لم تكن كما تعودت أن أستنشقها ..
أحسست بها ثقلا ..
لم تنفذ الى صدري بسهولة كما تعودت أن تفعل ..

إقتربت من الكوبرى .. ولففت مع الكورنيش
الاشجار الباسقة .. تتمايل فروعها بالاوراق

الخضر العريضة .. والنسمة تمسح وجه النيـــل الهادىء السمح .

ومدينتي الجميلة .. تبسط يدها بأجمل ما تملـك .. النيــل والاشجار والسماء الزرقاء .. ونسمة الخريف ..

ونقطة علقم تهبط في كأس المدينة الحلوة .. فاذا بمرارتها .. تملأ حلقي .. فأنكر المدينة ، وطعم المدينة .. وشكل المدينة .

الطريق خال .. الا من موجات الشرطة أعبرها الموجة تلو الموجة .

أصل لكوبري قصر النيل .

جنود الصاعقة يقفون في مدخله بثيابهم المبقعة وطاقياتهم القرمزية .

وأعبر الكوبرى الى ميدان سعد زغلول .. وقد خلا الا من المنظمين .. والطرق اليه قد سدت ..

سرت في الطريق بين الحديقة والنيل ..

وبدا السرادق في آخره خاليا . الا من بضعة رجال يقفون على مدخله .. وبضعة آخرين يقفون بباب المبنى القائم على الشاطىء .

أتيت مبكرا .. لاعبر الطريق .. وأجـد لـي مكانا .

ولكن يبدو اني أتيت مبكرا جدا ..
كنت وحدي في السرادق ..

وانطلقت مني زفرة .. أخرج بها بعض ذلـك الشيء الذي يرسب في صدري .. والذي يمنح كل ما حولي .. شكلا آخر .. وطعما آخر .

تعودت أن أجلس في بعض الاحيان .. في مثل هذه السرادقات .. لاكون في استقباله .

وكنت أحس نفسي غريبا فيها .. حتى تقبل عربته ويهبط بقامته الفارغة ومنكبيه العريضـين .. ويقترب منا يمد يده بالسلام .. وابتسامتـه المشرقة تعلو شفتيه .. وعندما تستقر كفه في كفي .. وأسمع صوته يتساءل « ازيك » .. أحس اني كسبت شيئا كبيرا ..

وكنت أعرف من مشيته .. ومن نظرته .. ومن نبرته .. كيف حاله .. وكيف صحته .. وأعود لاقول لمن حولي .. رأيته اليوم على خير حال ..

كنت أحبه حبين .. حبا عاما .. كما يحبه كل الناس .. وحبا خاصا .. لان ودا خاصا كان بيننا في صبانا وكانت لفتاته الانسانية .. التي أحس بها منه .. لا تفتأ تمنحني شعورا بأن وشائجه لم تهي وبأن ظله لم يبهت .. وبأنه ـ على كل ما بلغ ـ لم

يزل الصديق الكريم العطوف الـودود .. الذي لا يصد ولا يخذل .

جلست على مقعدي في السرادق الخالي

مرارة في صدري تغير طعم الكون ..

وذهول في رأسي.. يعجزني عن ادراك الحقيقة

أنا أنتظره ..

أنتظره هو ..

فعلت هذا من قبـل في مثـل هذا السرادق ..

الوزراء سيحضرون .. وأسلم عليهم .. وبعد هذا يحضر أنور السادات .. وعلي صبري .. وحسين الشافعي ..

ثم صوت السرينة .. وضجيج عربات

ونصطف للقائه ..

ويقترب منا وهو يمد يده بالتحية باسما

هذا هو الشكل الطبيعي للقائه ..

وغير هذا يأبى الذهن المشدوه .. أن يقبل أية صورة له ..

الوقت يمر ..

الناس يتوافدون على السرادق ..

بعضهم يسلم علي .. ويحتضنني ويبكي ..

ودمعي متحجر

وتفكيري قد جمد ..

وذهني يأبى أن يضع العزيز القادم الا حيث يريده أن يكون ..

مقبل في العربة .. يهبط بقامتـه الفارعة .. وصدره العريض .. وشيب فوديه يضيء وجهه .. يتقدم بخطاه الواسعة الوئيدة .. ويمد يده مصافحا

الوقت يمر ..

أنا في مقعدي مشدوه .. والعلقم في حلقي .. يغرق كل ما حولي ومن حولي بمرارة تطمس معالمه وتبدل وجهه ..

وشيء ملـــح على الذهـن المشدوه والنفس الممرورة .. يجعلني انتظر .. ضجيج عربات ... وصوت يعلن .. أن « سيادة الرئيس وصل » .

والناس تتوالى .. والسرادق يضيق بمن فيه .. والجدار يزال من نهايته .. والمقاعد تدفع اليه .

وصوت طائرة يسمع في الجو .. وطائرة اخرى وثالثة ..

وأشياء بغيضة تردد من حولي :

ــ الطائرة تحمل النعش

نعش !!

وتتوالى الالفاظ .. والجمـــل .. والصور .. المروعة .

والسرادق يكتظ بمن فيه

والحركة تزداد .. واللغط يشتد

وصوت موتوسيكلات .. وعربات ..

وشيء عنيف يطرق الرأس ويلوي الامعاء

وصل الرئيس ..

ولكن ليس كما يجب أن يصل .. ولا كما تعود أن يصل

من بين كل الوجوه المزدحمة .. لم يبد وجهه .

لم تلح قامته .. ولا أشرقت بسمته

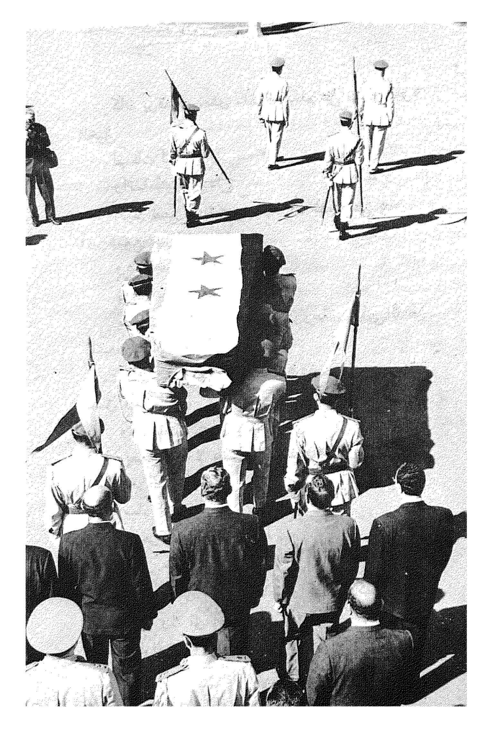
لم يكن الرئيس موجودا

كل النـــاس الذين تعود المــرء أن يلقاهــم في حضرته .. كانوا موجودين

كل الرؤساء الذين لم نكن نبصر وجوههم الا في صحبته .. كانوا يملأون المكان

ولكنه وحده الذي لم يكن موجودا

لم يكن يخطــو في خطـــاه المتزنة .. بجسده الشاهق ورأسه المرفوع وابتسامته العريضة ويده المبسوطة بالسلام



كان يرقد في نعش ملفوف بعلم على مدفع تجره الخيل
لم نأت للقائه
وانما أتينا للوداع
أتينا نسير وراءه .. دون أن نشد على يده ..
أو نسمع صوته
وصدحت الموسيقى
بدأت جنازة جمال ..
كلمات بغيضة .. وصور مروعة .. يأبى الذهن المشدوه أن يقرنها باسمه
جنازة .. ونعش .. ودموع تنهمر .. وصرخات تشق الفضاء ..
ومع ذلك .. ومهما كان رأي الذهن المشدوه ..
في أن يصدق أو لا يصدق .. يقبل أو لا يقبل ..
تحركت الجنازة ..
سار النعش
وتحركت خطانا وراءه ..
عشر خطوات ثم توقفنا
لم نسر الى الاتحاد الاشتراكي .. كما كـــان مدبرا .. ولا الى أول الكوبرى كمـــا أذيـــع في الميكروفون ..

فتح طريق بين الوفود المشيعة
وبدت وجوه الرؤساء يعودون القهقرى
الامبراطور هيلا ميلاسي .. يامر عرفات ..
والنميري يحتضن أنور السادات بين ذراعيه .. وقد
تصبب عرقه وشحب وجهه ..
وضجيج وصخب أمـام باب المبنى والسادات
يسقط ثم يحمـل الى حجرة مجاورة للبـاب ..
وصيحات تعلو
حسين الشافعي يدخل مندفعا ليقول لعلـي
صبري ..
ـ خد العزا مالرؤساء يا علي .. وأنا حاروح
ورا النعش ..
ثم يلتفت الى من حوله صائحا ..
ـ ما تخلهوش يمشي
ومرة اخرى في الطريق بين النيل والحديقة
عربة المدفع تقف أمام الميدان ..
وراءها يقف خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم
وحاتم ومروان وبجوارهم محمد فوزي وصادق
اتخذ حسين الشافعي مكانه وراء النعش
الضباط يحيطون بالعربـة .. فوزي يعطي

تعليماته لاحـــد الضباط .. يحضر ضابط مـــن الصاعقة .. يقول له فوزي :

ـ خليك جنبي عشان توصل الاوامر بسرعة

أقبل محسن أبو النور . وضياء الدين داود .. ثم أقبل بغدادي وزكريا وكمال حسين .· وأقبل الوزراء يصطفون وراء النعش واندفع حاملـــو الزهور أمام المدفع ..

الضجيج يزداد ..

جنود ينتحبون ويصرخون ..

جندي ملقى مغشيا عليه على جانب الطريق

موكب الجنازة لم يتحرك بعد .. وضغط الزحام يتزايد .. والناس كأنما ينبتون من باطن الارض .

اتجه الموكب الى الكوبرى

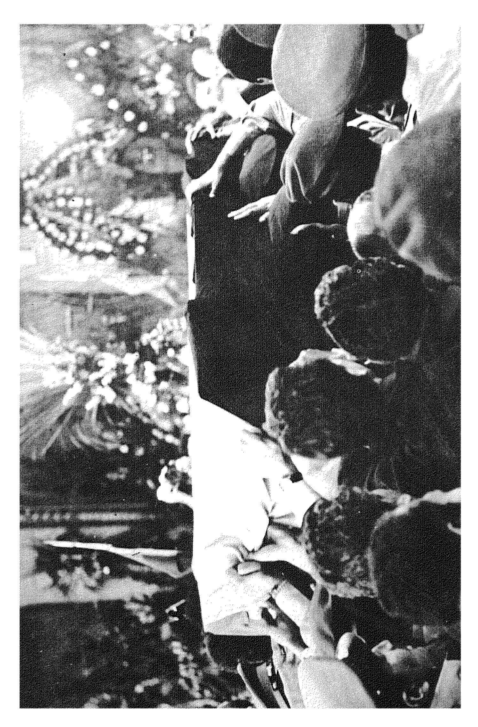
الزحام يشتد ..

وفي الكوبرى .. بدأ الاعتصار

التصق خالد بالنعش

والضغط يزداد من الجانبين ومن الخلف

وجنود الصاعقة يحاولون أن يوقفـــوا ضغط الجماهير وأن يعطوا المشيعين فسحة يجدون فيهـــا موطئا لاقدامهم .. بعد أن ضغطت أجسادهم وتعلقت أقدامهم في الهواء ..



عبرت الجنازة الكوبرى

ومن جديد بدأت عملية طحن أشد من الاولى

سقط عزيز صدقي .. ورفعتـــه الايادي في الهواء .. وبدا كأنه طير تساقط .. تلقفته الايدي حتى أوصلته الى الرصيف ..

الضغط يشتد .. والجماهير .. موج بحـــر متلاطم .. يرتد ليندفع .. وهدفها كلها .. النعش.. والحبيب الذي يرقد فيه .

وذاب كل شيء من حول جمال .. الا الناس .. بحر من الناس .. جبل من الناس

ذاب الجنود .. والزهور.. والموسيقى ..وسار جمال وحده .. بين الناس

هذا هو موطنه .. في حياته .. ومماته ..

كان يحب الناس .. ويتنفس براحة وسـط الناس .. ومن أمواجهم حوله .. يستمد قوته .. ويستقي عزمه وصلابته

في احدى رحلاته للخارج .. عاد ليجد هنـــاك ترتيبات حراسة .. حوله .. لان هناك خوفا مـن تآمر .. ورسم له خط سير .. بحيث يركب عربته من أرض المطـــار مباشرة حتى لا يخوض وسط الناس



وببساطة ترك خط السير .. وترك الحراسة .. وخاض وسط الناس .. واندفع الناس حولـه يحيونه في لهفة وشوق

لم يخش الناس في حياته قط .. بل كان يأمن لهم ويطمئن اليهم ..

كانوا مصدر قوته .. ومنبع ثقته

ولم يكن الطريق الذي اتخذه في موتـــه .. بالمستغرب منه

بدا لي بذهني المشدوه .. ان الجماهير لم تغير النظام .. ولم تحطم الموانع .. وانما هو الذي .. ترك الموكب .. وترك الحراسة .. وهبط اليهـــم ليسير بينهم ..

لم يرتض جمال .. في حياته بحاجز أو حراسة .. أو وساطة .. بينه وبين الناس .

ولم ينعزل ثانية واحدة في حياته عن الناس .. كانت مشاعره من مشاعرهم .. وذوقه من أذواقهم .. وآلامه من آلامهم ..

بقي دائما بينهم .. فلم يشق عليه الاحساس بآلامهم وادراك متاعبهم ..

لم يتفلسف عليهم .. ففهموا لغته ..

- أخلص لهم .. فأمنوا اليه وآمنوا به

وأولد الحب والثقة بينه وبين الناس مزيدا من الحب والثقة

واستلهم المعلم والقائد .. من الناس .. من حبهم له .. من ثقتهم فيه .. مزيدا من الجهد .. والشجاعة والثقة بالمستقبل

ولم يكن غريبا .. من حبيب الناس .. وقائد الناس ــ بغير وساطة وبغير حواجز ــ أن يسير بينهم مشواره الاخير .. بغير موكب .. وبغير حراسة .. فقد كان الناس موكبه .. وكانوا حراسه

لقد عرفوه جيدا .. وفهموا لغته ..

كان يقول ان الاشتراكية .. هي البيتالسعيد للقادرين على العمل تظلله مظلة الامان من الفقر والمرض .. والجهل .. وانها ليست متاهات من الفلسفة .. وأن مقياس الاشتراكية .. هو الانتاج

وكانوا يحسون أنه واحد منهم .. من كل الناس .. يعرف ما تريد الناس .. ويعرف كيف يحققه للناس .. وكانوا .. يؤمنون به .. ويثقون فيه

لقد كان جمال .. جزءا من الناس

عاش بين الناس .. ورحل بين الناس .. وسيبقى في قلوب الناس .. أملا .. وهداية نحو كل ما هو حق .. وكل ما هو خير .

الفهرست

صفحة

صفحة

صفحة

هذا الكتاب

أخي جمـــال :

تأبى النفس ان تسلم برحيلك ...

.. ويأبى الذهن إلا أن يجعل منك حقيقة قائمة بيننا راسخة في اعماقنا .. غير قابلة للغيـــاب أو الزوال .. لا تستغرب العين ان ترى عربتك تمرق في الطريق .. تعلو البسمـــة شفتيك وتلوح بيدك بالتحية .. ولا تدهش الاذن .. مـــن ان تسمع صوتك يلقانا .. « أيها الاخوة المواطنون » أو يودعنا ..

« وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله »

يوسف السباعي



الثمن ٥٠٠ ق.ل